



المشروع القومي للترجمة

درة التاج

رواية



تأليف : ميـــرزا محمد هادى رسوا
ترجمة: هناء عبد الفتاح عبد الجواد
مراجعة: إيهـــاب حفظى عز العرب

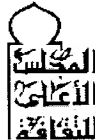
711

المشروع القومى للترجمة

درة التاج

(روايــة)

تــأليـف : ميرزا محمد هادى رسوا
تـرجـمـة : هناء عبد الفتاح عبد الجواد
مـراجعة : إيهاب حفظى عز العرب



٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧١١
- درة التاج (رواية)
- ميرزا محمد هادى رسوا
- هناء عبد الفتاح عبد الجواد
- إيهاب حفظى عز العرب
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

هذه ترجمة الرواية الأردية :
امراؤ جان ادا
ميرزا محمد هادى رسوا

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084.

مقدمة المترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد ...

لقد وفقني الله سبحانه وتعالى إلى ترجمة رواية امراؤ جان ادا من اللغة الأردية إلى اللغة العربية للكاتب الشهير ميرزا محمد هادى رسوا ، هذا الكاتب الذى أشادت به كتب تاريخ الأدب الأردى لعبقريته ونبوغه فى فن الرواية الآردية ، حيث يعد من الأدباء الذين لهم دورٌ بارزٌ فى شبه القارة الهندية ؛ مما دفعنى للاطلاع على أعماله الأدبية وخاصة رواية امراؤ جان ادا لما لها من مكانة مرموقة فى الأدب الأردى ، حيث عرض لنا الكاتب من خلالها الحياة فى لكهنو بكل أسرارها ودقائقها فى إطار شيق من خلال سرده لقصة حياة بطلة الرواية .

ولشهرة هذه الرواية فقد ترجمتها منظمة اليونسكو للثقافة والعلوم إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٦١م ، وأتمنى لهذه الرواية أن تحوز إعجاب قراء العربية كما حازت إعجاب القراء فى شبه القارة الهندية منذ صدورها عام ١٨٩٩م وحتى اليوم .

والله ولى التوفيق

هناء عبد الفتاح عبد الجواد

تمهيد

كم من قصص جميلة كنا نتذكرها

ولكنها أصبحت الآن تمهيدا لذكر الآلام والأحزان

أيها القراء ، سبب ظهور هذه القصة هو أنه منذ حوالى عشر سنوات جاء أحد أصدقائى واسمه منشى أحمد حسن الذى كان يقطن إحدى ضواحى دهلى للسياحة والتنزه إلى لكهنو وقد استأجر حجرة عند بوابة سيد حسين فى الميدان وفى هذا المكان اعتاد مجموعة من الأصدقاء الاجتماع كل مساء وكانت صحبة لطيفة جدا ، وكان صديقى السيد منشى ذا مهارة عالية فى فهم وتذوق الشعر وهو نفسه كان يلقى الشعر وكان كلامه طيبا لكن كان لديه شوق أكثر لسماع الشعر ؛ ولهذا ظل الشعر والكلام متداولَيْن.

أما الشقة المجاورة لشقة منشى أحمد حسين فقد كانت تقطنها غانية ، أسلوبها وطريقتها مختلفان عن غيرها من الغانيات ؛ فلم يكن أحد يراها جالسة على قارعة الطريق كما لم يعرف باستقبالها أحداً ، وكانت نوافذ شقتها مسدلاً عليها ستائر ثقيلة ليل نهار والبوابة المطلة على الميدان

(چوك) كانت دوما مغلقة ، وكانت هناك بوابة ناحية الحارة حيث إن الخدم كانوا يستخدمونها فى الخروج والدخول ، وأحيانا فى الليل كنا نسمع صوت سيدة تغنى ، والذى يدل على وجود أحد بالشقة ، وكانت توجد نافذة صغيرة موصدة ومؤمنة بقضبان حديدية . وفى يوم ما حسب العادة كانت جلسة الأحباب وكنت أقرأ غزلا ما ، وكان الأحباب يثنون عليه ، وفى تلك الاثناء جاء صوت الاستحسان من ناحية النافذة فصمت واتجه الأحباب ناحية مصدر الصوت .

فصاح منشى أحمد حسين قائلا : ليس من اللائق الاستحسان عن بعد ، فإذا كنت مغرمة بسماع الشعر فلماذا لا تشرفيننا بالحضور ؟ ... ولم أتلق أى إجابة وانتهى الأمر .

ثم عاودنا قراءتنا للغزل وبعد فترة قصيرة دخلت خادمة وسلمت على الجميع ثم قالت : من منكم السيد مرزا رسوا ؟ فأشار أصدقائى نحوى فعرفوها بى ...

فقالت الخادمة : طلبت السيدة استدعاءك ؟

فقلت لها : من هذه السيدة ؟!

فقالت الخادمة : قالت لى سيدتى ألا أخبرك باسمها والأمر لك يا سيدى .

فترددت فى الذهاب مع الخادمة ، وبدأ أصحابى يسخرون منى قائلين لِمَ لا تذهب معها ؟ يجب أن تكون عرفت هذه السيدة منذ زمن

إلا كيف تستطيع أن تدعوك بهذه الطريقة ؟ فقلت فى نفسى أى سيدة هذه التى تستدعينى بلا تكلف ؟!

عندما قالت لى الخادمة : سيدى ، إن سيدتى تعرفك جيدا ؛ فلذا أرسلتنى فى طلبك فاضطررت أن أذهب إليها وأخيرا ذهبت لأرى من تكون ؟ ولما وصلت رأيتها فعرفت أن المراة الجالسة هى امراؤ جان .

امراؤ جان (بعدما رأتنى) : الله . يا سيد مرزا ، لقد نسيتنى تماما ؟

مرزا : من كان يعرف فى أى جبل تسكنين ؟

امراؤ جان : كنت كثيرا ما أسمع صوتك ، ولم تكن لدى الجرأة لمناداتك ، واليوم بعد سماع شعرك خرجت ألفاظ الاستحسان رغما عنى ، وعندما طلب أحد الحضور مجيئى انتابنى الخجل وخطر ببالى أن أصمت ولكن لم يطق قلبى ، وأخيرا بسبب العلاقات الخاصة القديمة بيننا أرسلت إليك وسامحنى على تعبك بالمجىء ، واسمح لى أن تعيد ذلك الشعر مرة أخرى.

مرزا رسوا : لن أسمح لك بأى شىء ولن أسمعك شعرى هنا وإذا كان لديك رغبة فتفضلى هناك ولن أعيد لك هذا الشعر .

امراؤ جان : أنا لا مانع لدى فى الذهاب ، ولكننى أفكر أن صاحب البيت أو أى إنسان آخر لا يقبل هذا .

مرزا رسوا : تفكيرك صحيح ، ولهذا قلت بأن تأتى إلى هناك وتجلسى معنا على راحتك وستجدين كل ترحيب ، فمجيئك يزيد المجلس لطفا .

امراؤ جان : هذا صحيح ، وأخاف أن يكون هناك من يتعامل معى بطريقة غير لائقة ويرفع الكلفة أكثر من اللازم .

مرزا : كلا ،لا يستطيع أحد أن يرفع الكلفة إلا أنا .

امراؤ جان : حسنا ، سأحضر غدا .

مرزا : لماذا لا تأتينا الآن ؟!- . . . . .

امراؤ جان : الآن ؟! انظر إلى هيئتى التى أجلس بها .

مرزا رسوا : ليس هناك مجلسٌ للغناء والرقص ، وليس هناك تكلف فى هذا المجلس ، تعالى معى فلنذهب سويا .

امراؤ جان :عجبا يا مرزا رسوا اذهب أنت وأنا سآتى .

مرزا : (ثم عدت) وبعد فترة قصيرة جاءت بعد أن غيرت ملابسها ومشطت شعرها (ولقد قدمتها للأحباب بكلمات مقتضبة بأنها تتذوق الشعر وأثنيت على مهارتها فى الموسيقى ؛ فاشتاق الناس لرؤيتها وعندما جاءت قررنا أن يقرأ كل واحد منا أشعاره ، والغرض أنها كانت جلسة شعرية جميلة وكان الاجتماع لطيفا .

ومنذ ذلك اليوم كانت تأتى كل مساء وكانت تجلس معنا لساعة أو ساعتين فكانت الجلسة أحيانا لإنشاد الشعر وأحيانا كانت هى تغنى

وبذلك تمتع الأحـبـاب وأنا أذكـر لكم أحـوال جلسـة من هذه المجـالس الشعرية وأكتب لكم عنها . وفى المجالس الشعرية لا يحددون بحر الشعر ولا يدعون كثيرا من الناس ولا يجتمع فيه إلا بعض الأصدقاء والأحباب يقرأون قصائدهم الشعرية الجديدة

يا أدا ، لمن نروى حكاية قلبنا المضنى

وأننا طفنا فى العالم لفترة طويلة فى حالة التشرد .

مـرزا رسـوا : لقد أحسنـت يا سيـدتى امـراؤ جان ، ما أجمل ما قلت ؟ !!

وهـذا المقطع الذى قلتـه يناسب حـالك فلمـاذا لم تقـرئى أشـعـاراً أخرى ؟

امراؤ جان : (تقدم التحيات) يا سيد مرزا أقسم برأسك ، كنت أذكر هذا المطلع فقط وهذا المقطع ، والله يعلم فى أى زمن قلت هذه القصيدة الغزلية وإلى أى مدى يبقى فى ذاكرتى وأن دفتر الأشعار قد فقد .

السيد منشى : وماذا كان مطلع القصيدة فإننا لم نسمع منك ؟

مرزا رسوا : أنت مشغول بترتيب الجلسة ، فمن تسمع ؟

وليس فى هذا شبك أن السيد منشى من أجل جلسة اليوم نظم هذه الجلسة بطريقة جيدة .

كان الجو حاراً وكانت ليلة مقمرة من ليالى الصيف وكان الخادم قد رش الماء على المصطبة وقت العصر لتصبح رطبة مساء وبسط الكليم على الأرض وفرش ملاءة بيضاء ووضع القلل والأباريق الخزفية الجديدة وملأها بالماء ورش عليها ماء الورد (ماء زهرة الكيورا) ورص القلل على حافة المصطبة وغطاها بوضع أكواب خزفية عليها كما أحضر الثلج أيضا ، ويفعل الخادم وحده كل ذلك بنظام دقيق وقد لف سبع لفات من التمبول في وعاء ورقى ممزوج بماء زهرة الكيورا ووضع فوقها مضغة من التمباكو ذات الرائحة الطيبة أما الشيشة فقد ملأها بالماء وغسل خراطيمها ولفها حول ساق الشيشة بقلائد من الزهور . وكانت ليلة مقمرة ولم تكن فى حاجة لضوء إلا إنهم قد أضاءوا فانوسا فقط ووضعوه لكى يدور أمام الشعراء وحتى الساعة الثامنة كان قد حضر جميع الأحباب وهم السيد مير والسيد آغا والسيد خان والسيد شيخ والسيد بندت وغيرهم وحضروا كلهم وفى البداية وزعت أكواب الفالوذج وتناول كل واحد منهم كوبًا ثم بداوا يتحدثون عن الشعر والغزل .

السيد منشى : (لمرزا) عليك أن تهتم بأمور الجلسة وأنا أسمع الشعر .

رسوا : اعذرنى عندى صداع ، ولا أستطيع أن أقوم بهذا العمل .

السيد منشى : حسنا ، ماذا كان المطلع ؟

امراؤ جان: إننى أنشدك هذا المطلع من الشعر :

لقد نسيت طريق الدير عندما ذهبت للكعبة

فأكرمنى ربـى، فنجى إيمانى.

السيد منشى : أحسنت .

السيد خان : أنشدت مطلعا جميلا ولماذا قلت (بهول كيا) فى هذا الشعر ؟ المفروض أن تكون مؤنثة (بهول كئى)

امراؤ جان : وهل أنا أقول الشعر بلغة ريختى ، يا سيد خان .

السيد خان : بدلا من أن تقولى لقد أكرمنى ربى قولى (يا مولانا امنحنا الخير) وهذا معروف فى لغتنا وهى فى لغة ريختى لها طعم خاص وتبدو جميلة على لسانك .

رسوا : يكفى هذا ، أنت بدأت هجومك عليها يا سيد خان ، دعنا نسمع الشعر ولو أن فى هذه الدنيا مثلك من النقاد فسيفقد الشعر اللذة والمتعة فإن لكل وردة رائحة خاصة ولونًا خاصًا يميزها عن الأخرى .

السيد خان : (بأسارير غاضبة) كلامك صحيح. والنقد يختلف من شخص لآخر من وجهة نظركم .

رسوا : امراؤ جان ، حسنا اقرئى قصيدة أخرى .

امراؤ جان : انتظر قليلا فسوف أقدم لكم ، وبعد برهة قصيرة قالت :

ليل الفراق طويلٌ لا ينجلى

أفلا يبزغ السحر

حاضرو الجلسة : سبحان الله ؟! ما أجمل قولك ؟ أحسنت.

امراؤ جان (بعد أن تقدم التحيات) انتبهوا لهذا الشعر .

أصوات الآنات وصلت للسماء

وهوليس لديه خبر

رسوا : ما أجمل هذا الشعر ؟ أحسنت ، والحاضرون أثنوا على هذا الشعر أيضا .

امراؤ جان : هذا من كرمكم (وتقدم التحيات)

الفقراء والعجائز الذين فى حارتك

ليس لديهم طمع للذهب والمال

الأحباب : (أثنوا على الشعر)

امراؤ : (تقدم التحيات)

كان واجبا أن يفدى العاشق أحداً بروحه

لأن العاشق لا يستطيع أن يقضى حياته بهذا الشكل .

رسوا عجبا يا سيد خان ؟! اسمع هذا الشعر .

السيد خان : سبحان الله ؟! ما أجمل هذا الشعر .

امراؤ جان : (تقدم التحية) إنكم تقدروننى وترفعون من شأنى وهذا كرم منكم (مصرح) وإلا من أنا؟ وما أصلى ؟

أنا واثق بأن الحبيب لن يحضر

ومع ذلك تتجه الأنظار صوب الباب

السيد خان : هذا شعر جميل .

السيد بندت : ما أجمل أسلوبه ؟!

امراؤ : (تقدم التحيات)

أى أمل أعتمد عليه وأنظر إليه

كأن الشكوى لا أثر لها .

السيد خان : ما أحسن هذا الكلام الجميل فاللغة الفارسية تتقطر من هذا الشعر .

السيد منشى : مهما يكن ، فالمضمون له معنى جميل .

امراؤ : (تقدم التحيات)

نحن أسرى للعشق أيها الصياد

وليس لدينا رغبة إلى الجناح والريش

الأصدقاء : (يمدحون)

امراؤ : (تقدم التحيات)

مهما تكن النظرة غير صريحة

فلماذا لا تقع هذه النظرة على حالى .

السيد خان : نعم كلام جميل .

امراؤ : (تقدم التحيات) انتبهوا لهذا الشعر .

يا أدا ، نحن لا نقبل ولا نسلم أبدا

بأن القلب لا يكون له معرفة بالقلب .

السيد خان : ما أجمل هذا المقطع لقد ذكرت تجربتك ولكن رأى الناس خلاف ذلك .

امراؤ جان : مهما تكن التجربة شخصية فإننى ذكرتها كموضوع لشعرى .

رسوا : نعم ، عليك أن تعيدى شعرك مرة أخرى .

امراؤ : (بكل سرور)؛ ثم قرأت مرة أخرى .

رسوا : فإن جانبين من هذا الموضوع يخرجان من هذا الشعر .

السيد خان : حقا ، لقد قلت شيئا جميلا يا مرزا .

الأحباب :إن القصيدة من المطلع حتى المقطع كانت فى أسلوب شعرى واحد وصل فى جودته إلى أعلى درجة تنم عن تذوق للشعر .

السيد آغا : انظر إلى ترتيب الألفاظ .

السيد بندت : كأنها نثرت الدر .

امراؤ جان : تقف (تقدم التحيات) ؛ ....

منشى صاحب : يا سيد خان أنشد أنت الشعر أيضاً

السيد خان : سامحنى سيدى فإننى لا أتذكر شيئا .

رسوا : اقرا وأنشد شيئا .

قرأ السيد خان مطلعا واحداً أو بيتين من الشعر :

واأسفاه لا نجد الخمر

ولا لليلة واحدة فى الشهر .

رسوا : هذه كناية عن ليلة الرابع عشر .

السيد خان : (يقدم التحيات)

نجد الثناء على صياغة الشعر

ولا نجد الثناء على حسن الطلب .

السيد خان : (يقدم التحيات)

رسوا : قول جميل .

كنت من قبل أجد ما أتمناه بشقاوة أحد

ولكن الآن لا تتحقق آمالى.

رسوا :لا نظير لهذا الشعر ، لقد قلت شعرا جميلا ونادرا .

السيد خان : (يقدم التحيات)

وبعد هذا جاء رجل وكان فى يده فانوس .

السيد خان : من الذى حضر ؟ وما فائدة هذا الفانوس فى هذه الليلة المقمرة ؟

السيد نواب : سامحنى واعذرنى وأطلب منك الصفح لقد صدرت منى حماقة .

السيد خان : ياه السيد نواب ، لا ضير فى هذا الأمر .

دخل السيد نواب فأكرمه الجميع ، وقال غلبنى الشوق للمجىء إليكم فطلب منه إنشاد الشعر فقال ولكننى لا أتذكر شيئا .

الشيخ : يا سيدى يجب عليك أن تنشد الشعر .

السيد نواب : حسنا أنشد لكم الشىء الذى أتذكره .

يا أدا ، يوم ما ، يعجب القلب بأسلوب القاتل

وقد يحل سهم القضاء يومًا ما

الأصدقاء : سبحان الله ؟! ما أحسن مطلعك !

السيد نواب : (ينحنى ويقدم التحيات) ويقول انظروا هذا الشعر .

هناك من يضحى بنفسه ويحب الحور

وهناك من يحب الأصنام ؛ فالإنسان يومًا يجد الله تعالى

الأصدقاء : عجبا !!! ما أجمل هذا الشعر !

السيد نواب : (يقدم التحية) وبعد ذلك ظل صامتا

رسوا : الآن أنشدنا شيئا آخر .

السيد نواب : والله أنا لا أتذكر أى شىء الآن .

السيد منشى : يا سيد بندت أثنِ على فصاحة شعره ، واقرأ لنا أشعارك .

السيد بندت : امتثالا لأمرك ، سأنشد بعض الأشعار .

فى حالة الوصال جرى ذكر العدو باستمرار

فأصبحت متعة اللقاء وشربة الخمر سمًا فى حقى .

الأصدقاء : (يمدحونه)

السيد بندت : يا أيها الزاهد ، من يومين فقط صارت لك شهرة فى عبادة الحق

وإلا فإن ذكر الصنم مستمر فى الكعبة منذ زمن .

السيد نواب : نحن لا نستطيع أن نقول شعرًا جميلاً مثل هذا

السيد بندت : سواء تقول أو لا ، لكن حقا هذا الكلام صادق ، لاحظوا هذا الشعر .

أيها الواعظ لماذا يحنى ذلك الإنسان رأسه أمامك ؟

وهوالذى كان قد أحنى رأسه على أثر قدمى .

الأصدقاء :(يمدحونه)

السيد بندت : لقد كتبوا دفاتر كثيرة فى مدح الذوائب

فحالة اضطرابه تكتب مع كل شعره

رسوا : هذا الشعر من الأسلوب الخاص بمدينة لكهنو.

السيد بندت : وهل أنت من دهلى ؟ .....

رسوا : نعم ، أنشد الشعر لقد قلت قولا فقط .

السيد بندت : القلب الذى كان وردة يانعة فى حديقة الآمال

أصبح يعانى من أشواك حسرات الآلام والأحزان .

السيد نواب : انظر ، ما أجمل هذا الشعر !

السيد خان : لاحظ قوة الألفاظ .

السيد بندت : (يقدم التحيات) ، اسمعوا هذا المقطع .

يا مخمور ألم تستطع أن تؤدى حق شكره

وفى كل الأنفاس التى أكرمك بها خالقك مدد للحياة .

السيد خان : سبحان الله !! إن كل نفس يتنفسه الإنسان ويخرج منه يفرحه لأنه ممد للحياة .

رسوا : ياسيد خان بسببك إنشاد الشعر صعب جدا .

الأصدقاء : سبحان الله !!ما أجمل هذه القصيدة التى قده

السيد بندت : هذا من كرمكم ، والله ثناؤكم هذا تفضلٌ عا

السيد منشى : يا شيخ قل أنت أيضا بعض أشعارك .

الشيخ تبسم وقال : أنا لا أتذكر شيئا الآن .

السيد خان : لا ، من فضلك تـذكر ؛ ففى جعبتك سبعون بيتا من القصيدة الغزلية .

الشيخ : والله لا أتذكر شيئا ، ولكنى نظمت أربعة أبيات الآن .

رسوا : ولماذا لا تسمعنا إياهم ؟

الشيخ : سأقرأ عليكم .

السؤال هوالسؤال والطلب هو الطلب الذى يكون فيه إصرار

والكلام هوالكلام الذى لا يكون فيه إنكار .

الأصدقاء : (يمدحونه)

الشيخ : (يقدم التحية) ، أنت على قارعة السوق مثل يوسف

أفلا تخجل إذا لم تجد الشارى

رسوا : ما أجمل هذا الشعر !

الشيخ : (يقدم التحيات) :

لا يكون ذ ا قلبٍ جميلٍ من لا يستحسن الجمال

ذلك الجنس الجيد لا يكون له شارى .

السيد خان : جميل جدا .

الشيخ : (يقدم التحيات)

إنك تقسم بقتل العشاق ، ونحن لا نسلم لك

إن لم يكن السيف فى يدك

وفى هذه الأثناء جاء رجل وأعطى منشى أحمد حسين ورقة وبعد ما قرأها قال : إن السيد مرزا لن يحضر اليوم ولكنه أرسل أحدث ما ألفه من شعر الغزل .

فسأل منشى الرجل وماذا يعمل ؟

تبسم الرجل قائلا : نعم سيدى هو يزين ويرتب إصيصات الأشجار الإنجليزية فى الحديقة عند الترعة المستديرة بين الصخور ويروى البستانى هذه الأشجار منذ زمن ، ورسوا ليس لديه وقت للفراغ من أعماله فكيف يأتى إلى مجلس المشاعرة .

السيد منشى : والله لقد جرد المجلس من المتعة بعدم حضوره ؛ ..... على كل حال اقرأ الغزل .

رسوا : لا تطلب منى قراءة الأشعار .

السيد منشى : نعم لقد تذكرت ، فلتقدم غزليتك أنت أولا .

رسوا :

لا تسألنى كيف أقضى أيام حياتى

فإننا لا نموت ولا نحيا فى فراق حبيب قاس .

والأصدقاء المنصفون كانوا يثنون على كل شعر ويمدحونه وكان السيد منشى فى حالة من الوجد ، وكانت امراؤ جان يهتز جسدها نشوة ؛ وتقول لا يسألنى أحد ماذا كان حال قلبى .

السيد منشى : نعم يا سيد أغا قل لنا أنت أيضا بعض الأشعار .

السيد أغا : نعم ، اسمعوا المطلع الأول لهذه القصيدة .

لو يكون هناك استعدادات بمثل هذا الشكل

وتكون هناك البازلاء المغلية وزجاجة الخمر فقلبى يطمئن .

الأصدقاء : يا سيد آغا ، ما أجمل هذا المقطع !.

السيد آغا : أيها السادة أنتم لم تسمعوا شيئا ، اسمعوا المطلع الثانى .

آتى بموضوع يكون أكثر صعوبة

يكون أحسن من المطلع الأول .

الأحباب : مما لا شك فيه أن هذا المطلع هو أول مطلع لك .

السيد آغا : لاحظوا هذا الشعر (وكان يقصد النواب بهذا الشعر ، الذى كان يلبس جلبابا خفيفا بلون اللوز ويرتدى عليه سترة من القماش الرقيق وكان زرارها مفتوحاً وبيده مروحة جميلة يحركها)

لوألتقى بها فى أيام الشتاء فلا داعى للغم فلا نهتم بالشتاء

فستكون ذوائبك على كتفى لو لم يكن هناك رداء .

الأصدقاء : (يمدحونه)

السيد آغا :

تقول أن المجنون يكون مسرورا فى حالة البؤس

كلما تظهر وتخضر براعم القلب لتأكل ناقة ليلى .

السيد بندت : يا سبحان الله ، فأبياتك الأربعة لا نظير لها ، وأنك قد أخرجت بشعرك طعما ، وجعلت من البؤس طعاما للناقة .

الأصدقاء : والله لقد فهمناه جيدا ، إن لم يكن هناك فهم ، فليكن مثل هذا الفهم .

السيد آغا : لا ، إنه ليس ضرورياً الآن ، اسمعوا هذا الشعر .

قل للعشاق بأن يكفوا عن البكاء

ومن يصل بهم إلى منازلهم إذا كان الطريق موحلا .

الشيخ : شعر جميل .

رسوا : (للسيد خان) لماذا أنت صامت هكذا ولماذا لا تعترض ؟.... وعليك أن تنقد الشعر .

السيد آغا : نعم سيدى ، أيكون سكوت الإنسان الذى يقدر الآخر ليس جميلا ؟!

السيد خان : لا تعتبر استحسانى استحسان إنسان جاهل ؛ فلذلك أنا صامت .

السيد آغا : لا يا سيدى ؛ إننى لست بليدا إلى هذه الدرجة ، وضحك الأحباب على هذا الكلام .

السيد آغا : لاحظوا هذا الشعر

نحن نغبط أنفسنا فيظهر من ذاتنا إنسان آخر

ولونظر العاشق الآخر إلى اثنين مثلنا لغبطنا

الأصدقاء : يا سيد آغا سبحان الله ما أرق خيالك ؟!

السيد آغا :

الحبيب للآن سنه صغير

ولديه رغبة فى أن يطير طائرات ورقية .

كان يشير بهذا الشعر إلى السيد نواب بأنه قد خرج من بيته موكب الطائرات الورقية .

السيد آغا :

يا من تقول أشعارا معناها مغلقُ

فكيف يظهر السر عندما يكون الباب مقفولا .

رسوا : يا سيد آغا ، ما أجمل هذا الشعر الذى قلته ! من فضلك يا امراؤ جان اسمعى ، ما أجمل هذا الشعر !

امراؤ جان :سبحان الله !!..لقد فهمت من قبل فله أن يقول كما يشاء ، فله الأمر وأنت كما لك .

السيد آغا : لا تقولى بأنه يكون مالك خازن النار ، حسنا اسمعوا ...

بأى طريقة تسعد الحبيب صغير السن

عندما لا يكون هناك حلوى أو شىء مملح .

الأصدقاء : عجبا ما أجمل هذا القول !

السيد آغا :

أحيانا نشتم وأحيانا نضرب بالحذاء

فالإنسان يستمتع بالحكومة عندما يكون المعشوق رذلا .

السيد خان : قولك هذا صحيح ولكن هذا بعيد عن شرفك .

السيد آغا : ومن الشريف فى هذا الزمان ؟!

بفضل الله نزل الزوج من تحت العرش

فليس هناك خبيت مثلى ولا خبيثة مثلك .

السيد نواب : سيدى ، حسنا ، ولكنك إلى من تشير ؟!

السيد آغا :حضرتك تفهمه جيدا ، وأنت تحفظ السر وكما يقال السر عند كرام الناس مكتوم .

السيد خان : أجبنى .

السيد آغا : كيف أجيب ؟! اسمع هذا الشعر .

نحن نموت على أساليب الغانيات الرقيقة

التى يكون فيها غمزة من غمزات الجمل وقفزة مثل قفزات الفرس .

الأصدقاء : يا الله ؟! ما هذه الهمة ؟

السيد آغا :حسنا لا عليك ، اسمع هذا .

إننى سأمزق قلبى لوقمت من جانبى

وسأفقع عينى لو أنت تغيب عن ناظرى .

الأصدقاء : أحسنت

السيد آغا : ينشد قائلا :

إن سذاجتك فى عالم غريب

حيث لا يكون هناك ضفائر ولا المشط ولا الكحل .

امراؤ : نعم فهل تجلس بهذا الشكل الردىء ليل نهار ؟!

السيد آغا : هذه هى متعة البساطة وتكون أقل نفقة ...(واللطيف فى هذا الكلام والمزاح أن امراؤ جان كانت معروفة بالخسة والبخل)

عندما يطلب منى أحد مليما فأنا أعطيه مليما .

وعندما يطلب قرشا أعطيه قرشا فى الخفاء ولا داعى للمشاجرة .

الأصدقاء : ما أجمل هذا المصرع !

السيد خان : هذه المصارع كلها تنتهى بقافية (الأرذل) وعليك أن تراعى هذه القافية .

(فتضحك امراؤ جان وتهتز بشدة بسبب الضحك)

السيد آغا : حسنا ، لا تنشد مثل هذه الأشعار لأن بها مذلة الحبيب ، اسمع هذا الخيال الرقيق .

نحن فى خصرك الرقيق الذى يشبه علامة X

وكيف يفهم هذا الكلام الرقيق الذى يكون طبعه بليداً .

السيد خان : إنى أعترف بأن طبعى هكذا كما قلت ، ولوجه الله فهمنى معنى هذه العلامة (+)

السيد آغا : إرضاء لخاطرك ، كم من الناس المحاسبين عندما يحاسبون الناس ولا يكون لديهم أى شىء يضعون هذه العلامة X

ولذلك استخرجت هذا المعنى بأن الخصر معدوم وهناك شىء آخر بأن خطا واحدا يقطع الآخر (+) فى الوسط ويظهر من هذا أن خصر المحبوب مقطوع أولا ثم مربوط ببقية جسمه .

السيد خان : وكيف يمكن هذا ؟

السيد آغا : الآن لا تسألنى عن هذه المعضلة ؟على كل حال أيها السادة فإن هذه العلامة (+) هى علامة الجمع فى علم الرياضيات وأجمل شىء فى هذا فإن ليس للمعدوم أى مقدار محدد لهذه العلامة فمعناه أن الخصر معوم ولكن كلاهما ملتصق بالجسم .

الأصدقاء : يا حضرات إلى آخر مدى بلغت هذه الرقة فى الخيال ولو يكون الإنسان عنده علم بلا حدود فيفهم شعرك .

السيد آغا : ولذلك أنا لا أقرأ الشعر أمام عامة الناس ، واأسفاه لو يكون الأستاذ المرحوم على قيد الحياة فكان يثنى على هذا الشعر

وقليلا ما يشرح هذه الأشعار ويمدحها ولم يبق أحد من بين الناس الذين يفهمون هذا الشعر ولقد تعبت كثيرا وليس هناك أحد يقدر هذا الشعر

يا قزاق ، كفى ....عليك أن توقف طبعك الجياش

لأنه يثير الغضب ويحدث التموج فى جيوش الموضوعات .

الأصدقاء : من فضلك يا سيد آغا أعد علينا هذا المقطع .

السيد نواب : ما هذا التخلص ؟ إنك وضعت تخلصا قويا (قزاق) !!!!

السيد آغا : اعذرنى ، التخلص هذا اسم شعرى وليس رديئا إلى هذه الدرجة ؛ فأولا من ناحية العائلة فآبائى وأجدادى أنا العبد المرحب به كانوا قطاع طرق فى صحراء القوقاز والسبب الثانى أن أستاذى رحمه الله كان يتخلص بسارق ولم يكن لائقا به (لكى لا تخجل روحه) لأنه طوال حياته كان يسرق موضوعات أشعار الآخرين وينظم منها أشعارًا له ، انظر إلى ديوانه الكامل لا يوجد فيه شعر جديد وعندما جاء فرس القلم الأشهب فى يدى فأنا اعتبرت السرقة منافية لشانى وكرامتى ولهذا السبب اخترت تخلص قزاق ومهما يكن ففيه إلى حد ما لباقة فى هذا التخلص وهذا من أصول وقواعد هذا العبد وستبقى هذه القاعدة بأننى أنهب موضوعات الشعراء السابقين واللاحقين وأتصرف فيها .

السيد نواب : مبروك

وفى نهاية الجلسة الشعرية ، وزعت أكواب من الفالسا المثلجة وأخذ كل واحد قطعتين منها ثم ذهبوا كلهم إلى بيوتهم .

ثم مدوا السماط وتناولنا الطعام أنا ومنشى وامراؤ وقال منشى يخاطب امراؤ جان .

السيد منشى : من فضلك يا امراؤ جان ، اقرئى لنا المقطع الذى قرأتهِ من قبل .

امراؤ جان :

فى زماننا هذا يعرف أحوال القلب وأسراره فى حالة الضياع

ولا يسمعنا أحد ولكن نعيش لنتمتع بزماننا .

يا أدا ، لمن نروى حكاية قلبنا المضنى

وأننا طفنا فى العالم لفترة طويلة فى حالة التشرد .

السيد منشى : مما لا شك فيه بأن أحوالك كانت جذابة ؛ منذ أن قرأت هذا المقطع .

اذكرى سيرتك فإنها لا تكون خالية من المتعة وأنا أيدت كلام منشئ ولكن امراؤ جان كانت تتجنب هذا الموضوع وتقول : لا..لا وتقول بأن

السيد منشى كان يحب القصص والحكايات منذ صغر سنه ؛ فقد قرأ كتاب ألف ليلة وليلة والأمير حمزة بالإضافة إلى جميع مجلدات بوستان الخيال .

ولم يكن هناك رواية لم يقرأها ولكن عند إقامته فى لكهن ولعدة أيام تعلم الأساليب اللغوية لأهل لكهنو ، فزالت من قلبه الروايات التافهة ذات اللغة المتكلفة والأحاديث المليئة بالتعصب واستحسن لغة أهل لكهنو وكلامهم وأحاديثهم الجميلة وقد ظهرت هذه الفكرة فى قلبه بعد سماع مطلع امراؤ جان الذى سمعناه من قبل ....خلاصة القول إن اشتياق السيد منشى وإصراره جعل إمراؤ جان توافق على أن تحكى قصة حياتها ، والحق أقول ولا شك فى هذا الأمر أن كلامها كان واضحا سلسا ولم لا فإنها كانت متعلمة وتربت منذ طفولتها فى وسط الغانيات ذوات الثقافة والمكانة العالية وصاحبت الأمراء وأولاد الأعيان حتى وصلت إلى القصور الملكية والذى رأته بعينها لم يسمعه الناس بآذانهم .... وعندما قدمت لها مسودة الكتاب غضبت جدا ولكن ماذا كانت تفعل وبعدما فكرت سكتت ثم قرأتها بنفسها وأصلحت ما سقط سهوا فى أثناء الكتابة ، وإننى أعرف امراؤ جان عندما كانت لها علاقة مع السيد نواب وفى تلك الأيام كثيرا ما كنت أجلس عندهم وكل ما جاء فى هذه السيرة لا أشك فى صحته ولو بكلمة واحدة ولا أشك فى أى كلمة وردت فيها وهذا هو رأيى الشخصى والخيار للقراء فليتخيلوا كما يشاءون .

مرزا رسوا

لكهنو - مارس ١٨٩٩

الفصل الأول

(١)

هل أحكى قصة حياتى أم قصة العالم

فلكل قصة لذة ومتعة.

يا سيد ميرزا ما المتعة التى ستجدها فى سماع قصتى ؟! إنك تسألنى عن كل صغيرة و كبيرة ، فلماذا أنت مشتاق لسماع قصة حياتى البائسة ؟!! وما المتعة التى تجدها فى حياة إنسانة حزينة غريبة عن الوطن سببت العار لأسرتها فى الدارين . لهذا أصغ إلىّ ولا أمل لى فى أن قصتى ستسعدك.

فما الفائدة من الافتخار أمام الناس بذكر آبائى وأجدادى وأنا فى الحقيقة لا أتذكر أسماءهم، فقط أتذكر أن منزلنا كان يقع فى حى ما على أطراف مدينة فيض أباد وكان منزلاً فخماً بالنسبة للمنازل المجاورة لنا والتى كان بناؤها من الخشب والطين وأهل هذه المنطقة من الطبقة المتوسطة والفقيرة، وبعضهم من أصحاب الحرف الصغيرة كالحلاقين والسقائين والغسالين وصانعى الأوانى الفخارية. وكان فى هذا الحى

منزلٌ أخر عالٍ غير منزلنا وكان صاحب هذا المنزل اسمه دلاور خان ، وأذكر أن والدى كان حارساً على مقبرة السيدة "بهوبيكم" وأنا لا أعرف اسمه ولا حتى راتبه، فقط أتذكر بأن الناس كانوا ينادونه جمعدار. وأما أنا فقد كنت أداعب أخى الصغير طوال النهار والذى كان يحبنى لدرجة أنه لا يفارقنى لحظة واحدة. وعندما كان أبى يعود من عمله مساء فلا تسأل فيها عن سعادتنا أنا وأخى ، وكنت ألتف حول ظهره وأخى كان يجرى مسرعا ويجذبه من طرف ثوبه وكان وجه أبى يتلألأ فرحا مسرورا فكان يربت على كتفى ويمسح بيديه على ظهرى ويرفع أخى الصغير ويقبله ويضمه فى حضنه وأنا أتذكر جيدا بأنه كان لا يعود إلى البيت ويده خالية فهو أحيانا يحمل أعواداً من القصب وأحياناً يحمل لنا بعض الحلوى اللذيذة. ثم يقسم هذه الأشياء بيننا وكانت تحدث مشاجرات لطيفة بينى وبين أخى ، فهو يخطف عود القصب وكنت أخذ كيس الحلوى أما أمى فكانت تجلس فى المطبخ لتعد لنا الطعام.

وقبل أن يجلس أبى تبدأ مطالبى : أبى ، أبى ، يا ربى !! أنت لم تحضر لى عروسة ، انظر إلىّ ، الحذاء ممزق فى قدمى وأنت لا تهتم بأى شىء وحتى الآن لم تحضر لى العقد من عند الصائغ فماذا ألبس؟! مهما كانت الظروف لابد أن ألبس ملابس جديدة فى يوم العيد، ولم لا ؟

ولما فرغت أمى من إعداد الطعام نادت علىّ فذهبت وأحضرت الخبز والإدام ووضعت مائدة الطعام وتناولنا الطعام وشكرنا الله على ما تفضل به وأنعم ، وبعد صلاة العشاء نام أبى.

وفى اليوم التالى استيقظ أبى مبكراً مع تباشير الصباح. فصلى صلاة الفجر واستيقظت أنا فى ذلك الوقت، وبدأت مطالبى.

يا أبى ، لا تنس اليوم أن تحضر لى عروسة ، وأحضر لنا بعضا من الفواكه والبرتقال. وبعد أن فرغ أبى من ختم صلاة الصبح صعد إلى سطح المنزل ففتح قفص الحمام ثم ألقى إليها الحبوب وأطلق واحدة أو اثنتين فى الهواء ، وفى تلك الأثناء كانت أمى قد فرغت من تنظيف المنزل وأخذت تعد طعام الإفطار لأن أبى يذهب إلى العمل مبكراً. وأمى بدأت تطرز بعض الملابس أما أنا فقد كنت أخرج إلى الحى ومعى أخى الصغير.

وكنت أذهب عند شجرة التمر هندى بالقرب من البوابة فأضع أخى هناك فى مكان ما، وكنت أذهب لألعب مع أصحابى ، ما أجمل تلك الأيام لم تكن عندى هموم وكنت آكل أطيب الأطعمة وألبس أحسن الملابس ولم يكن أحد من أصحابى فى نظرى أفضل منى ، لم يكن قلبى مهموما ولم تكن عيونى متحيرة ومتطلعة لما عند الأخرين لأن الحى الذى كنت أسكن فيه لم يكن أى منزل أعلى من منزلنا. ولم يكن هناك أحد فى مستوى معيشتنا وجميع أصحابى كانوا يسكنون إما فى حجرة صغيرة وإما فى كوخ ، أما فى منزلنا فكانت هناك نافذتان وأمامهما مظلة وكان المطبخ أمام النافذة وفى الناحية الأخرى كانت هناك سلالم تؤدى إلى السطح وعلى السطح مظلة أخرى وحجرتان وكانت لدينا أوانى المطبخ أكثر من اللازم. ولدينا العديد من السجاجيد والملاءات البيضاء. والناس فى الحى كانوا يأتون إلينا لاستعارتها. وكان السقاء يحضر الماء إلى منزلنا،

أما نساء الحى فكن يحضرن الماء بأنفسهن إلى منازلهن، وعندما كان يخرج والدى مرتديا زى الشرطة كان الناس يحترمونه. وكانت والدتى عندما تريد الذهاب إلى أى مكان كانت تذهب فى المحفة ، ولكن نساء الحى كن يذهبن سيراً على الأقدام.

وكنت أجمل صديقاتى رغم أننى حقيقة لا أعد فى حساب الجميلات ولم أكن مثلما أنا عليه الآن فبشرتى كانت فاتحة وبراقة وملامح وجهى مقبولة وجبهتى كانت مرتفعة إلى حد ما، وعيناى واسعتان ووجنتاى كانتا ورديتين ولم أكن فطيسة الأنف وكنت معتدلة القوام ولم أكن رقيقة الشعور فى هذه الأيام كما أنا الآن وكنت متناسقة الجسم ولم أكن أنيقة الملبس. وعلى هذا الجسد المتناسق كنت أرتدى بيجامة حمراء ضيقة عند الأقدام وتحت البيجامة كنت أرتدى قميصًا رقيقًا وفى معصمى ثلاث أساور فضية وفى عنقى عقدٌ ذهبىٌ وكنت أضع حلية ذهبية فى أنفى وكانت حلية أنف كل الفتيات فضية وأذناى كانتا مثقوبتين حديثًا وكان فيهما خيط أزرق ، وكان لدى قرط ذهبى يعده الصائغ وتمت خطبتى لابن عمتى وأنا فى التاسعة من عمرى وكان هناك إصرار لإتمام الزواج .....أما عمتى فقد كانت متزوجة فى مدينة نواب كنجى وزوج عمتى كان إقطاعيا ومنزل عمتى كان أكثر اتساعا من منزلنا وكل الأشياء متوفرة فيه أكثر من منزلنا .

وقبل خطبتى ذهبت عدة مرات إلى هناك مع أمى، وكان طراز البيت كأى بيت ريفى جدرانه من الطوب اللبن وسقفه من القش والمنزل به

خطيرة وبالرغم من أنها قذرة لكنها واسعة وبها الأبقار والجاموس والثيران، وكان السمن واللبن موجودَيْن بوفرة وكذلك الحبوب والغلال وفى موسم جنى محصول الذرة كانوا يجمعون الذرة فى سلال كبيرة وكانت أعواد قصب السكر كثيرة آكل منها كيفما أشاء .

ورأيت خطيبى ولعبت معه وكان أبى يفكر فى المال لإعداد جهازى وكان مقرراً أن أتزوج فى شهر رجب وبينما يتحدث أبى مع أمى فى أمر زواجى كنت أتصنت وأسمع حديثهما، وكان ذلك يبعث السرور فى قلبى، ولكنى لا أظهر هذا الفرح .

يا للعجب فقد كان وجه خطيبى أجمل وأحسن من وجه خطيب كريمة ابنة المنجد التى كانت فى نفس عمرى ومخطوبة أيضًا ، وكان خطيبها أسمر اللون وخطيبى يتمتع ببشرة بيضاء وخطيب كريمة ذا لحية كبيرة بينما لم ينبت شارب خطيبى وخطيب كريمة دائما يلبس إزارا قذراً ويلبس صديريا رماديا باهتا ، ولما جاء فى يوم العيد جاء فى عزة وفخامة يرتدى بيجامة من الحرير وحذاء من القطيفة وخطيب كريمة يضع قلنسوة على رأسه ويمشى حافى القدمين .

على أى حال فإننى كنت سعيدة بحياتى ، ولماذا لا أكون سعيدة فلم يخطر ببالى حال أحسن منها ويبد ولى تحقيق جميع أمنياتى فى المستقبل القريب ؛ فأنا لا أتذكر أىَ صدمة حدثت لى وأنا أعيش فى بيت أبى وأمى، فقط مرة واحدة عندما كنا نلعب مع الأطفال فى الرمال "جاند ادهيرى" سقطت الدبلة من إصبعى ولم تكن هذه الدبلة

غالية الثمن ورغم أن قيمتها ليست أكثر من آنة واحدة، إلا إننى بكيت بكاءً حارًا حتى تورمت عيناى ؛ وهذا لأننى فى ذلك الحين لم تكن لدى معرفة سابقة بثمن أى شىء وقد أخفيت هذا الأمر عن أمى طوال النهار، وفى المساء رأت أمى إصبعى خاليًا من الدبلة ، سألتنى فاضطررت إلى أن أقول لها الحقيقة فصفعتنى على وجهى وأخذت أبكى بصراخ عال ولم أستطع أن أسكت حتى اختنقت بالبكاء ، وفى ذلك الحين وصل أبى وواسانى وغضب من أمى وبعد ذلك هدأت واطمأن قلبى .

ومما لا شك فيه أن أبى كان يحبنى أكثر من أمى ؛ فأبى لا يضربنى ولو بالسواك ، أما أمى فقد كانت تضربنى على أى هفوة صغيرة، وكانت تحب أخى الصغير أكثر منى . وبسببه ضربت عدة مرات، ورغم هذا كنت أحبه حبًا جمًا ، وبسبب الخلاف مع أمى كنت أحيانًا أتركه لفترات طويلة تمتد ٦ ساعات لم أكن أضمه فى حضنى . وعندما أرى أمى ذهبت بعيداً عنى كنت على الفور أحضنه و أقبله فإذا رأيتها قادمة طرحته بعيداً عنى وهو يصرخ فتعتقد أمى أننى سبب بكائه فتنهرنى أمى بشدة وتصب لعناتها علىّ ورغم كل هذا أول ما تألم إصبعى صارت أمى قلقة علىّ جداً، فقد كانت تقلق علىّ أشد القلق ولو لألم بسيط لدرجة أنها تفقد أى رغبة فى الطعام أو الشراب ويطير النوم من عيونها ولا يغمض لها جفن وتظل تسأل كل من تراه عن الدواء وقد ترسل أحد الأشخاص لجلبه وإحضار كتاب الأدعية .

ومن أجل جهازى خلعت أمى كل مصاغها وأعطته لأبى لتصنيعه مرة أخرى مع إضافة نسبة من الفضة وكذلك أعطت له من الحلى واحدة

أو اثنتين ليجليها عند الصائغ لأنهما كانتا مصنوعتين حديثًا......
وأخرجت للجهاز جميع أدوات المطبخ ما عدا إناء واحدًا أو اثنين أبقتهم
في البيت وأعطت باقي الأواني لأبي ليأخذهم إلى مبيض النحاس حتى
إن والدي قال لأمي اتركي بعضًا من هذه الأواني لك فأنت لست مدركة
مدى احتياجك لهم في المستقبل..... فردت قائلة نعم قد يكون هذا
صحيحًا، وهي أختك ولكنها زوجة رجل غني، ويجب أن تشعر بأن
أخاها جهز ابنته جهازًا قيمًا، وبالرغم من أنها أختك إلا إنها حماة
وستسأل ابنتي عن جهازها ولا أريد أن يسيء إليها أحد من الناس .

والآن يا سيد ميرزا ، فلقد رسمت لك صورة واضحة عن طفولتي
وحياتي في بيت والدي فهل تستطيع أن تحكم من خلالها على حياتي
على هذا النحو، ولو استكملتها في ظل هذه الظروف الطيبة هل سأكون
سعيدة أم لا، وكيف يتأتى لعقلي الصغير إلا إنني كنت في أحسن حال .

بداية النفور كانت بسبب التشرد

وأنا أفهم ما حدث ولكن ماذا سيفهم الناصحون.

لقد سمعت الناس يذكرون الغانيات بكلام خبيث لأنهن تربين في
بيئة سيئة، ولا يذكرونهن إلا بالسوء ولا أريد أن تراني أمي وأخي على
هذه الحالة فمنذ خروجي من بيت أمي وأبي وأنا أشعر بأنني لا أستحق
جرعة ماء ....لقد حدثتك عن أحوالي وما أخبرتك به دعه الآن ، فقط عليك
أن تعرف أنني صاحبة حظ سيء فلم يتأخر زواجي، بسبب تعرفي على

رجل وبعد فترة تركنى ولم يتزوجنى ، وبسبب خروجى من البيت أصبحت حياتى جحيماً.

وقد سمعت فى حياتى قصصاً كثيرة عن انحراف الفتيات وأسبابه العديدة كأن تصبح الواحدة منهن فى مرحلة الشباب ولا يزوجها والداها لمن ترغب ويزوجانها ممن لا تحب أو تتزوج طبقا لرغبة والديها دون ملاحظة لسنه أو شكله أوحاله. أو لا يكون هناك توافق مع الزوج فلا تستطيع العيش معه فتهرب من الغابة التى تعيش فيها أو تصبح أرملة وهى فى عز شبابها فتتساقط عليها مصائب السماء فتنحرف ، واتفقنا بأننى سيئة الحظ حيث وقعت فى غابة ليس بها إلا طريق الضياع.

ودلاور خان هذا الرجل السىء الذى كان منزله لا يبعد عن منزلنا كثيراً كانت له علاقة بقطاع الطرق وسجن عدة سنوات بمدينة لكنهو ولم أعرف بوساطة من خرج من السجن وأطلق سراحه........ هذا الرجل كان بداخله عداوة وحقد دفين لأبى ... وسبب هذه العداوة أنه حينما ألقى القبض عليه فى مدينة فيض أباد استدعى كثير من الناس للتحقيقات الرسمية وكان والدى من بين هؤلاء الذين استدعوا للتحريات عن سيرته........وكان أبى صافى القلب صادق اللسان وفى هذه الواقعة أعطى المحقق لأبى المصحف وجعله يقسم عليه..... ثم قال له :

أيها الحارس قل الحق ، ماذا تعرف عن دلاور خان ؟

ووصف أبى حال " دلاور خان " بصراحة وبوضوح ، واستمر هذا الحقد الدفين فى قلبه حتى بعد خروجه من السجن ، وكان أبى

يحب تربية الحمام وعندما خرج دلاور خان من السجن أخذ يعمل فى تربية الحمام أيضا ، فطارت حمامة من برج أبى فأخذها دلاور خان ولم يعطها لأبى إلا بعد دفع مبلغ من المال ، وعندما ذهب أبى إلى عمله وقعت أنا فى قبضة هذا الظالم ، فقد كنت خرجت من المنزل فى وقت شروق الشمس فرآنى وأنا جالسة تحت شجرة التمر هندى وقال لى :

يا بنت تعالى لقد جاء والدك وأعطانى النقود ، تعالى وخذى الحمام.

فذهبت ومشيت معه ولم يكن بالمنزل أحد ولا حتى عصفور واحد ثم دخلت فى مكان مظلم وحيدة فقيدنى بسلسلة وكنت أريد أن أصرخ صرخات عالية، فأغلق فمى بقطعة قماش قذرة كى لا أصرخ وقيد يدىّ بمنديل قديم وكان لهذا المكان باب أخر من الناحية الأخرى فألقانى على الأرض وذهب وفتح الباب ونادى على صاحبه بير بخش ، وجاء بير بخش.

وبعد ذلك وضعانى فى عربة يجرها ثور وتحركت العربة واضطربت روحى وأنفاسى من الخوف ، وكانت أنفاسى تعلو وتهبط بعنف. ماذا أفعل فهأنا فريسة لا حيلة لى وقعت فى مخلب هذا المؤذى وأخذنى ووضع ركبتيه ورجله علىّ وفى يده سكين وكان الشرر يتطاير من عينيه.

وكان بير بخش يسوق العربة والثيران تجرى بسرعة كأنها تطير وبعد قليل أقبل المساء وحل الظلام فى جميع الأنحاء ، ووقع هذا فى يوم

من أيام الشتاء وكان الهواء شديداً وكانت فرائصى ترتعد من شدة البرد وكادت روحى تخرج من جسدى وانهمرت دموع عينى مدراراً.

كنت أفكر فى نفسى وأى مصيبة هذه التى وقعت علىّ ، وأن أبى عندما سيأتى من عمله سيبحث عنى وأمى ستسأل نفسها أين ذهبت البنت وأخى الصغير الذى يلعب لا يعرف فى أى مصيبة وقعت أخته .

وسيطرت هذه الأفكار علىّ من ناحية والخوف على حياتى من ناحية أخرى وكان يتراءى أمام ناظرى أبى وأمى وفناء المنزل والشرفة والمطبخ وأتحسر على تلك الأيام. وكان دلاور خان يهددنى بالسكين لحظة بعد أخرى وكنت أظن أنه فى أى لحظة سيطعننى بها فى كبدى ، ورغم أنه نزع القماش القذر من على فمى إلا إننى لم أستطع أن أصرخ بسبب الخوف...... وهكذا كان حالى . بينما دلاور خان وبير بخش كانا يتبادلان أطراف الحديث ويضحكان وكانا يسباننى أنا وأبى وأمى.

دلاور خان : انظر يا أخى بير بخش ، إن أخاك الشجاع يأخذ ثأره بعد اثنى عشر عاماً فكيف حال صاحبنا الآن؟! بالتاكيد إنه يتحسر على ابنته.

بير بخش : مما لا شك فيه أنك ضربت مثلاً فبعد اثنى عشر عاماً من سجنك انتقمت .

دلاور خان: يا أخى اثنا عشر عاماً وأنا أكابد المصائب فى لكهنو سأجعله يذكر هذا اليوم ، وهذا أول انتقامى منه وسأقتلها .

بير بخش : هل هذه رغبتك؟

دلاور خان: كيف تفهم!! إذا لم أقتلها فأنا لست من البتهان الشجعان

بير بخش .. يا أخى افعل ما تراه حقًا.

دلاور خان : ... حسنا .

بير بخش: .. وماذا ستفعل بها ؟

دلاور خان: ماذا أعمل ؟ نقتلها فى أى مكان ونرميها فى المصرف. وسنعود إلى البيت فى نفس الليلة .

وأيقنت بعد هذا الكلام أننى سأموت حتمًا، فتحجرت الدموع فى عينى وصدمت صدمة قوية واستسلمت للموت وخارت قواى ولم يترحم هذا القاسى على رؤيته لحالى بل لكمنى لكمة شديدة فى صدرى كدت أقع منها على الأرض .

بير بخش : أنت ستقتلها وأين نقودى ؟

دلاور خان: .. سأدفعها لك

بير بخش : ومن أين ستعطيها لى ؟! فأنا أعرف حالك جيدا !!

دلاور خان: عندما أصل إلى البيت سأعطيك المبلغ بعد بيع الحمام ..

بير بخش: أنت أحمق وغبى ، لماذا تبيع الحمام ؟ إن لى رأيًا آخر

دلاور خان: تكلم .

بير بخش : اسمع كلامى نذهب إلى لكهنو ونبيع البنت.

وفى ذلك الحين أصبحت على يقين بأننى سأموت، وأنا لم أستطع أن أسمع كلام هذين المؤذيين جيدا، وكنت أشعر كأننى فى حلم، وبعد سماعى لحديث بير بخش لاح لقلبى أملٌ ضئيلٌ فى الحياة مرة أخرى وبدأت أدعو لبير بخش فى سرى والآن انظر ماذ ا يقول هذا المؤذى دلاور خان ..

دلاور خان: طيب سنرى

بير بخش ألا نتوقف قليلا فى هذا المكان ، هناك نار موقدة تحت الشجرة ، فلنحضر قليلا من النار للشيشة. وذهب بير بخش لإحضار النار ولكن قد يقتلنى دلاور خان قبل أن يعود بير بخش - فدائما الحرص على الحياة شىء سىء وفجأة صرخت، وبمجرد ما صرخت صفعنى دلاور خان مرتين أو ثلاث مرات على وجهى بشدة قائلاً :

يا بنت الحرام ، لماذا ترفعين صوتك وتمثلين مسرحية ؟ إذا لم تسكتى سأدخل هذه السكينة فى كبدك .

بير بخش: - لم يبتعد كثيراً - لا يا أخى لا تفعل، أحلفك برأسى وحياتى لا تعمل هذا العمل ، على الأقل إلى أن أرجع .

دلاور خان: طيب اذهب وأحضر النار .

ذهب بير بخش وبعد قليل جاء وأحضر النار وجهز الشيشة وأعطاها لدلاور خان .

بعد ما أخذ دلاور خان نفسًا من الشيشة قال: هى تباع بكم ؟ ومن الذى يبيعها ؟ ولو اتمسكنا وقبض علينا ستكون مشكلة أخرى .

بير بخش : سأبيعها على مسئوليتى ، ومن الذى سيقبض علينا ؟! إن مثل هذه الأمور تتم ليلاً ونهارًا وصباحًا ومساءً فى لكهنو ، هل تعرف أخا زوجتى ؟

دلاور خان: تقصد كريم ؟

بير بخش: إن أكل عيشه هو بيع وشراء الجاريات ؛ فإنه خطف أكثر من عشرين من الفتيان والفتيات وباعهم فى لكهنو وقبض ثمنهم .

دلاور خان: .. أين هو هذه الأيام ؟

بير بخش: أين هو الآن ؟! أين يذهب؟! إنه فى لكهنو عند أهل زوجته بعد نهر كومتى الصغير .

دلاور خان: يا ترى كم ثمن البنت ؟

بير بخش : حسب جمالها !

دلاور خان : وهذه البنت ما ثمنها ؟

بير بخش : مائة ، أو مائة وخمسون روبية ، أنت وحظك .

دلاور خان هذا رأى كريم مائة أو مائة وخمسون ، وهل هى جميلة المنظر؟ إنها ليست جميلة ولو بيعت بمائة روبية فهذا كثير .

بير بخش: الأفضل أن نأخذ مائة الروبية فما الفائدة من قتلها ؟

وبعد ذلك همس دلاور خان فى أذن بير بخش بكلام لم أسمعه .

ورد بير بخش قائلا : كلنا نفهم هذا وأنت لست غبيًا إلى هذه الدرجة . وسارت العربة طوال الليل وكانت أنفاسى لاهثة والموت أمام

عينيّ وقد سلبت الأحاسيس من جسمى ولم أشعر إلا وقد وأصبح جسمى متنملاً خامداً كأنه مخدرٌ ، ولعلك يا سيد مرزا سمعت أن النوم أحيانا يأتى للمرء وهو على حبل المشنقة. وبعد قليل نمت وغطانى بير بخش بغطاء الثيران شفقة عليّ لوجه الله ..

وفزعت عدة مرات بالليل بسبب الخوف ولكنى ظللت ساكنة صامتة ، وأخيراً رفعت الغطاء عن وجهى فعرفت أننى لوحدى فى العربة وكنت أسترق النظر من وراء الستار، فرأيت بعض المنازل المبنية بالطوب النيئ ومحلاً للبقالة وبير بخش ودلاور خان يشتريان منه بعض الأشياء ، بينما كانت الثيران تأكل العلف أسفل شجرة البركد واثنان أو ثلاثة من الفلاحين يجلسون للتدفئة حول النار وأحدهم يدخن الشيشة وفى تلك الأثناء جاءنى بير بخش وأعطانى قليلاً من الحمص وكنت جائعة فلم أتناول شيئًا طوال الليل، فأكلته وبعد قليل أعطانى إبريق ماء فشربت منه قليلاً ثم ظللت صامتة ، وتوقفت العربة فى هذا المكان لوقت طويل ثم ربط بير بخش الثور بالعربة وجهز دلاور خان الشيشة وجلس عندى وانطلقت العربة بسرعة. وفى النهار لم يكن دلاور خان غليظ القلب عليّ ، ولم يخرج سكينته ولم أتلق أى لكمات وكذلك لم يكن هناك أى سباب .

ودلاور خان وبير بخش كانا يعدان الشيشة ويشربانها سويًا ويتحدثان وحينما يملا الحديث يغنيان ، أحدهما يغنى والأخر يستمع صامتًا ولكنه كان يفكر فيما سيقوله بعده ، ثم يتناولان حديثًا أخر ،

وفى أثناء أحاديثهما كثيراً ما يسبان بعضهما ويتبادلان الشتائم. وفى أحد الأحاديث شمرا سواعدهما واستعد كلٌ منهما للتشاجر ، ونزل أحدهما من العربة واستعد الأخر ليخنقه من رقبته ، ولكنهما سرعان ما تصالحا ثم هدأ الاثنان وبدأ بينهما حديث الأخوة والصداقة من جديد وكأنهما لم يتشاجرا قط .

دلاور خان : ليست بيننا خصومة، فقط كان كلاماً

بير بخش : ما هذا الكلام ؟ .

دلاور خان: انس هذا الكلام

بير بخش : متعجباً ، أنساه ؟؟

(٢)

أيها الصياد اسمح لى أن أتحرر من قيدى

فهذه أول ليلة فى الأسر.

ها أنت يا سيد مرزا قد علمت أحوالى منذ أول ليلة لاعتقالى ، آه...... آه..... ولن أنسى عجزى وقلة حيلتى فى هذه الليلة ، لن أنساها طوال حياتى ولكنى متحيرة لماذا أنقذت ؟!! ولماذا لم أمت ؟!! ولماذا بقيت على قيد الحياة ؟؟ ياه ؟! إلى أى مدى كنت شديدة التعلق

بالحياة وكنت قوية الأعصاب فلم أمت ؟! ودلاور خان نال جزاءه فى الدنيا ، ولكن هل هذا يهدئ قلبى ؟ ولو كنت قطعت جسده بيدى إربًا.... إربًا ، وأطعمته للطيور الجارحة لم تكن لتخرج من قلبى كلمة تأسفا عليه!!! ، ولكنى على يقين بأنه فى قبره يضرب بمطارق جهنم وبأسواطها صباحًا ومساءً وإن شاء الله سيكون عذابه أشد يوم القيامة.

وأسفاه ؟! لا أدرى شيئًا عن أحوال أبى وأمى، كم هما قلقان ومضطربان بشأنى ، وكم يتحسران علىّ ، ويبكيان من أجلى بكاءً شديدًا .

ياسيد مرزا ، ماذا تستفيد من سماع حكاية تشردى ؟!! فلنكتف اليوم بهذا القدر، وسأروى لك الباقى غدًا ؛ فأنا أرغب فى البكاء بصوت عال .

كنت أتمنى أن يقتلنى دلاور خان وكان هذا أفضل لى لأن عصمتى وشرفى كان سيُستران بحفنة من التراب ، ولم يلحق العار بوالدىّ ولم يسود وجههما فى الدنيا بسببى ، نعم لقد رأيت أمى مرة واحدة منذ زمن بعيد ، والله أعلم هل هى على قيد الحياة أم لا ؟ وسمعت بأن أخى الصغير له ولد – ما شاء الله – فى سن أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا، وله أيضًا ابنتان ويتشوق قلبى لرؤياهم جميعا .

وهذا ليس ببعيد ؛ فالمكان ليس بعيدا ، فالمرء يصل إلى فيض أباد بروبية واحدة ولكن ماذا أفعل لأننى كنت معذورة ؛ ففى تلك الأيام كانت

المسافة من فيض أباد حتى لكهنو تستغرق أربعة أيام قبل ظهور القطار ، وقد أتى بى دلاور خان من طرق غير ممهدة خشيةً مطاردة والدى له وأنا المسكينة الساذجة لم أكن أعرف أين لكهنو، فقد وصلنا إليها بعد ثمانية أيام ، ولكنى قد فهمت على الأقل من الحديث الذى دار بين دلاور خان وبير بخش بأنهما يأخذاننى إليها. ...

و كنت أسمع اسم لكهنو يتردد كثيراً فى منزلنا لأن جدى لأمى كان موظفًا بها ؛ فقد كان يعمل حارسًا ضمن حراس أحد القصور، ودائمًا ما كنا نتكلم عنه فى البيت، وذات مرة جاء إلينا فى فيض أباد وأحضر لى كثيراً من الحلوى واللعب وكنت أعرفه جيداً.

وبعد عبورنا لنهر كومتى ، أنزلانى فى منزل أهل زوجة كريم وهو بيت صغير، وكانت حماة كريم تبدو بمنظرها القبيح وكأنها مغسلة للأموات فأخذتنى وحبستنى فى حجرة صغيرة مظلمة حتى الصباح ، وفى الصباح علمت بأنى حاليًا فى لكهنو وظللت محبوسة فى الحجرة حتى الظهر.

ثم انفتح الباب فجأة، وضعت امراة فى منتصف العمر - وهى زوجة كريم - أمامى ثلاثة أرغفة وسلطانية من الخزف بها قليل من العدس وأبريقًا من الفخار مليئًا بالماء، ثم ذهبت ومضت ، وفى ذلك الوقت كان هذا الطعام بالنسبة لى نعمة كبيرة فقد مرت ثمانية أيام بدون أن أتناول طعاما معداً فى البيت ، وفى الطريق لم أتناول

سوى بعض الحبوب من العدس الجاف (الستو) وحوالى نصف أبريق من الماء ثم بعد ذلك مددت قدميّ ونمت بدون أى هموم والله يعلم كم مضى من الوقت وأنا نائمة، ولقد نمت لأننى لم أستطع أن أميز بين الليل والنهار فى هذه الغرفة الصغيرة المظلمة.

وفى هذه الأثناء استيقظت عدة مرات وكلما فتحت عيونى أجد نفسى وحيدة والظلام يحيط بى من كل اتجاه ، فغطيت وجهى بالخمار حتى غلبنى النوم مرة أخرى، ولكنى استيقظت مرة ثالثة ورابعة ولم أستطع أن أنام بعد ذلك وظللت مستيقظة. وفى نفس الوقت دخلت حماة كريم بوجهها القبيح كأنها ساحرة وأفزعتنى وقالت لى:

انهضى كم من الوقت تنام الجوارى ؟؟

لقد حركناك بشدة وبح صوتنا فى صحيانك من النوم وأنت ميتة لا تتحركين ولا تتكلمين ، وسمعت كلامها وأنا صامتة ، وعندما أنهت كلامها المرير سألتنى: أين الكوب ؟ فأخذته وناولتها إياه ثم خرجت وقفلت باب الحجرة .

وبعد قليل جاءت زوجة كريم وكان هناك شباك فى الحجرة ففتحته وكان من نصيبى أن أرى السماء ، ولم ألبث إلا وقد حبسونى فى نفس هذا المكان الخرب.

وفى هذه الأثناء أطعمونى العدس والبليلة المصنوعة من القمح والشعير والذرة ومر يومان على هذا المنوال، وفى اليوم الثالث حبست

معى فى نفس الحجرة بنت أخرى ويعلم الله من أين جاء كريم بها، ربما خدعها بمعسول الكلام وأتى بها إلى هنا والمسكينة كانت تبكى وتقول كيف خدعت ؟!

ولما جاءت هذه البنت أخذتنى قوة وهمة حيث كنت وحيدة ولكنى الأن أصبحت مطمئنة بوجودها وكان مجيئها فرصة طيبة بالنسبة لى، وبعدما كففت عن البكاء وتبادلنا أطراف الحديث بصوت هامس عرفت أنها ابنة تاجر هندوسى واسمها رام دى وهى تقطن فى قرية قريبة من سيتابور ولكنى لم أتبين ملامحها فى الظلام .

وفى اليوم التالى عندما فتح الشباك كالمعتاد رأيتها ورأتنى، فقد كانت بيضاء ووجهها جميل جدا وقامتها طويلة وقدها رشيق ، وفى اليوم الرابع أفرج عنها، وظللت أنا وحيدة فى تلك الحجرة الضيقة المظلمة، فقد كانت الوحدة من نصيبى وظللت بها لمدة يومين آخرين ، وفى مساء اليوم الثالث أخرجانى "دلاور خان وبير بخش " من تلك الحجرة وأخذانى معهما وكانت ليلة مقمرة، ومررنا بمكان فسيح يشبه الميدان ثم مررنا بالسوق حتى وصلنا إلى كوبرى وكانت أمواج النهر عالية والهواء بارداً وكنت أرتعد من الخوف، وبعد مسافة قصيرة مررنا على سوق آخر وبعد خروجنا من هذا السوق مشينا لوقت طويل حتى تعبت من السير ثم دخلنا فى حارة صغيرة حتى وصلنا إلى سوق آخر و كان مزدحماً جداً وكنا نلتمس طريقنا خلاله بصعوبة شديدة، حتى وصلنا إلى باب أحد المنازل.

يا سيد مرزا هل فهمت أى سوق كان هذا ؟ ذاك السوق الذى يقع فيه محل بيع عزتى وكرامتى وعرضى ولقد لقيت فى هذا المكان كل ما كان من نصيبى من السمعة السيئة والسمعة الطيبة، ولقيت فيه أيضًا جميع ألوان الخير والشر ، أقصد منزل الهانم.

ولما وصلنا إلى باب أحد المنازل كان الباب مفتوحًا وعلى بعد مسافة قصيرة يوجد سلم فمررت من فناء البيت وصعدت درجات السلم حتى وصلت للطابق الثانى وعلى اليمين كانت الصالة الرئيسية ، فدخلت على الهانم وكانت فى حجرة كبيرة واسعة.

ولعلك شاهدتها فهى امرأة فى الخمسين من عمرها ، ولكنها امرأة رائعة سمراء اللون، لم أسمع ولم أر أى امرأة أخرى فى أناقتها، وقد كان فى مقدمة رأسها خصلات من الشعر الأبيض ولكنها كانت تتلاءم مع وجهها وتزيده جمالاً، أما ملابسها ، فكانت تضع على رأسها طرحة بيضاء من البوبلين المضغوط (البيليسيه) لا يوجد مثلها وكانت ترتدى شلوارًا برجل واسع يزيدها جمالاً وبهاءً وتزين يدها بأساور ذهبية وفى أذنيها قرطان وفى جيدها عقد وكان جمالها يضاهى جمال " بسم الله" الفتاة الصغيرة ، ولكن أين ملاحة بسم الله وجمالها ؟! ولا تزال حتى الآن هذه هى صورة الهانم وجمالها، وأتذكر صورتها جيداً، فقد كانت جالسة على السجاد بجانب السرير والمصباح كان مضيئًا وعلبة التمبول الكبيرة المنقوشة كانت مفتوحة أمامها وكانت تشرب النرجيلة بينما كانت البنت السمراء " بسم الله" ترقص أمامها

ولكن توقف الرقص بعد وصولنا وخرج الجميع من الحجرة ، وقد تم تسوية الأمور التى كان متفقا عليها من قبل.

الهانم : هل هذه هى الجارية ؟

دلاور خان: نعم .

فنادتنى عندها ثم واستنى ورفعت رأسى لأعلى ونظرت لوجهى.

الهانم: طيب ، اللى أنا قلته وعرضته موجود ، وماذا تم بالنسبة للجارية الثانية ؟

بير بخش: لا ، تم تسويتها ، فقد تم بيعها

الهانم: كم ثمنها ؟

بير بخش: مائتا روبية

الهانم: وأين هى ؟

بير بخش: إحدى السيدات اشترتها لابنها.

الهانم: وهل كانت جميلة ؟ شكلها وملامحها جميلة ، كنا سندفع لك مثل هذا ولكنك تسرعت .

بير بخش: وماذا كنت أعمل ؟! لقد حاولت كثيراً ولكن زوج أختى كان غاضباً ومتعجلاً فى بيعها.

دلاور خان: والتى أمامك أيضًا جميلة ، فإن أحببت ...... إن أعجبتك.

الهانم: طيب على أى حال فهى إنسانة، إنها طفلة صغيرة.

دلاور خان: طيب ، الموجود عندنا أمامك

الهانم: إذن ، كما تقول .

وبعد أن قالت هذا الكلام نادت على (بوا حسينى) وهى امرأة سمراء بدينة فى خريف العمر جاءت ووقفت أمامها .

الهانم: بوا حسينى .

بوا حسينى: نعم يا سيدتى .

الهانم: أحضرى الصندوق الصغير.

ذهبت بوا حسينى وأحضرت الصندوق الصغير، ففتحته الهانم وأخذت منه روبيات كثيرة وضعتها أمام دلاور خان - وعرفت بعدها أنها كانت ١٢٥ روبية - أخذ منها بعض الروبيات وعدها ثم أعطاها لبير بخش الذى عدها ولفها فى منديله - وسمعت أنها كانت خمسين روبية - والباقى ٧٥ روبية وضعها دلاور خان الشرير الخبيث فى جيبه وانصرف كلاهما بعد تقديم التحية والسلام.

والآن لم يصبح فى الحجرة إلا أنا والهانم صاحب وبوا حسينى .

الهانم : (مخاطبة بوا حسينى) : يا حسينى، هذه الجارية .... أليست غالية بهذا الثمن ؟! يعنى هل هى تساوى مبلغ ١٢٥ روبية ؟ إنها غالية الثمن .

بـوا حسينى: غالية ؟! فى رأيى إنها رخيصة .

الهانم : ليست رخيصة ، ولكن يبدو من شكلها أنها مسكينة ، والله يعلم بنت من هى ، وما حال والديها ؟ الله يعلم من أين خطفوها وأحضروها؟ ليس عندهم خوف من الله .

يا بوا حسينى : ليس علينا ذنب، الثواب والعقاب يقع على أعناقهما، ونحن ليس لنا دخل ولو لم تبع هنا فسوف تباع فى مكان آخر، وهى هنا ستكون فى أحسن حال، وأنت لم تسمع عن حال الجوارى مع الزوجات.

الهانم : فلماذا لم أسمع ؟ وهل هى حكاية اليوم ؟! فقد حدث بالأمس القريب، عندما سمعت أن السلطانة جهان بيكم رأت جاريتها تتكلم مع زوجها، فقتلتها كياً بالسيخ المحمى بالنار.

بوا حسينى : الزوجات يعملن فى هذه الدنيا كما تشاء الواحدة منهن ويوم القيامة تسود وجوههن لأنهن يظلمن جواريهن.

الهانم : تسود وجوههن ضرباً بالمطارق الخشبية الكبيرة.

بـوا حسينى: يكون أحسن، هذا هو جزاء الشريرات.

وبعد ذلك قالت الخادمة بانكسار: سيدتى ، أعطنى هذه الجارية ، وأنا أربيها وهى ملكك وأنا أخدمها.

الهانم : خذيها، أنت التى ستربينها.

وكانت بوا حسيني مازالت واقفة حتى الآن، ولكن بعد هذا الكلام جلست بجانبي وأخذت تحدثني قائلة :

بوا حسيني: يا صغيرتي ، يا بنيتي ، من أين أتيت ؟

أمرأو: أنا، وأجبتها وأنا أبكي ، من بنكلة .

بوا حسيني: (للهانم) وأين بنكلة ؟

الهانم: ياه ؟! وهل أنت صغيرة لا تعرفين ؟ فيض أباد يطلق عليها أيضًا اسم بنكلة .

بوا حسيني: ما اسم والدك ؟

أمرأو: جمعدار .

الهانم: هاه ، أنت تبالغين كثيراً فهي صغيرة لا تعرف الاسم.

بوا حسيني: ما اسمك؟

أنا: اسمي أميرن.

الهانم: ياه لا يعجبني هذا الاسم سأناديك أمراؤ .

بوا حسيني: سمعت يا بنيتي عندما تسمعين أمراؤ تحضرين ، وحينما تقول الهانم أمراؤ تقولين : (نعم).

ومنذ ذلك اليوم أصبح اسمي أمراؤ، وبعد عدة أيام قليلة، أصبحت ضمن الراقصات والمغنيات، أخذ الناس يطلقون عليّ "أمراؤ جان"

والسيدة الهانم كانت تقول "أمراؤ " حتى أخر لحظة فى حياتها وبوا حسينى كانت تنادينى " السيدة أمراؤ " .

وبعد ذلك أخذتنى بوا حسينى فى حجرتها وأطعمتنى طعامًا لذيذًا وبعضًا من الحلوى وغسلت يدىّ ووجهى ونمت عندها فى حجرتها ، وفى هذه الليلة رأيت فى منامى أبى وأمى وكأن أبى قد عاد من العمل وفى يده "دونا" الحلويات وأخى الصغير يلعب أمامه فأعطاه بعضًا من الحلويات الصغيرة، وسأل عنى وكأننى فى حجرة أخرى أو صالة أخرى وأمى كانت فى المطبخ وعندما رأيت والدى فى تلك اللحظة، جريت نحوه وعانقته وأنا أبكى وأشكى أحوالى له وبكيت بكاءً كثيرًا فى المنام حتى اختنقت بالبكاء ، وهنا أيقظتنى بوا حسينى ولما فتحت عيونى ، ماذا أرى ؟! إننى لست هناك فى ذلك البيت ولا الحجرة الكبيرة ولا أبى ، ولا أمى ، وظللت أبكى وأبكى فى حضن بوا حسينى التى أخذت تجفف دموعى ، ولأن القنديل كان مضيئًا، فقد رأيت أيضًا دموع بوا حسينى تسيل على خديّها بالفعل كانت بوا حسينى امرأة طيبة فقد أشفقت علىّ لدرجة أننى فى خلال بضعة أيام نسيت أبى وأمى وماذا كنت أفعل إذا لم أنسهم ؟ فليس فى يدى حيلة ، فأولاً كنت معذورة ، وثانيًا ، ظروف وأساليب الحياة الجديدة أثرت علىّ ، فالأكل من أحسن الأطعمة، حتى الأطعمة التى لم أكن أعرف طعمها أومذاقها ، وكذلك الملابس التى لم أكن أحلم بها أو قل التى لم أرها حتى فى الأحلام ، وكانت تلعب معى ثلاث بنات هن

"بسم الله" و"خورشيد جان" و"أمير جان" والرقص والغناء ليلاً ونهاراً وكذلك الاجتماعات والمجالس والعروض والمهرجانات والنزهة فى الحدائق وجميع وسائل الترفيه كانت مهيأة لى .

يا سيد مرزا ، قد تتخيل أننى كنت قاسية القلب إذ سرعان ما نسيت أبى وأمى، وانشغلت باللعب واللهو ، فبالرغم من أننى كنت صغيرة السن ولكنى فى نفس اللحظة التى دخلت فيها بيت الهانم جان شعرت فى قلبى بأننى سأقضى عمرى كله هنا ، فقد أدركت ذلك كما تدركه العروس وتتفهمه جيداً عندما تنتقل إلى بيت زوجها ، وقد أدركت أننى ما جئت إلى هنا ليوم أو يومين ولكنى جئت هنا لأكابد المشقة حتى الموت.

هكذا كانت حالتى بالضبط، فقد عانيت تعذيبًا قاسيًا على يد الأشرار "تقصد دولار خان و بير بخش" لدرجة أن بيت الخانم جان أصبح جنة بالنسبة لي، وأصبح لقاء أبى وأمى مستحيلاً ولم يتبق لدىّ أدنى أمل فى رؤيتهما ، رغم أن المسافة بين فيض أباد ولكهنو تقريبًا حوالى ٤٠ كوس (لا تزيد على مائة ميل) ولكنى فى تلك الأيام كنت أشعر بأنها بعيدة جداً بالنسبة لى ؛ فهناك بالتأكيد فرق كبير بين إدراكى وشعورى فى طفولتى وإدراكى وشعورى اليوم.

(٣)

لا تسير حيـاة الإنسـان على وتيـرة واحدة

ولوتغيـرت طبيعتى لكان أفضـل

لعلك تتذكر يا سيد مرزا ، إلى أى مدى كان بيت الهانم جان واسعًا!! وما أكثر حجراته !! فقد كانت الراقصات يسكن فيه جميعًا ؛ فقد كان هناك عشر أو إحدى عشرة غانية ، فضلاً عن بسم الله "ابنة الهانم" وخورشيد اللتين كانتا فى مثل عمرى، ولا تعدان من الغانيات. وكانت كل غانية تسكن فى حجرة منفصلة ولها أثاث وفرش وخدم وحشم خاص بها وكانت كل صفقة تتم على حدة. وكان لكل واحدة منهن حفلة خاصة للرقص والغناء وكل حفلة من هذه الحفلات أجمل من أختها. وكانت كل غانية طوال الوقت فى أبهى حلة ، أنيقة الملبس ، مزينة بالحلىّ حتى تبدو أجمل من الأخريات.

والملابس العادية التى كنا نرتديها ونحن جاريات لدى الهانم لا ترتدى مثلها الأخريات ولا حتى فى أيام الأعياد. وكان بيت الهانم يعتبر بيت الحور وموطن الحسن والجمال، وأينما تتجول داخله لا تجد إلا الضحك والمزاح ولا تسمع إلا الموسيقى والغناء.

والمرأة بطبيعتها ماهرة فهى تفهم كل ما تريد أن تعرفه وتفهم كل احتياجاتها ورغم أننى كنت فتاة صغيرة السن إلا إننى عندما رأيت بسم الله وخورشيد وهما ترقصان وتغنيان، تولدت الرغبة فى قلبى أن أغنى

وأرقص مثلهما وأخذت أدندن ببعض الأغنيات وأهز جسدى كما لو كنت أغنى وأرقص.

وفى هذه الفترة بدأ تدريبى ووجدت أن طبيعتى مثل طبيعة أهل الفن أميل لفن الموسيقى وخاصة أن صوتى كان ملائما للغناء ، وعندما أصبحت قادرة على أداء بعض الألحان الموسيقية ، بدأ أستاذى يعلمنى ، وكان يعلمنى بكل دقة ويحفظنى كل الألحان ودرجاتها ولم يكن هناك مجالٌ للخطأ، وكان من عادتى أن أناقش من يعلمنى، فى البداية كان أستاذى رحمه الله يتجاوز عن أخطائى وهفواتى وفى أحد الأيام كنت أغنى أحد الألحان وهو لحن "رام كلى" أخطأت خطأً صغيراً ولم يقل أستاذى أى شىء ولم يشر لهذا الخطأ والهانم جعلتنى أكرر نفس الفقرة مرة أخرى فكررت نفس الخطأ ولم ينتبه أستاذى لهذا الخطأ ولكن الهانم بحلقت فى وجهى وقالت لى بعيونها أنت عملت إيه ؟ ونظرت لأستاذى مستفسرة هل أنا عملت خطأ ؟ !! أحنى رأسه بأنى قد أخطأت ثم غضبت الهانم ولامت الأستاذ لوماً شديداً.

الهانم : يا أستاذ ما هذا ؟!. هذا اللحن لم يكن صحيحا، هل الدهيوت من لحن الكومل أم السده ؟.

الأستاذ: ..لحن الكومل.

الهانم : وماذا قالت الجارية ؟

الأستاذ: ... لحن السده .

الهانم: لماذا لم تنبهها ولم تعترض ؟

الأستاذ: لم أكن متنبهاً بحيث لم أدرك الخطأ.

الهانم: عجبًا ؟! ألم يخطر ببالك لماذا جعلتها تكررها ؟! ولكنك ظللت صامتا ، وهل تعلم الجاريات بهذا الأسلوب الخاطيء، وبهذه الطريقة ؟ ولو كانت تغنى أمام أحدٍ ممن يعرف فى الموسيقى أو الغناء ماذا يفعل ؟ سيعيب علىّ .

وفى هذة اللحظة كان أستاذى العزيز يشعر بالخجل فسكت ، وأخذ الكلام فى قلبه وكان يعتبر نفسه مرشداً وقائداً واعتراض الهانم فى ذلك اليوم ضايقه جداً.

وفى يوم من الأيام صادف أننى كنت أغنى لحن سوها، والهانم كانت موجودة أيضًا فسألت أستاذى العزيز هل فى كندهار كومل أم لحن أت كومل ؟ .

الأستاذ: أت كومل نوع من الألحان .

الهانم: يا سيدى ، ما شاء الله ؟! وهذا أمامى أيضًا .

الأستاذ: لماذا ؟ هل أنا أخطأت ؟ .

الهانم : وبتسألنى أيضًا لماذا ؟! هل فى لحن سوها كندهار هى ات كومل ؟! كيف تقول هذا الكلام ؟

الأستاذ: كندهار غنت كومل وليس أت كومل.

الهانم : ها أنت تعترف بنفسك ، تقول كومل والجارية تقول أت كومل، إما أنك تخدع الجارية وإما أنك تمتحننى ، يا سيدى قد أكون غير قادرة على أداء هذه الأصوات والنبرات ولكنى أفهم وأميز اللحن جيداً عندما أسمعه بأذنى وأنا متعلمة يا سيدى ، وأقول بكل تواضع وتذلل أنا لا أستطيع أن أؤدى هذه الألحان بحنجرتى ولكن أستطيع أن أميزها بأذنى ؛ فأنا أعرف كل الأصوات والألحان ، وأنا أيضا لم أكن تلميذة فى بيئة متواضعة ولعلك تعرف ميان غلام رسول ، ولكن ما فائدة هذا الكلام ؛ لو أنت تعلم بإخلاص فلتعلم وإلا اعذرنى وأنا أحضر لها أستاذاً آخر ولكن لا تفسد الجاريات.

الأستاذ: حسناً :

وقال هذا ثم انصرف ولم يحضر لعدة أيام وأخذت الهانم تعلم الجاريات بنفسها ، وبعد عدة أيام قام الخليفة جى بدور الوسيط للصلح بينهما.

وبدأ التعهد والتحالف من كليهما وبعد القسم تصالحا ومنذ ذلك اليوم أخذ أستاذى يعلمنى بدقة. - ولو لم يعلم فماذا كان يفعل - فهو لم يكن يدرك أن الهانم تعرف إلى هذه الدرجة وكنت متحيرة طوال حياتى أيهما يفهم الألحان أكثر : الأستاذ أم الهانم ؟!

لأن كثيراً من الأشياء تعلمتها من الهانم وليس فى إمكان الأستاذ أن يشرحها لى. وهو لم يكن يريد ألا يعلمنى عن قصد، فقد أقسم مائة

ألف قسم وهذا النوع من الناس لا يستطيع أن يعلم الفن الأصيل ، ولكنى كنت متشوقة للمعرفة لدرجة أننى عندما أشعر بالشك فى كلام أو أشعر بأن أستاذى يماطل فى الإجابة كنت أسأل عنه الهانم بعد أن يغادر أستاذى المكان ، وهى أيضًا كانت تسعد لحرصى ورغبتى فى المعرفة ودائما كانت تلعن ابنتها بسم الله التى بذلت جهودًا كثيرة لتعليمها ولكنها لم تتعلم إلا القليل ولم تحفظ غير بداية أغنية "بتة تهمرى" ورغم هذا هى كانت ملكة.

أما خورشيد فلم يكن صوتها جميلا إلا إنها تشبه الحور بجمالها الفتان ، ولكنها كانت ماهرة فى فن الرقص وهو الشىء الذى تعلمته ، ولكن حفلة خورشيد كانت تقتصر على الرقص فقط، وكانت تؤدى بعض الألحان الخفيفة كما لو كانت تغنى. وكانت بيكا جان من بين فتيات الهانم فريدة فى الغناء، لكن كنت ستخاف حتما من شكلها لو رأيتها فى الليل، فقد كانت شديدة السواد وقد ترك مرض الجدرى حفرًا عميقة على وجهها تبعث على الاشمئزاز وكانت عيناها حمراوينْ وفطيسة الأنف وشفاهها غليظة وأسنانها عريضة ممتلئة الجسم قصيرة القامة أشبه بفيل صغير.

وكان الناس يضحكون عليها ويسخرون منها ، إلا إنها كانت تتمتع بصوت جميل وثقافة واسعة. وقد سمعنا من حنجرتها ألحانًا عذبة وعندما كنت أمر من أمام حجرتها فقد كانت تضايقنى بمطالبها الكثيرة التى لا تنتهى.

أمـراؤ : يا أختى الكبيـرة غنى لى لحن سركم.

بيكـا : إن لحن سـركم هوالدرجات السبع للسلم الموسيقى اسمعى سا رى كا ما با دهانى.

أمـراؤ: لا لا ، أنا لا أقبل هذا ولا أريـد أن أسمعـها هكذا بدون غناء غنيها كل نغمة لوحدها.

بيكـا: .. يا بنيتى لا تضايقينى ، لماذا لا تسـألين أستاذك عن هذه الأشياء ؟

أمـراؤ: سبحان الله ؟! أخبرينى أنت .

بيكـا :...السلم الموسيقى كله اثنان وعشرون صوتًا .

أمـراؤ: بشقاوة أنا لم أعدها ، قوليها لى مرة ثانية

بيكـا : اذهبى فلن أقولهـا الآن .

أمـراؤ : حسنًا ، لن أتركك حتى تقولى .

بيكـا: لازلت تصرين ؟ قلت لك لا تضايقينى .

أمـراؤ : نعم لقد أحصيتها هذة المرة ، هناك نغمتان فى صوت نى.

بيكـا : نعم اثنان.

أمـراؤ: نعم الأن أصبـحوا اثنين وعشرين، قـولى لى ثلاثـة مجاميـع للألحان مرة أخرى .

بيكا : اذهبى الآن ، انصرفى وتعالى غداً .

أمـراق: حاضر سأحضر لك دفًا وتسمعينى لحنـًا .

بيكا: ... مـاذا أغنى ؟

أمـراق: من لحن دهنا سرى .

بيكا : مـاذا أغنى ؟ مـوالاً ؟ أغنيـة ؟ أم نشيداً وطنيًا ؟

أمـراق: الله ؟! غنى لى أغنية فيها لحن جميـل.

بيكا : حـاضر اسمعـى ، ثم شرعـت فى الغنـاء.

لم يكن تعليم الفتيات عند الهانم يقتصر على الرقص والغناء فقط، فبالإضـافة إلى كل ذلك كان هناك الكُتـاب، لتـعليـمهُن القراءة والكتـابة وكان الشيخ يقوم على خدمة الكُتاب ، وكان شيخًا جليلاً، وثم أُرسلت إلـى الكُتـاب وفقًا للنظام المتبع ، وجميع الأشيـاء التى كانت فى الكتـاب مازالت تتراءى أمام عينى وفى مخيلتى ما أحسن ذوق الشيخ فقـد كان له وجه نورانى ولحية بيضـاء منسقة ويرتدى ملابس الصـوفيـة وفى يده الخواتم النفيسة الغالية المصنوعة من العقيق والفيروز وفى يده مسبحة بها حجر للسجود عليه مصنوع من التراب الطاهر من كربلاء المقدسة ولديه عكاز من الخشب "الهروتى" وبه حلقة فضيـة، ولديه كذلك نارجيلة فى غاية الجمال وإلى جانبها علبة الأفيون وكذلك الكوب والفنجان وعلى ضوء القمر كان يدخن النارجيلة ولا زلت أتذكر هذه الأشياء حتى اليوم ، ما أروع ذوقه فقد كان له طابع خاص .

ثم اتضح بعد فترة من الزمن أن بينه وبين بوا حسينى علاقة لا زلت أتذكر أخبارها حتى اليوم ، وقد كان زوجا مثاليًا لبوا حسينى من ناحية الدين والدنيا، وكان يعاملها بنفس الأسلوب الطيب حتى اليوم وكانت بوا حسينى تعتبره زوجا لها فى الدين والدنيا وكان هذان العجوزان يتحدثان بأسلوب شيق وجذاب بحيث كان الشباب يغار منهما وكان منزل الشيخ من ناحية زيد بور، وكان من فضل الله عليه أن لديه الأراضى الزراعية والبيت والزوجة والأولاد بنين وبنات وكان يتمتع بنعم كثيرة ، ولكن عندما جاء إلى مدينة لكهنو لطلب العلم استقر فى هذا المكان ولعله ذهب إلى زيد بور مرتين أو أربع مرات ومعظم أقاربه كانوا يأتون إلى لكهنو لزيارته وأحيانًا كانت تأتيه مبالغ مالية من المنزل بالإضافة إلى أن الهانم كانت تعطيه عشر روبيات وكانت بوا حسينى تأخذ هذه النقود وتوفر للشيخ الطعام والشراب والدخان والأفيون، كل شىء فى وقته وكانت هى صاحبة التصرف فى ماله وكانت تحيك له ملابسه والهانم كانت تقدره وتحترمه كما كانت تحترم بوا حسينى من أجله .

وليكن فى علمك أن بوا حسينى أخذت على عاتقها مسئولية تربيتى ولذلك كُنت محل عناية واهتمام خاص من الشيخ ولا أجد كلامًا أستطيع أن أعبر لك به عن مكانتى بالنسبة له ، والأدب يمنعنى أن أقول أى شىء فقد كان اهتمامه بى أكثر من كل الفتيات وأنا الجاهلة ؛ فقد جعل منى إنسانة مثقفة، ومن بركته أننى كلما رأيتنى فى مجلس أو حضرت فى حفلة أو مجلس للأمراء والأكابر والأعيان حظيت بالعزة

والكـرامـة أكثر مما أستحق، وإن استطعت أن أتكلم فى مجلس أو حفل أو بين يديك يـا رسـوا فـببـركته هو أيضـا. فلقد تجرأت - بمسـاعدته - على الحـديـث أمـام الأمـراء وسـيـدات القـصـر وأمـام أصـحـاب السمـو الملكى .

وكـان الشـيخ يعلمنى بالحنان والحب وبشـفقـة كـبيـرة ، فـبـعـد أن انتهيت من تعلم البديهيـات علمنى كتـاب "كريمـا" فى الفارسى وكتـاب "مامقيما" وأيضـا كتاب "محمود نامة" فى الصرف ثم حفظت كتاب "آمد نامـة" وبدأ يعلمنى كلستان الشيخ سـعدى الشيـرازى وكـان يُدرس لى ويحفظنى الشـعـر ويـوضـح لـى مـعنـى كـل كلـمـة ، وتركيب كل جملة ، حتى أصبح كـل ذلك علـى طـرف لسانى ، كمـا بـذل جـهـدًا كـبيـرًا فى تعليمى القـراءة والكتـابة وكان يصـحح لى الإمـلاء، وعلمنى كـذلك كتـابة الخطابات ، وبعـد قراءة "الكلسـتان" أصبحت الكتب الفارسيـة الأخرى سـهلـة بالنسـبـة لى، وقـد كـان يشـرح لنـا الـدرس بسـهولة ، كـأنه قـد شُرح من قبل .

وقد درست الصرف والنحو العربى ودرست رسالة أو رسـالتين فى علم المنطق ، ولقـد تعلمت على يد الشـيخ لمدة سـبـع أو ثمـان سنوات ، وأنت تـعـرف جـيـدًا كـيف بدأ حـبى للشـعـر وكـيف انتـهى، وليس من الضرورى أن أسرد لك ذلك الآن .

(٤)

نحـن لا نتعلم مثـل الببغـاء

ولكن كانت لنا فى الكتاب تجربة فى العشق والوفاء.

وكان فى الكُتاب ثلاث فتيات أنا واحدة منهن، وولد واحد هو جوهر مرزا وكان شقياً وقحاً سيئ الخلق سليط اللسان، وكان يعاكس ويضايق جميع الفتيات، يضرب واحدة ويشد ضفيرة الثانية ويجذب الثالثة من أذنها، كما ربط ضفيرتى اثنتين من الفتيات ببعضهما وتارة تراه يكسر سن القلم وتـارة أخـرى يلقى بدواة الحبر على الكتاب . على أية حال، إن أى فتـاة فى الكتـاب كانت مستـاءة ومتضـايقة منه ، والفتيـات كن يشكونه للشيخ الذى كان بدوره يعاقبه عقاباً شديداً ، وكان جوهر مرزا لا يترك أى فرصة للمعاكسة والمضايقة، وكان يضايقنى أكثر من الأخريات لطيبتى وسذاجتى ؛ فقد كنت أكثرهن سذاجة ، وكنت أعيش فى كنف الشيخ الذى كان يضربه كلما شكوته إليه ، يا لوقاحته فهو لم يقلع عن حركاته وأساليبه رغم ما يحدث له حتى مللت الشكوى منه وأصبحت عاجزة عنها، لأن الشيخ كان يعاقبه عقاباً شديداً لدرجة أننى كنت أشفق عليه .

وكانت السيدة بوا حسينى هى التى ألحقت جوهر مرزا بالكتاب لأنه ثمرة لعلاقة غير شرعية بين الرجل الغنى النائب سلطان على خان وبين المغنية "بنو" والذى كان يسكن فى حى "بوابة توب".

ورغم انتهاء هذه العلاقة منذ فترة طويلة إلا إنه كان يرسل لها عشر روبيات شهريًا لنفقة الولد وأحيانا كان يراه خُفية من وراء الهانم زوجته. كانت "بنو" من سكان حى حديقة القاضى وفى نفس هذا الحى كان منزل أخو بوا حسينى وكان بينهما شباك يتبادلان الحديث من خلاله. ولما كان جوهر مرزا مشاغبًا منذ طفولته، فقد كان يضايق جميع سكان الحى فقد أخذ حجرًا صغيرًا وألقاه فى منزل أحد الجيران ، فكسر جناح دجاجة، وكذلك استولى على الطائرة الورقية لأحد الأطفال، وطلب من أحد الأولاد أن يسمح له برؤية قفص العصافير الخاص به فغافله ثم نزع مسمار القفص وفتح بابه فطارت كل العصافير ، المهم ، أنه كان يؤذى الناس بطرق عديدة، وأخيرًا بعدما عجزت أمه عن تأديبه أرسلته إلى إمام مسجد الحى .

وهناك فى المسجد لم يتخل عن أساليبه وحيله وأخذ يضايق جميع زملائه فى الكُتاب ، فمزق طاقية أحدهم ورمى حذاء الأخر فى البئر. وفى يوم من الأيام بينما كان الشيخ يصلى، ألقى بحذاء الشيخ الجديد فى البئر وجلس يعومه ويستمتع بهذا المنظر ، وجاء الشيخ فجأة فضربه ضربًا شديدًا على رأسه وصفعه عدة صفعات حتى احمر وجهه وجذبه من أذنه وأخذه إلى بيت بنو وصاح على الباب قائلاً: خذى ابنك فلن ندرس له، و بعد أن قال الشيخ هذا انصرف ، ودخل جوهر مرزا منزله باكيًا كأنه مظلوم وبالصدفة كانت بوا حسينى تتحدث مع بنو فى تلك اللحظة ، وعندما رأت الولد مضروبًا أشفقت عليه كثيرا، وهى

لم تكن تعلم أى شىء عن مضايقات الولد فأخذت تعيب على الشيخ.

بوا حسينى : هذا ليس شيخا بل جزار ، ورم وجه الولد بصفعاته حتى سالت الدماء من أذنيه، لا..لا ، يا سيدتى لا أحد يتعلم عند مثل هذا الشيخ قاسى القلب . وفى النهاية قالت :

بوا حسينى : أعرف شيخًا يعلم بالشفقة والرحمة .

فردت بنو على الفور: إذن يا بوا حسينى خذيه عند شيخكم .

بوا حسينى : سأخذه، ولكنه بعيد جداً .

بنو: سأرسله مع أخيك فى الصباح على أن يعود معه فى المساء .

بوا حسينى : حسنًا ، أرسليه .

ولم تكن بوا حسينى تأخذ موافقة الشيخ، لأنها كانت واثقة تمامًا من حُسن خدماتها له، كما كانت تدرك أن الشيخ لن يرفض لها طلبًا .

وفى اليوم التالى وصل "على بخش" – أخو بوا حسينى – ومعه جوهر مرزا، وكان يحمل صينية حلوى على رأسه لبوا حسينى، ووزعت بوا حسينى الحلوى بكل سرور ، ثم بعد ذلك أخذت جوهر مرزا وأجلسته بين يدى الشيخ ليتعلم .

وكان جوهر مرزا يضايقنى أكثر من الجميع وكانت الضوضاء والجلبة والصياح دائمًا بسببه ليل نهار، وكذلك أصوات الاستغاثة من

شقاوته ، وكان الشيخ يضربه كثيراً إلا إنه لم يتخل عن مضايقته لى وظل على هذا عدة سنوات ، وأخيراً تصالحنا . ويمكن القول بأننى تعودت على مضايقته وكان هناك فرقٌ قليلٌ بين عمرى وعمره ، وغالبا هو أكبر منى بعام أو عامين ، وكان عندى فى هذا الوقت ثلاثة عشر عاماً وجوهر مرزا فى سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة وكنت أجد متعة فى إيذائه لى، وأستمتع بمضايقاته ، وكان صوته جميلاً عذباً ولم لا ؟ فأمه مغنية، وكان ماهراً فى العزف والغناء.

وكان جميع جسمى يهتز ويتحرك عند سماع عزفه ، ومن ناحية أخرى فقد كنت أعرف الألحان ، وعندما يغيب الشيخ عن الكتاب، كانت لنا جلسة جميلة، فأحياناً أغنى وهو يعزف الموسيقى وأحيانا أخرى يغنى هو وأعزف الموسيقى أو أضرب على الدف .

وكانت المغنيات الأخريات مفتونات ومغرمات بصوت جوهر مرزا وكل واحدة منهن تستدعيه إلى حجرتها ومن الضرورى أن أذهب معه، لأنه بدون اجتماعنا سوياً لا يُطرب أحداً ولا يكون فى الجلسة أية متعة . وأمير جان كانت مفتونة بصوته جداً أكثر من الأخريات.

يا سيد مرزا : هل تتذكر أمير جان ؟

رسوا : نعم أتذكرها ، أكملى حديثك .

أمير جان كانت فى تلك الأيام مصاحبة لمفتخر الدولة بهادر . يا ربى ؟! ما أحلى وأبهى الشباب ذلك الشباب المتفتح عندما تبتسم

وسامتها كتفتح الزهور بعبيرها الخلاب ولكنها نسيت لسذاجتها أنها الجميلة الفاتنة ، ودلالها أطار صواب العاشقين يا الله عندما تتبختر تقهر الناظرين .

رسوا : كانت فى ريعان الشباب ، قصيرة القامة رشيقة القوام ورقيقة الشعور ويداها ناعمتين والأن عندما رأيتها أصبحت ضعيفة جدا دميمة الوجه لا أستطيع أن أنظر إليها .

امراؤ : أين رأيتها ؟!

رسوا : رأيتها فى بيت الرجل الذى يقف أمام بيته ذلك الرجل "شاه" بملابسه ذات اللون الأحمر الغامق وفى يده السبحة ذات ألف الحبة ؛ ولقد رأيت كل من يمر من تلك الناحية يسلم عليه ولكنه لا يسأل أحداً ولا يتسول .

امراؤ : فهمت وعرفت ، إن ذلك الرجل – تقصد شاه – كان من بين عشاقها .

رسوا : نعم ، أنا أعرف ذلك .

امراؤ : حسناً ، هل هى تسكن هناك الآن ؟

رسوا : الآن ، هى تعيش معه وتصادقه .

امراؤ : وما حال أمير جان الآن؟

رسوا : الآن تعشق السيد حكيم .

امـراؤ : ومـن هـو السيـد حكيـم ؟

رسـوا : أنت لا تعـرفينه ؟!! سـأخبـرك باسمـه ، ولكن لن تعـرفيـه ، فما الفائدة إذن ؟!!

امـراؤ : حسنًا ، أخبرنى، وسأفهم .

رسـوا : كـان نخاسـاً، يبيع الرقيق

امـراؤ: أعـرفـه جـيـداً، وأمـيـر جـان فـى ذلك الوقت كـان الناس يتمنون رؤيتـهـا وإلقـاء نظرة عليـهـا، وهـى ذات فـى شـأن وعزة ومـغـرورة لدرجة أنها ترفض دعوات كبار القوم ، فمـا بالك بـعـامـة الناس ؟ وكـانت تعيش فى رغد من العيش، فقد كـان يقوم على خدمتـهـا أربـع خـادمـات : واحدة تحمل الشـيشـة الصـغـيـرة فى يدهـا، والثانية تحمل المروحـة، والثالثة تحمل التمبول والرابعة تقف رهن إشـارتها، وجميع الخدم الذين يمشون فى موكبـهـا يرتدون الملابس الرسمية. وأمير جـان كانت مفتـونة بأغانى جوهر مرزا وهـى نفسـهـا لا تجيد الغنـاء، وكانت مغرمة بالسمـا ع، ولحداثة سن جـوهـر مـرزا فـقـد كـان ألعـوبة فـى يد الغـانيـات وكل واحـدة منـهـن تعشقه ؛ فقد كان وسيمًا جديرًا بالمحبة ، ورغم أنه كــان أسمر اللـون إلا أن ملامح وجهه كانت جميلة ، فقد كان مليحًا و يرتدى ملابس أنيقة ، علاوة على شقاوته ومجونه.

رسـوا : ولـم لا يـكـون هـكـذا ؟! فـابن مــن هـو ؟! فـقـد كـان ابن أمـه .

امـراؤ : إذن ، يا سلام ؟! هل رأيت السيدة بنو ؟!

رسـوا مبتسما : نعم أنت تقيس على ذلك .

امـراؤ : يا سيـد مـرزا أنت تحب فى الخـفـاء ، وتسـتطيع إخـفـاء أشواقك وأحاسيسك .

رسـوا : حسنًا ، ولكنك كشفـت السـر.

امــراؤ : يا مـرزا ، دعنـا نمـزح قليـلاً الآن ، واترك قصـة حيـاتى ، آه ... فلقد أثرت مواجعى.

رسـوا : احك قصتك ففى الليل وقت كافٍ للمزاح

امـراؤ : إذن ، انتـبـه واسـمـعنى جيـدًا ، ومن الذى كـان يتـجـرأ ويغيب عن نظر الشـيخ لحظة واحـدة، وذلك منذ الصـبـاح حتـى السـاعة العاشرة أو الحادية عشرة ، وعندما يذهب الشيخ لتناول الطعام، فى ذلك الحين ، كنا نجد فرصة لنعمل ما نريد ، فـاليوم عند أمير جان وغدًا فى حجرة جعفرى وبعد غد فى حجرة البن، وندخل جميع الحجرات عند أى غـانيـة وفـى أى مكان ، ونجد دائمًا حسن الضـيافة ويعطوننـا المكسـرات والحلويـات والشيشـة والتمبـول .

رسـوا : هل تدخنيـن الشيشـة منـذ طفولتك ؟

امـراؤ : نعـم ، اقـتـداء بجـوهـر مرزا ، لما رأيت جـوهـر مـرزا يدخن رغبت فى التـدخين، فـى البداية كنت أدخن على سـبيل التـسليـة وحـسب الرغبة فقط، ثم أصبح من عادتى ولا أستطيـع أن أتركهـا .

رسوا : جوهر مرزا كان يدخن المخدرات أيضا، ولا غرابة أنك فعلت مثله، وأصبحت راغبة فيها واقتديت به.

امراؤ : الله عز وجل نجانى من المخدرات حتى اليوم ؛ وأنا لا أقسم بأننى لم آكل الأفيون ولكنى أكلته، بعدما رجعت من كربلاء المقدسة، حيث أصابتنى نزلة برد شديدة ولازمنى الزكام فترة طويلة، ونصحنى الحكيم بأكل الأفيون فأخذت آكله .

رسوا: وأشار إلى الخمر وقال وهذا يمنع البرد أيضاً ؟!

امراؤ : لا تذكر ذلك .

رسوا : هل تبت ؟!! .

امراؤ : منذ فترة طويلة .

رسوا : وفى الحقيقة أن الخمر شيء سيئ جداً، وهذا حالى!!

بعد التوبة لم يبق سوى حسرة القلب

التى أتجرعها وأصبحت من نصيبى

امراؤ : الله ؟! ما أجمل الشعر الذى قلته يا سيد مرزا ؟! أنت تشرب أو لا تشرب ، هذا اختيارك .

رسوا : وأنت أيضاً تشربين معى .

امـراؤ : لقـد تبـت .

رسـوا : هـل تبـت ؟

إننى أتذكـر السحـاب والهـواء البـارد

وهـا هـويـرد على خاطـرى اللهـم اجعلـه خيـراً

امـراؤ : الآن بـدأت أتثـاءب ، الله عليك ، أعـرض عن هـذا واتـرك ذكر الخمر وغيره .

رسـوا : أتركـه .

امـراؤ : والله ، أُعذرنى ولا تذكر هـذه الأشيـاء مرة أخرى حتى ولو فى المزاح.

الأن لا أستطيـع أن أغلق فمي ولكنه جـاء فى خيـالى

فبعـد أن تذكرته اللهـم اجعلـه خيـراً

رسـوا : الله يا امراؤ ما أحسـن هذا الشعـر.

امـراؤ: شكـراً .

كلمـا تـذكـرت مخيلتـــه

تذكـرت النزهـة بين الورود والياسميـن

رسـوا : مـا شـاء الله اليـوم مـزاجـك مـعـتـدل وتـقـولين شـعـراً، ولـم لا فهـذا يذكرك بأيـام الشبـاب .

امـراؤ: لا يـا سيـدى هـذا تـأثيـر الـحديث عن الخمـر .

أيهـا الزاهــدون عجبًا لمعاملتكــم لنــا

إننى أتذكــر أننــا كنــا نظنكــم قــدوة لنــا

رسـوا : واعـجـبـاه ؟! مـا أجـمل هـذه القـافـيـة ومـا أحـسـن طريقـة **إلقائك** ؟!

امـراؤ :

لقــد ضللنــا الطريــق إلى الكعبــة

ثم تذكرنــاه بعــد فتـرة طويلـة

رسـوا : مـا شــاء الله ؟! مـاذا قلت ؟ مـا أجـمـل قـولك عن طريـق **العودة** مـن الكعبـة المشرفـة ؟! لقـد أحسـنـت .

امـراؤ : يا سيـد مـرزا ، لا تـأخـذ هـذا الكـلام كمطلـع قصيـدة .

نعــم إننى أتذكــر الرحلــة إلى الكعبــة

نعــم تذكــرناه بعــد فتــرة طويلــة

رسـوا : هـذا الكـلام خاصـة .

امـراؤ:

تذكــرت الطيــور ووحشــة الطريــق

والسيــر فى الصحــراء القاحلـة

رسوا : وهذا المطلع لا بأس به.

امراؤ: انتبهْ لهذا الشعر .

نحن نشكو نشوة الخمر

فلماذا بغيرها نتذكر

رسوا : أنا أقول بأن نفسيتك حلوة اليوم ، حسنا اسمعى هذا الشعر ثم أكملى قصتك.

السحاب والهواء والخمر والجمال

جميعها تحتاج لأيام الشباب

امراؤ: عجبا يا سيد مرزا لقد حطمت قلبى، والأفكار تأتى على حسب مرادك ، فقد مضت عدة سنوات وأنا أعيش فى بيت الهانم على هذا النمط ولم تحدث أى حادثة جديرة بالذكر فى هذا المكان ، نعم تذكرت جيدا ، حفلة زواج بسم الله كانت فخمة ورأت عيونى حفلات ملكية إلا أنها لم تر مثل حفلة زواج بسم الله ، فقد زُين قصر دلا رام وأضيئت جميع أنواره من الداخل والخارج لهذا الحفل ، وكان جميع الملحنين والمطربين والمقلدين من كشمير ودعيت المطربات من أماكن بعيدة ، وحضر كذلك بعض المطربين من دهلى ، واستمرت حفلات الغناء لسبعة أيام ليلاً ونهاراً، والهانم وزعت الأموال عليهم جميعا بكرم شديد ، وهذه الواقعة مشهورة حتى اليوم.

ويعد ما فعلته الهانم لابنتها قليلاً ؛ لأن بسم الله هى ابنتها الوحيدة ، فقد ورث نائب جهبن أملاك جدته زوجة عمدة الخاقان وكان ابن النائب صغير السن - نواب زاده - والله يعلم كيف نصبت الهانم شباكها عليه حتى وقع فى شباكها وأصبح فريسة لها .

وأنفق النواب ما بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين ألف روبية فى هذه الحفلة ، وبعد ذلك أصبحت بسم الله مصاحبة وملازمة لنواب صاحب، وكانت تظن أن هذا عين العقل .

يا سيد مرزا : الكلام الذى تسألنى عنه ثقيل على لسانى، وحقا إن الغانيات لا يستحين وإنهن وقحات ، إلا إن هذه الوقاحة لها فترة معينة، هى طيش الشباب ، والحركات والكلام الخارج عن الحد يقل مع تقدم السن حتى تصل الواحدة منهن لحد الاعتدال ، وأخيراً الغانيات نساء وما الفائدة التى تعود عليك من سؤالك عن أحوالهن ؟!

رسوا : هناك بعض الفوائد ، ولهذا السبب أنا مصر على هذه الأسئلة، وأنت مثقفة وعارفة بهذه الأمور لذا لا تقبل جميع هذه الأعذار، وليس من الضرورى أن يخجل المثقفون والمتعلمون منها .

امراؤ : هل العلم يجعل الإنسان عديم الحياء ؟! ما هذا الكلام الذى تقوله لى ؟!

رسوا: حسنا ، قولى أنت ولا تضيعى وقتى بثرثرتك الفارغة وبكلام ليس له معنى .

امـراؤ: إذن لن تنشر هذا الكلام فى أى صحيفة.

رسـوا : مـاذا تفهمين؟

امـراؤ : يـاه للفـضـيـحـة ؟! تب إلى الله ، أنت تريد أن تفـضـحنى مثلك.

رسـوا : حسنا ، فـإذا أصبحـت مثلـى فأى قبـح فى هـذا ؟!

لمـاذا وقعـت فى غـرام رسـوا

فكيـف سأنجـومنـه وأنـا لا أستطيـع العيـش بدونـه

امـراؤ: يـا لئيـم ، مـن يحبـك أنـت ؟

لا يخلـوالـحديث مـع الزاهـد مـن النصيحـة

كمـا أنـه بـدون حكمتـه لا أستطيـع أن أتذكـر الآخـرين

رسـوا : شعـر مـن هـذا ؟

امـراؤ: لـمـاذا تسـألنى وأنـت شـاعر ؟!

رسـوا : نعـم ، فـهـمـت . قـولى أنت الشـعـر لأنك سـمـعت هذا الغزل أيضًا .

امـراؤ :

حـاول أن تنجـو بنفسـك من براثـن العشـق

لأننى لا أستطيـع العيـش بـدون حبيبى رسـوا

رسـوا : وهـل تتذكرين هـذا الشـعـر الذى ينتهـى بكلمـة – بـدون تقاضـا –؟

امـراؤ :

أمثـال هـؤلاء لا يوفون بوعـودهـم

كمـا أننا لا نأخـذ شيئًا منهـم دون مقابـل

رسـوا : ليـس فى ذهـنى أى شعـر آخـر.

رسـوا : كـانت قصـيدة غـزل طويلة جـداً، ابحـثى عنـهـا، ولو عـثرت عليها اعرضيها علىّ.

امـراؤ: أطلبهـا منـه .

رسـوا : إذا ذهـبت وكتبت هـذه القصـيـدة بنفسـى يمكـن ذلـك ، وإلا فلـن يكتـب هـو لى ، ولـن يرسـل .

امـراؤ : هـل هـذا كـلام ؟!

رسـوا : نـعـم وأنـت لا تـعـرفين بـأنه أقـسـم ألا يـبـيض أى مـسـودة شعـر أو غزل.

امـراؤ :حسنا ، فى يوم ما سنذهـب سـويًا . والآن خطر فى ذهنى شعرُ آخر .

عـلى كل حـال لـمـاذا يسيئـون الظـن بنـا

فعلينـا الإقـلاع عـن ذلك حـتى لا تسـوء سمعتنـا

اسمع وأنصت لمزيد من الشعر :

سندع ظلم الغير لنا

إلا إننى لا أستطيع العيش بدون عشق رسوا

رسوا : وكان شعر الغزل على نفس المنوال ، ولكن الله يعلم ماذا حدث فإننى لا أتذكر سوى مقطع .

امراؤ : أسمعنى مقطعًا أخر ، ما أحسن قولك ؟!

رسوا :

لماذا أحببت رسوا

إننى لا أستطيع العيش بدون رسوا

امراؤ: بالفعل أنت قلت أجمل شعر ، لكن هذا الشعر له ميزة خاصة، وهى اختيارك للتخلص .

رسوا : لا داعى لذكر التخلص ، وبفضل عطف أحد المحسنين فى المدينة أصبح فيها أكثر من شاعر اسمه رسوا، والناس تركوا تخلصهم واعتادوا استعمال تخلص رسوا ، وهذا ليس بمستغرب ، إنهم لا يعرفون اسمى ، بل العجب أنهم يغيرون أسماءهم وهذا يسعدنى فاسم الابن والأب يكون واحدًا طبقاً للتقاليد الإنجليزية. وهؤلاء الشعراء جميعًا أبنائى الروحيون ، وبقدر تطورهم وتقدمهم سيذكر اسمى وسيشتهر أكثر.

رسـوا : لا تغلقى باب الحديث ، فستجيبين عما أسالك عنه .

امـراؤ : هل أجيب رغـم أنفى عن أسـئلتك التـى لا حيـاء فـيـهـا؟؟ هل هوغصبٌ ؟! لمـاذا تسـألنى عـن هذا الكـلام المخجـل ؟!

رسـوا : فى أفـراح الزفـاف تُغنى أغنيات كثيـرة لا حيـاء فيها.

امـراؤ : المغنيـات لا يغنين الغناء الفـاحش فى مـدينة لكهنو، ولكن الساقطات هن اللاتى يغنين مثـل هـذا، ولكن فى مـحافل النسـاء أو مغنيات القرى يغنينه وسط الرجال وفـى الحـقـيقـة يا سـيد مـرزا، سـواء كـان هذا الغناء فى القرى أو المدن فهو غير ملائم ، وتقليـد غيـر صـحيـح .

رسـوا : هذا ليس صـحيحًا ولا مـلائمًا فى رأيك أنت ؛ فـقـد رأيت بعينى وسـمـعت بأذنى أن بعض الرجال الشـرفـاء يندسـون فى مـجالس النسـاء لسـماع مثـل هذا الغناء الفـاحش ، والأمـهات والبنـات يذهـبن إلى هذا الحفل فى سعادة بالغة ويطـرحن حجابهن جانبًا فى مجالس النساء ، الله أرانى هذا اليوم ويا ليتنى لم أره ؟! علاوة على ذلك فإن هذا الغناء الفـاحش يسـتمـر حتـى الصـبـاح ولا يـخلو من ذكـر ألفـاظ خـارجـة تخدش حياء الفـتيات والزوجـات العـفيفـات ، من الأفضل أن نتـرك هذا الكلام ، وأكملى أنت قصة حياتك ، فأنـا لست مصلـح قومـه حتى أعترض على مثل هـذه الأمـور.

امـراؤ : أنت لا تقبل ولا تصـدق ، ولكن أنصت . منذ حـفلة زواج بسم الله شـاهدت أمـاكن خـورشـيد وأمـيـر جـان وتولدت فـى قلبى رغبـة

خاصة أن أعرف بعض التقاليد التى لم أكن أعرفها ، فرأيت أن بسم الله أصبحت بسم الله جان، وهكذا خورشيد أصبح اسمها خورشيد جان وهذا كله بدون وثيقة زواج وحصلن على حريتهن وخلعن برقع الحياء .

والآن انفصلوا عني وأصبحت فى نظرهم حقيرة ؛ فقد أصبحتا تمزحان مع الرجال بدون كلفة ، وزينت حجرة كل واحدة منهما بأسرة مشدودة بالحبال وفرشت بالملاءات النظيفة البيضاء على الأرض ، وعلبة التمبول النظيفة المنقشة ، وأيضًا علبة المكياج والمبصقة ، كل هذه الأشياء كانت مرتبة ومزينة فى نسق تام ونظام بديع.

وعلى الحائط مرآة جلبت من مدينة حلب كما زينت الجدران بصور جميلة، وعلى الأسطح علقت الأقمشة لمنع التراب ، وفى وسط الحجرة قنديل مدلى وخادمتان وخادمان أيضًا واقفان رهن الإشارة ، وطوال الوقت يوجد الشباب من أبناء الرؤساء والكبار للمداعبة والملاطفة ، فأحدهم يشرب من الشيشة الفضية الصغيرة وأمامه علبة التمبول مفتوحة وبسم الله تعد التمبول وتعطى لكل واحد ، وكان الناس يحملقون فيها وهى تمشى ويظهرون محبتهم لها وهى لا تهتم بأى أحد وكل واحد منهم يتمنى إشارة منها لدرجة أنها تستطيع أن تغير الحكومة ولا يرد لها قول ، فلو أنها طلبت من المحبين لها أرواحهم لأعطوها وهم مسرورون ، فالواحد منهم يقدم قلبه لها على كفه والآخر يفديها بنفسه ، وهى لا تقبل ذلك منهم ولا تقنع بكل هذا ، ولا يعجبها

أى شيء ، ولو أن أحدهم يقدم روحه فداءً لها فهى لا تهتم ؛ لأنها مغرورة لدرجة أن سلطنة الأقاليم السبعة لا تساوى فى نظرها شيئًا ، وكانت مدللة إلى هذه الدرجة التى لا يستطيع أحد أن يصل إليها ، لأنها كانت مدللة أكثر من اللازم ، وأسلوبها وحركاتها تفتن الإنسان ويعجب بها إلى درجة كبيرة والناس يعشقونها ويحبونها ، أما هى فقد تضحك واحداً وتبكى الآخر وتحطم قلب ثالث وتدوس بأقدامها على قلب رابع وتغضب من أقل شيء ، والناس رغم ذلك يحاولون إرضاءها فهذا يأخذ بخاطرها والثانى يعتذر وهى تعد ثم تخلف وعدها ثم تحلف ثم تنسى.

وفى الحفل أعين الناس دائمًا منصبة عليها وهى لا تلقى لهم بالاً ، ولو نظرت إلى أى جهة ، فكل واحد من المجلس ينظر لتلك الجهة التى نظرت هى إليها ، وألاف الناس ينظرون إليها وهى تحب ذلك وتتلذذ بتعذيب الآخرين ، والشيء اللطيف فى كلامها أنه لا يعلق شيء منه بقلبها ، وأنه ليس هناك اعتبار لأى شخص فى قلبها ، فهذا حقير والأخر مخادع.

فى الوقت الحاضر يجول بخاطرى أشياء كثيرة

فهل حل القضاء علىّ أم على عدوى

وكل ما تفعله تصنع وتكلف ، ثم هذا المسكين لو خدع ماذا تفعل فهى أولاً تتظاهر بأنها تحبه وأخيراً قتلته عشقا وحبًا بالعيون ،

وبعد ذلك تطمئن قلبه ، هذا فى الظاهر فقط ، ولماذا هى تموت ؟ فليمت أعداؤها وأخيراً يموت العاشق كمداً ويظل هذا العاشق الولهان يبكى ويندب حظه فى بيته ، بينما هى تضحك مع صويحباتها بصوت عال .

يا سيد مرزا : أنت تعرف جميع هذه الأمور أفضل منى ، وإن هذه الحركات عندما كانت تخطر على قلبى وأرى الناس يحبونها فكنت أحسدها على ذلك فالغيرة بين النساء لا نهاية لها ، وهى الحقيقة رغم أننى أخجل من الحديث عنها ، وكنت أود لو أن هؤلاء العاشقين كلهم يحبوننى أنا ، ويقاتل بعضهم بعضاً من أجلى ، وأى عاشق يموت حبًا فىّ أنا ، ولكنهم لا ينظرون لغيرها ، إلا إننى لم أحظ بأى نظرة من أحدهما ولا يُعيرنى أحدهم اهتمامًا ولا يقدم أحد روحه فداءً لى ؟!

والحجرة الصغيرة لبوا حسينى كانت من الباب والجدران وحتى السقف سوداء بسبب الدخان ، وفى ناحية كان هناك سرير قد اقترب من الأرض وأنا وبوا حسينى من سوء حالته كنا نقضى طول الليل عليه ، وفى الناحية الأخرى لهذه الحجرة كان الكانون وبالقرب منه وعاءان للماء ، وفى نفس المكان بعض الأوانى النحاسية القديمة منها ما هو مطلى بالقصدير ومنها غير ذلك ، وأيضًا يوجد الطشت والصوانى والأطباق والأكواب ، وجميع هذه الأشياء كانت ملقاة هنا وهناك. وفى الركن جوال به دقيق وبجواره آنية توجد بها أنواع مختلفة من العدس والملح والتوابل ، وبالقرب منها خشب الوقود ومطحنة للتوابل . الخلاصة أن جميع هذه الأشياء كانت مبعثرة هنا وهناك فى الحجرة ، وفوق الموقد يوجد

على الحائط مسماران كبيران يوضع عليهما المصباح وقت إعداد الطعام ، وفى المصباح فتيلة مصنوعة من خيط رفيع ضوءها خافت جداً ، ومهما حاولت لإطالة الشعلة فلا يزيد ضوء المصباح - الفقر مصيبة - ومن زينات هذه الحجرة سلتان وفى إحداهما كان يوضع البصل وفى الثانية أوانى الطهى وكذلك العدس والخبز ، وكان الخبز الخاص للشيخ مغطى بالغطاء ، أما سبت البصل فكان بالقرب من الموقد. والسبت الآخر كأنه فوق رأسى ولأنه ثقيل لدرجة أننى كنت أشعر بأنه موضوع على صدرى ، ولو وقفت فجأة على السرير لأصابت أوانى الطعام رأسى .

وكانت عصا الشيخ مسلطة علينا من الصباح حتى الساعة الحادية عشرة، غير التوبيخ والزجر. ورغم هذا الضرب فقد كنا نحب الشيخ وهو يحبنا، ورغم كل وسائل التأديب لم أترك أساليبى وحركاتى وفى البداية غلب على شوق للنظر فى المرآة وكان عمرى وقتها أربعة عشر عاماً ، وأول ما خرجت بوا حسينى من الحجرة وبعدت عن المكان قليلاً أخرجت مرآة بوا حسينى من صندوقها الخشبى وبدأت أنظر إلى وجهى فى المرآة وأقارن بين ملامح وجهى وملامح الأخريات ولم أشعر بأى شىء قبيح فى وجهى ولكن كنت أعتبر نفسى أفضل من الأخريات رغم أن الحقيقة لم تكن هكذا.

رسوا : إذن هل كان وجهك أقل جمالاً من الأخريات ؟ حتى الآن ما زلت أجمل من المئات مع أنك كنت فى هذه الفترة أكثر شباباً .

امـراؤ : شكرًا لك سـيـدى اترك هـذا المدح فليس مـحله الأن ، وأعذرنى لأنى كنت أفكر مثلهن وهذا التفكير كان يعذبنى ، وكنت أقول فى نفسى لست قبيحة إلى هذا الحد الذى يجعل الآخرين لا يلتفتون إلىّ أو يهتمون بى .

رسوا : هذا لا يمكن، ألا يهتم بك أحد ؟! ألم تقع نظراتهم عليك؟!! ربما لم يحدث ذلك لأن حفلة زفاف ليست لك وربما لم يلتفت إليك أحد بسبب الخوف من الهانم .

امـراؤ : ربما يكون هذا ، ولكن لا يوجد ما يُميزنى عن الأخريات فأنا مثلهم بدون ثروة وكنت أتهيب حتى حضرتك – وأصبحت فى حيرة من أمرى – سئمت كل شىء حتى الطعام والشراب وطار النوم من عينى لعدة ليالٍ ، وفى ذلك الوقت كان لدى شوق لتمشيط شعرى وعمل ضفيرة وعند التمشيط صدمت صدمة كبيرة لأن ضفيرتى كانت ملتوية على صدرى كالثعبان ولا تثبت ، وكان النائب جهبن يضفر ضفيرة بسم الله بيده ، وعلمتنى بوا حسينى كيف أضفر شعرى وكانت تقول لى أنت دائما حاسرة الرأس ، وفى النهاية تعلمت كيف أضفر شعرى بيدى ، وجميع الغانيات كانوا يغيرون بدلا كثيرة فى النهار وكانت ملابسهن شفافة ومطرزة بنقوش جميلة ويضعن طرحة من الحرير ويدهن شعورهن بالزيت كما يُعطرن أجسامهن بالعطور الذكية الرائحة ، وكنت أرغب فى تغيير ملابسى لكى أذهب وأجلس عند الرجال وأحيانًا كنت أذهب فى حجرة بسم الله وأحياناً أخرى عند أمير جان .

وهكذا كنت أعيش حياتى ، وكنت أشعر بخيبة الأمل بجلوسى مع هؤلاء الناس وكنت دائمًا أفكر : من منهم سيجلس معى ؟ وهل أنا شريرة إلى هذه الدرجة بأن لا يخطر ببال أحدهم أن يلتفت إلىّ أو يجلس معى ولو أن أحدهم نظر إلىّ لشعر بحرقة الشوق ، وهل هذا هو الحب بين الرجال والنساء ؟ . ومن ناحية أخرى لم يكن هؤلاء الناس مسرورين بجلوسى بينهم .

يا سيد مرزا : حضرتك تستطيع أن تفهم أن جوهر مرزا كان ينتهز الفرص ليحدثنى بأحاديث الصداقة وكنت أداعبه ويداعبنى، وكنت أتفهم محبته لى ، وحدث قبول بيننا ، وكان هو يحبنى ويعزنى إلى درجة أنه عندما كان يأتى إلى الكُتاب صباحًا كان يحضر لى فى جيبه اثنتين من ثمار اليوسفى والبرتقال ويعطيهما لى فى الخفاء ، وفى يوم ما جاء بقطعة من حلوى السوهن وأعطانى منها ، وفى يوم أخر لا أعلم من أين جاء بالنقود التى أعطاها لى ، وأنا كنت قد أخذت منه روبيات كثيرة، ولكن لن أنسى فرحتى أبدًا عندما أعطانى روبية لأول مرة ، وكنت دائمًا أجد معه روبيات كثيرة وأحيانا كنت لا أجد معه ولا بيسة واحدة ، ولأن الروبية كانت تساوى كثيرًا فى تلك الأيام فأنا أيضًا ادخرتها ولم أصرفها، كما أنه لم يكن هناك حاجة ضرورية لإنفاقها..... وكذلك كنت خائفة من إنفاق هذه الروبية لأن الناس سيسألوننى من أين حصلت عليها ؟؟!!!! ماذا أقول لهم ؟ وبم أجيبهم ؟ وكنت قد بدأت أفهم أهمية الأسرار وهذا الشعور وهذا الفهم لم يأت إلا ببلوغى سن الرشد، ولا شك أننى وصلت إلى سن التمييز.

(٥)

لقد سرق العاشق قلبي

في غفلة من حارسه الذي كان في سبات عميق

وفي يوم من أيام الخريف كانت السماء ملبدة بالغيوم والأمطار تهطل بغزارة ، وفي السماء كانت تُسمع أصوات الرعد ، وتُرى ومضات البرق ، كنت أجلس وحيدة في حجرة بوا حسيني، وكانت بوا حسيني قد ذهبت بمصاحبة الهانم إلى بيت حيدري لزيارته، وأطفئ المصباح والظلام كان دامسًا وشديداً لدرجة أن اليد لا ترى اليد الأخرى ، وهناك في الحجرات الأخرى الاحتفالات والأفراح ، وتأتي أصوات الغناء من تلك الناحية مع الضحكات العالية ومن ناحية أخرى أنا لوحدي ملقاة في هذه الحجرة المظلمة باكية على وحدتي وعزلتي ، ماذا يجول بخاطري ؟ وكيف لا يتألم قلبي ؟ فقد كنت أرتعد من شدة الخوف ، وعندما يضيء البرق في السماء كنت أغطي وجهي باللحاف وعندما يأتي صوت الرعد كنت أضع أناملي في أذني ، ثم غلبني النوم على هذه الحالة. ولم ألبث بأن شعرت أن شخصاً ما أمسك بيدي بقوة فعجزت عن الكلام وأصبحت مغشياً عليّ.

وفي الصباح بحث الناس عن السارق ولكن أين يعثرون عليه ؟ والهانم غاضبة مكدرة ، وبوا حسيني تتمتم بكلام غير مفهوم بصوت خفيض جداً، وأنا المؤذية كنت جالسة صامتة ، وكلهم تعبوا

من السؤال والتحريات هنا وهناك ، لكن ماذا أقول لو أنا أعرف أى شىء كنت أقول :

رسوا : لست أدرى ماذا أقول

امراؤ : لا تزين الكلام ، اسمع يا سيد مرزا، إن استياء الهانم فى ذلك اليوم ووجهها الحزين المغموم وكذلك وجه بوا حسينى المكدر حينما أتذكرهما ينتابنى الضحك على الفور.

رسوا : ولماذا لا تضحكين ؟ فقد كنت ستحطمين آمالهم بتغيير مزاجك .

امراؤ : سأحطم آمالهم ، إنك لا تعرف الهانم فهى امراة ذكية ، وبإشارة منها تدبر الأمور كما تريد وتحب.

وهى دائما تبحث عن الرجل الغنى غير المجرب وتوقعه فى غرامها ، حتى يصبح ألعوبة فى يدها . وفى هذه الأيام جاء ابن رئيس الوزراء إلى لكهنو لطلب العلم ، وقد ترك له والده ثروة كبيرة جمعها من الرشوة والمال الحرام ، وظل على حاله لعدة أيام ثم تعلق قلبه بلكهنو ، وأصبح مشتاقًا إلى الفن وأهله وكان لا يستحى، وكان اسمه شريف راشد على ، كان لقبه راشد واتخذ أحد الأساتذة من لكهنو مرشدا له ، وكان يعتز بلقبه راشد، وقد جاء من وطنه ومعه خادمه وكان هذا الخادم يحكى عن جميع أحوال سيده ، وقد لقبه أهل لكهنو براجا - والألقاب كان يستعملها أهل الريف - ولكن سيادته كان يذوب عشقًا فى أسلوب

وطريقة أهل لكهنو ، وعندما جاء من منزله كانت له لحية منسقة وبسبب حبه لهواء لكهنو قصر لحيته قليلاً وبعد فترة حلقها تمامًا وبعد حلقه لحيته بدا وجهه صغيراً قبيح المنظر ، أسود اللون تعلوه أثار الجدرى ، فطيس الأنف ضيق العينين ، وغائر الوجنتين وجبهته صغيرة ورقبته قصيرة وقده نحيلاً.

ورغم ذلك كان يظن أنه يتمتع بجمال يوسف عليه السلام !!! وكان دائمًا يقف أمام المرآة . وقد فتل شاربه وأصبح رفيعًا مثل ذيل الفار ، ورفع شعره لأعلى كالقنفذ ، ويضع على رأسه طاقية صغيرة ويرتدى ملابس غالية الثمن ، ومع كل مظاهر العظمة والأبهة فقد كان يتناول طعامه بكل تواضع.

وكانت جميع الغانيات يذهبن إليه لأنه يحيا فى رغد من العيش ، ولأنه صاحب نفوذ قوى ونفس سمحة، فقد كان يتوسط لأصدقائه، حتى أصبحوا بفضله من أصحاب المناصب العليا ، وكان يتصرف بدون تكلف مع الغانيات فكانت جهتن جان تشتمه بالأم !!! وبكن تضحك عليه وتسرد له الحكايات .

أما حسينى فقد كانت تضربه بالحذاء !.. ولم يتأثر بأى شىء، ولكنه كان يضحك ويقهقه ، وهذا بعض مما يحدث معه ، ولكنه كان ذا أدب عال إذا أراد إحياء إحدى الليالى كان ينادى المغنية فى جمع عام بيا أمى الحبيبة ويسلم عليها فى خجل ، وكان ذلك هو عين

سعادتها ، وقد كان فى هذا مصلحة له ميزته عن أقرانه وكان يقابل بكل ود من المساء وحتى آخر الليل يظل فى قصر الهانم التى كانت تعمل على راحته هو وجميع الجالسين معه، وترحب بهم جميعاً .

وكانت له معرفة تامة بفن الموسيقى، ويلحن الأشعار ويغنيها بنفسه ، والكلام القليل الذى كان يحكيه كان ينغمه على صوت الإيقاع والأصدقاء كانوا يقلدونه فى ذلك ، وكان الناس يمدحون أشعاره كما يمدحون أشعار ناسخ واتش ، وكنت أخشى مجالس الشعر وقد كنت أنت تقرض الغزل وتسيطر على المجلس كله وتأخذ بلب أهل المجلس ، وكنت أقرأ كلامك قبل أن ينشر باللغة الأردية ، وكانت أشعارك تسعد الناس لدرجة أنهم جميعًا كانوا يعترفون بفضلك ، وأنت أيضًا كنت مسروراً وكنت موافقا على هذه الثرثرة. وراشد على - كانت تأتيه الأموال من بلده ترسلها له والدته لمساعدته على طلب العلم والدراسة ليصبح عالمًا فى الدين الإسلامى، ويرسل الناس أبناءهم ليتعلموا على يديه - وما كان يدور بخلدها أنه يحيا حياة رغدة مع أصحابه ولا يستمع للنصح، ولا يفكر إلا فى لكهنو، ثم تطور فكره وغلب عليه الشوق حتى أصبح عاشقًا وجن جنونه فقد شغلته الهانم بدلالها، وهى التى كانت تقول عنه إنه ولد صغير ، وأتذكر هذا حتى اليوم بأنه كان يتوسل إليها، وفى النهاية ضيع خمسة آلاف روبية على الدواء بسبب ألم العشق وسحر الهانم.

واضطر أن يعود إلى بلده لعدة أيام للحصول على المال ؛ فقد رهنت له أمه أراضى كثيرة فى الخفاء وأعطته خمسة وعشرين ألف روبية

أخذها معه إلى لكهنو ، أنفق منها خمسة آلاف روبية ودفع هو ببقية المال إلى خزانة الهانم ، فى النهاية أصبح رهن إشارتها ، وظل بلكهنو ستة أشهر وقد كانت الهانم تعطى له مائة روبية شهريًا، والذى كان يعطيه لى سرًا كنت أضعه عند بوا حسينى فى الخفاء ، والهانم لا تعرف عنه شيئًا .

وعندما لا يكون هناك أحد فكنا نستغل شريف راشد على فى تلبية مطالبنا وما فيه راحتنا وكنا نرسل شخصًا يبحث لنا فى المدينة عن أفضل أنواع الطعام والشراب ليجلبه لنا، وكنا نقوم على راحته كما يقوم الناس على راحة مرضاهم ويسهرون بجوارهم ليلاً وفى الصباح يعطونه الدواء ويسألون عنه الطبيب، ويسأل عنه الأصدقاء والمعارف والأحباب .

والآن أصبحت حرة ، وأصبح لى خادمٌ وأصبحت لى جاريتان أيضًا وحارس على الحجرة ، وقد زينت حجرة خاصة لى بالزينات والفرش من أجل معيشتى فيها، ثم جاء أربعة رجال عندى من بينهم شريف زادة وكنت متعلقة بجوهر مرزا منذ طفولتى ولأنه كان أول رجل فى حياتى ، وكنت أقابله على الدوام والهانم وبوا حسينى أحرقتا صورته ، لكننى كنت أحبه ولم يقف أى شىء عقبة فى طريق هذا الحب.

وبعد وفاة والد جوهر مرزا انقطعت أخباره ولم يعد يأتى لزيارتى مرة أخرى ، وقد بلغت السيدة بنوا من الكبر عتيًا ولم يكن يسأل عنها

أحد ولذلك فإن خبر علاقتى بجوهر مرزا لا يعرفه أحد غيرى ، ومن المعتاد أن جميع الغانيات لا يتعلقن بأحد سوى من يستفدن منه أكثر ، ولا يتعلق قلب إحداهن بأحد.

وفى الأفراح كنت أغنى فى الحفل وكان يرقص ، وإذا توجهت للجلوس بين أهل العروس كنت أعطيه الدف فكان يرقص وكان الناس يعجبون لرقصه وغنائه ويصفقون له ويرددون عبارات الاستحسان فى سرور ، وكان يغنى بصوت عال وكان يشرح لهم الألحان وكنا نجد أطايب الطعام بسببه ، وكان يوصى على الغانيات ويكرمهن جميعا ، ولو قابلته غنيًا كنت أتلطف معه فى الحديث وأراقبه بلطف ، وعندما كان يرغب فى الذهاب هنا وهناك كنت أقول له ياسيدى أنا رهن إشارتك ، وكنت أقول له ياسيدى أنا لا أعلم عن عاداتك شيئا وإننى قابلتك اليوم وهم سيأتون فى هذا الوقت ، فلو أذنت لى فى الذهاب إليهن لأدعوهن ، وتكررت محاولات اللقاء فى أطراف المدينة ، وتجمعوا فى هذا المكان للعرض وكان تعدادهم لا يقل عن ستين رجلا.

وفى هذا المكان كانت تعيش غانية فى رعب شديد وجميع الغانيات يحببنها ولكن لا يستطعن الجلوس أو الخروج معها، وكنت أخرج معها وأذهب معها إلى المنزل وأجالسها .

وكانت الأمير جان تعشق كاظم على وكان يعطى لها الروبيات، وفى مرة واحدة أعطاها خمسمائة روبية ، ويظل جالسًا معها ويظل

الغناء والضجيج حتى الصباح ، وفى مرة همس فى أذنى رجل بعد أن أعطانى مائة روبية وقال لى اشتر بها ملابس جديدة ، وسأدفع لك آلاف الروبيات لو ظللت طوع أمرى، وسأجعلك تعيشين عيشة هنية وتصبحين امراة غنية ، فكانت خورشيد جان تفدى حبيبها بروحها وبسم الله لا تعرف عن ذلك شيئا. ولم يتعرف أحد على بسم الله لأنها كانت سيئة الطباع ، وكانت لا تريد أن تكون عبدة لأحد.

وإننى أتذكر ذلك اليوم الذى كان فيه عمر الهانم خمسين عامًا وكانت تشفق على مير على الذى لم يتجاوز ثمانية عشر أو تسعة عشر عامًا كان شابًا وسيمًا صحيح البدن ، وكان يلاحظنى بنظرات طيبة ولكن لخوفه من الهانم لم يستطع أن يتكلم معى فقد كان إنسانًا فقيرًا لا حول له يحتاج إلى الطعام ، وكانت الهانم ترعاه هو وأسرته فقد أنفقت ألفًا وخمسمائة روبية من أجل زواجه ، لكن ليلة بعد أخرى أصبح السيد مير لا ينام الليل فى منزله !!! ، وكان حضوره للمنزل ويظل به ساعة أو ساعتين فى اليوم ، والرجل الأخر الذى قد جاء مع السيد مرزا كان فى السبعين من عمره ، قد انحنى ظهره وتساقطت أسنانه وضعف بدنه ، وكانت له معرفة قديمة بالهانم ولم تكن بينهما كلفة فى الحديث، وكان يعتبر نفسه من أصحاب البيت يتناول الطعام مع سيدة البيت الهانم وكان يحيك بنفسه ملابسها وجميع نفقات الهانم على عاتقه ، وكانا يشربان المسكرات معًا ، ويأكلان الأفيون معًا .

وفى يوم من الأيام وقد كنا نجلس عند الهانم وكانت خورشيد تجلس مكتئبة وحزينة مصفرة الجبين ؛ لأن حبيبها قد تزوج بأخرى ، فقالت لها الهانم بذكائها وخبرتها:

يا بنت ، الحب فى هذا الزمان ليس معلومًا من أى نوع ؟ وعليك أن تفعلى مثل ما تفعل الغانيات فى هذا الزمان ، اللاتى لا يتعلق قلبهن بأحد .

ثم أردفت قائلة : انظرى إلى زماننا وأشارت ناحية مرزا وقالت : هذا الذى يجلس أمامك واحدٌ من المعجبين بى ، وكان يعرفنى فى شبابه وقد زوجه أبواه رغمًا عنه ، وتألم جسده وحزن علىّ وها هو قد أحضر لى الثياب فأخذتها منه وخبطتها بيدى ، لأننى لا أستطيع أن أتركه ، ورغم مرور ما يقرب من أربعين عاما على هذا الكلام لم يذهب إلى زوجته فى منزله ولم يفعل أحد مثلما فعل هو ، وأخيرا خضع الجميع لرغبته .

(٦)

فى حفل الزواج بدت بسم الله بأبهى حلة وافتتحت الحفل بالغناء ثم بعده الرقص وكان حفل زواج ابنة نائب شجاعت على خان – وهذا الحفل أتذكره جيداً – حيث زين قصر النائب بأجمل الزينات وأصبح الليل نهارًا من أنوار المصابيح الغالية ، وفرشت الملاءات البيضاء وبسطت السجاجيد الإيرانية كما فرشت الوسائد والمساند ذات الألوان

الزاهية . فى هذا الحفل وضعت الشيشة الغالية أمام الحضور من الرجال ، وكانت رائحة الزهور والعطور منتشرة فى أنحاء هذا القصر الفخم المسمى - بارى درى - كما انتشرت رائحة التمبول والدخان فوق الرءوس .

وفى ذلك الوقت كنت قد بلغت الرابعة عشرة من عمرى ثم حضرت إحدى المغنيات من برودى - وكانت أغانيها مشهورة ، فى ذلك الوقت - وكانت تستمع لكل أغانى المطربين الكبار وتحفظ هذه الأغانى الجميلة وترددها بصوتها الجميل الذى يعم أرجاء المكان.

واعجباه !!!! ما أجمل الحفل الذى تعده الهانم ؟! ثم بعد ذلك طلبت منى الهانم الوقوف ولم يفهم الناس مرادها ثم جعلتنى أمام هذه المغنية الكبيرة ، لكن الناس الأذكياء كانوا فى حيرة من أمرها ماذا تفعل الهانم ؟ أولا كيف لهذه الجارية الصغيرة أن تثبت وجودها أمام هذه المغنية الكبيرة ؟؟!!! فقد كان على أن أبدأ الغناء فى هذا الحفل أولاً ، فأفهمتنى سيدة بكيفية الوقوف بطريقة لائقة رغم أننى لم أظهر بمنظر جميل ، لكنى كنت فى ريعان الشباب وأملك روح الدعابة .

لا تسألونى عن أيام الشباب

فماذا أقول ؟ لقد كان زماناً عجيباً

وبعد فترة من الغناء كان على أن أرقص مع إنشاد الهانم شعر الغزل :

هـى فـى المحفـل الآن فى أبـهى حلـة

انظروا وشـاهدوا ما يـدور فى الحفـل

ومع بداية هذا الغزل صار الحفل عذبًا ، وبعد ذلك غنيت قليلاً من المطلع الثانى وجميـع أهـل الحفـل كانـوا يسمعـون فى حـالة طـرب :

كـان لحنـًا حزينـا

أثـار شجـونى وأحـزانى

هـذا الشعـر أقـام أهـل المجلس وأقعـدهـم ....

ثم تتابعت نظـرات العـين جريئـة

انظروا إنهـا سهـام الخطـايا

وعلى هـذا كـان حـال الغنـاء فى الحـفـل ، ومـا كـنت أسـتطيـع أن أرفـع بصـرى،

لقـد سـاءت سمعـتى لدرجـة لا يبلغهـا من يعبد الأصنـام

مـع أننى أخجـل من ذنـوبى مع ذكـر الله

واسـتـمع لهذا الشـعـر، ثم وازنه على مـزاج العـاشق ، وانـظر هل سيؤثر هذا الشعر عليه أم لا ؟؟

ثـم بعـد ذلك أنشـدت هـذا الشـعـر :

فى العشــق كيـف أخـرج حسـرة القلـب

خـروج روحـى أهـون لا أننى كنت أتلذذ بذلك

ثم أنشـدت هـذا الشـعـر :

لا تسـألنى عن حـال قلـبى

قد صدمـه العشـق فالكـلام الآن لن يفيـد

فطـار صـواب أهـل الحـفـل وأصبـح كـل واحـد منهم فى سـعـادة بالغة ، ومع كل لفظ لى كانت تظهر عبارات الاستحسان والعجب .... وكنت أردد كل بيت من الشـعـر كـثيـراً ، وكنت أعرف كـثيـراً من أشـعـار الغزل ، وكلما انتهيت من غزلية أتبعتها بأخرى .

هذا حـسـن ، كـان الحـفـل على هذا الحـال ، وهـذا من فـضـل الله ، وإننى أتذكر الشعر الذى أسمعته لك.

رسـوا : اسمعـى وأجيبى لمـن هـذا الشـعـر ؟

امـراؤ : عجبًا !!...... ألا تعـرف ؟؟

رسـوا : أنـا أفهـم......

امـراؤ : اسمـع هـذا الشـعـر :

إن الأمـوات يذهبـون بـهم إلى القبـور

كمـا يصـل الشـوق بالمحبين إلى غايتـه

رسـوا : يـا سبحـان الله ؟!

امـراؤ : فى الحقيقـة إن القلـم قـد كسـر

لا زلـت أتـحدث عـن حـرقة القلـب

فى الغالـب سـتظل جذوتهـا باقيـة

رسـوا : وهـذا كـلام جميـل .

امـراؤ : استمـع :

إلى أى حـد أعتقـد ثمنـًا للجمـال

أنـا سعيـدة القلـب رغـم جميـع الآلآم

رسـوا : هـذه فلسفـة ، ونحـن كنـا نفهـم ذلك جيـدا

امـراؤ : استمـع ،

أظهـر الشـوق حتى لايتحطـم قلـبى

كمـا تظهـر مرآتـى حسـنى وجـمالى

رسـوا : هذا تصـوف ، المتصـوفـون من أهل الدنيـا لا يـأخذون شيـئًا ولا يجنون ثمارًا من تصـوفهم بل يظهرون الشـوق ببعض الألفاظ يقولونها لمن يقابلـهم .

امـراؤ : استمـع لهـذا المقطـع :

لوكـف العاشـق عن البكـاء فى الهـجـر

لما صـار يتأثـر بمثـل هـذا الكـلام

رسوا : كيف أخرجت هذا المقطع من هذا المطلع ، رغم أنك لا تجدين فرصة لقول هذا المقطع.

امراؤ : عندما أجد وقتاً لهذا .....

وفى اليوم التالى مساءً جاءت بوا حسينى لغرفتى ومعها خادمة.

بوا حسينى: انظرى يا امراؤ ، وفى أثناء قولها خرجت بوا حسينى خارج الحجرة .

وبعد أن سلمت الخادمة قالت : أرسلتِ السيد الأمير سلطان ، هذا الذى كان يضع المنديل الأصفر فى حفل الأمس كان جالساً فى الطرف الأيمن من ناحيه العريس ، وطلب أن يحضر إليك بشرط ألا يكون فى هذا الوقت أحد وطلب أن أنقل له هذا الغزل الذى كنت تغنينه بالأمس ....

امراؤ : بلغى سلامى وتحياتى للأمير سلطان وعندما يأتى المساء يشرفنا بالحضورّ ، وسأنتظره لوحدى ، وسأكتب له جميع القصائد الغزلية التى غنيتها بالأمس . أو يحضر فى أى وقت يشاء ، وسأعطيه ما يريد .

وفى نهار اليوم التالى جاءت الخادمة ثم صعدت إلى غرفتى، وكنت أجلس وحدى وأكتب قصائد الغزل ، وعندما انتهيت من كتابتها أعطيتها إياها ....

فقالت الخادمة : إن الأمير أعطانى هذا المبلغ ، ويقول لك إن هذا المبلغ لا يليق بك ، ولكن هذا من أجل التمبول .

وبعد أن انصرفت الخادمة كنت أريد ان أعطى النقود لبوا حسينى لكى تعطيها للهانم ، ثم نظرت للنقود ، وقلت لنفسى ربما لا تأتى نقود مثلها مرة أخرى ، أخفيتها أسفل السرير ، ولم يكن عندى صندوق صغير لأضعهم فيه .

يا مرزا لكل امراة منا زمانها الذى تحب فيه إنسانا وهو الأخر يحبها ، ولم أكن أفهم أن زمن الحب يستمر لأيام قليلة ، لقد كنت فى عنفوان الشباب وفى سن مراهقة النمو ، وأفهم على قدر سنى ، ولم تكن عندى دراية كافية ، ومما لا شك فيه أننى كنت أحب جوهر مرزا ، وقلبى تعلق به ويبحث عنه وهو أيضا يحبنى ، وكانت أحاديثه تسعد قلبى ، ولكنه لم تكن عنده همة الرجال حيث كانت أمه تسيطر عليه ، وعندما كان يريد أن يعطينى شيئًا يأتى فى الخفاء ، وأنا لم آخذ منه سوى هذه الروبيات التى حدثتك عنها .

والأن أصبح قلبى مضطربًا مثل العاشق ، وكان جوهر يتحمل دلالى عليه وهذا الرجل الذى أخبرتك عنه من قبل والذى كان يعطينى المال الذى أنفق منه على الطعام والشراب هو الأمير سلطان ، كان جميلاً تبدو على وجهه أمارات المهابة، ويفتتن به آلآف النساء ، وكان الناس يعتقدون خطأ أنه يرحب بالنساء فقط ويظهر لهن المحبة ، حتى هذا الحب لا يعتبره ذريعة لنصب شباك الغانيات حوله. فقد كان الناس يحضرون إلى الغانيات فى منازلهن ويتحدثون معهن ويجالسونهن .

وكنت أتمنى وأدعو الله أن أذهب إلى الأمير سلطان فى منزله ، وكان عندى ما أمنحه له ، وكنت أتمنى عطاياه حتى لو كان يظننى مثل والدته ، وكنت أتمنى أن أعجن له الخبز بيدى ، وأمشط شعر أولاده وأنظف أحذيتهم ، ولم يكن فى جمال يوسف عليه السلام وكل امراة على استعداد أن تفديه بروحها ، وبسبب الحب بين الرجال والنساء .

لكن الحب لا يعرف إلا الأنانية ؛ فلا يوجد الحب الذى ليست من ورائه منفعة مثل حب ليلى والمجنون وشيرين وفرهاد وهذه القصص التى نسمع عنها ويتحدث الناس بها ، ويقولون إن هذا ليس حبًا فقط ولكنه خلل فى العقل ، فما هو الداعى لهذا الجنون بين رجل وامراة ؟

وفى مساء اليوم التالى حضرت سيارة الأمير وغادرت بوا حسينى الغرفة بعد أن أخذت منه بعض النقود ، بعد حديثها المعتاد أخلت الغرفة ، وأصبح معروفًا الآن أننى لا أتقابل مع الأمير سلطان فى الخفاء ، وأصبح يجالسنى ليلاً ساعة أو ساعتين .... وكان السيد الأمير قليل الكلام وكنت فى التاسعة عشرة من عمرى وكنت قد تربيت فى رعاية أسرة بسم الله وكنت أعتبر والديها بمنزلة أمى وأبى ، ولا أعرف شيئًا عن الخداع فى هذه الدنيا فإظهار العشق لغة الخدم، وكانت هذه مشكلة إلى حد ما للسيد الأمير ولكن بعد فترة رفع الكلفة بيننا وأصبحت أستعذب حديثه وهو كذلك حتى أصبح عاشقًا لى ورغم أن كلامنا لا يخلو

من الصدق والكذب ، والحق يقال إن الأمير لم يكن قاسى القلب بالصورة التى يعرفها عنه النساء ، فقد كان كالعصفور الجميل ذا أنف دقيق وشفاه رفيعة وكان محبوبًا من الغانيات وله بشرة بيضاء وشكله جميل واسع الجبين وأجعد الشعر وذو عيون واسعة ، وسواعد قوية وأكتاف عريضة ، وله بدن صحيح وطويل القامة ، قد أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بصحة جيدة وكانت تعلوه المهابة والبهاء ، وبالإضافة لهذا فأكثر أشعار الغزل والعشق كان يؤلفها بنفسه . وأنا تأثرت بأشعاره ، وكنت أحفظ أشعاره كلها ولم لا وهو شاعر الأسرة، وفى مجلس الشعراء كان يقرأ الغزل مع والده وأصبح شاعرا للعشاق. وكنت أرغب فى قراءة جزءٍ من هذه الأشعار أمام الكبار ولكن خجلت ولم أستطع ، ثم قرأتها بعد ذلك ورغم أنه كان يتمتع بموهبة الشعر إلا أنه كان لا يستطيع أن يشرح أشعاره نثرًا حيث كان لسانه يعجز عن الكلام ، وخلاصة القول كانت صحبته ممتعة جدا فى هذه الليلة.

شعر فارسى ......

اعرف حتمًا قدر نفسك

فأنا التى أعرف قدر نفسى

الأمير : أداؤك للشعر يبهرنى، وأصبحت أقلق لعدم رؤيتك .

امراؤ : هذا من كرمك ، وإلا من أكون أنا ؟ وما هى حقيقتى ؟

الأمير : ياه ، القراء يتعلمون منك .

امراؤ : نعم هذا الشعر هو بعض مما قرأته .

الأمير : وهل أنت تجيدين القراءة والكتابة ؟!!!

امراؤ : نعم أنا أعرف القراءة والكتابة .

الأمير : هل هذا الغزل كتبته بيدك ؟

امراؤ : ردت بابتسامة وسكتت

الأمير : ما أجمل هذا الخطاب !!! فمن أسلوب كلامه سر قلبى ...

فقلت فى نفسى إن هذا ليس أسلوب الخدم ، .... ولكنه أسلوب الأدباء ، وأنا أريد هذا وأريد ألا يكون بيننا واسطة.

بدون واسطة الأصدقاء وشماتة الأعداء

ستظل أسرارنا فيما بيننا

امراؤ : هل هذا شعرك ؟

الأمير : كلا ، إنه لوالدى رحمه الله .

امراؤ : ما أجمل هذا الكلام ؟!

الأمير : ما شاء الله ، تتمتعين بذوق خاص للشعر

الله خلقنا فى أجمل صورة فهوالذى أعطانا هذه الأوصاف

كما منحنا عذوبة المنطق وحسن التأليف

امـراؤ : لمـن هـذا الشعـر ؟

الأمير : لأبـى .

امـراؤ : مـا أجـمل كلامـه ؟!

الأمـيـر : نعم ، كـان أبى يقـول هـذا الشـعـر، فوالله ، إن شـعـره لائقٌ عليك ....

امـراؤ : هـذا من كرمك ، وإلا فأنا لست شيئًا ....

الأمـيـر : واعجبا ؟! ما أحسن هذا الشعر !

امـراؤ : أؤيـدك علـى هـذا .

الأمير: وهـذا الكـلام يقولون إنـه من شـعـرك .

امـراؤ : كـلا كنت أقـول لك على قدر مـعـرفـتى ؛ وعلى هذا ظهـرت لأول مرة ظهرت السعادة على وجه الأمير ورأيته ضاحكاً مسروراً ....

الأمـيـر : قـول طيـب ، فأكثر الغانيات هنـا يقرضـن الشعـر بأسمـاء من أحـسـن .

امـراؤ : تقول هذا عن الغانيات فهل الرجال لا يفعلـون ذلك ؟

الأمــيـر : والله هـذا صـدق ، وفـى أصـدقـاء والـدى رحـمــه الـلـه، وكـان أكثرهـم لا يقولون أحيانًا إلا مصرعًا واحدًا ، وفى مجلس الشعر كنت مـسـتـعـداً لقـراءة الـغـزل وأكـثـره مما ألفـه والدى ، وأحـيـانًا يكون

وكنت أختار من شعره وأضيفه إلى شعرى ، وهذا الإحساس الذى جاء فى أشعارى من شعر والدى ، فإننى أخذته من ديوانه وكذبت وقلت إنه من أشعارى ، وكان ذلك يسعدنى ويسعد الأخرين ...

امراؤ : يعلم الله ، أن هذا ضربٌ من الجنون .

الأمير : نعم لأننى أقرض الغزل أو لأننى أقول ما أتذكره من الشعر.

امراؤ : لنفرض أننا تحملنا هجر العشق ومرارة العيش

خبرونا ما هى عادتكم ؟ ......

الأمير : هل هذا شعر ؟ أعيدى قراءته مرة أخرى ، والله هل هذا كلام جديد ؟

امراؤ : أوافقك على قراءة هذا الشعر مرة أخرى احترامًا لك .... وإننى قلت هذا على قدر معرفتى

الأمير : هذا الشعر جميل ، أسمعينا شعراً آخر .

امراؤ : لا يكون هذا الغزل على هذا النحو ولكنى قلت بيتين من الشعر .

الأمير : إنك تقولين مثل هذا ، لكنى أريد أن تقولى شيئا من قصائد الغزل .

امراؤ : تحت أمرك ، فقد كنت متفوقة فى هذا .

الأمير : سأقول شعراً ، لكنك ستقولين بعضًا من أشعار الغزل ....

وفجأة وخلال تلك الأثناء فتح باب الحجرة عنوة ، وأحد الأصحاب وكان عمره حوالى خمسين عاما ولونه أسود وذا لحية كبيرة ويضع على رأسه عمامة كبيرة ويضع فى وسطه خنجراً دخل مقتحمًا الغرفة ، وجلس بدون إذن ، وبدون تكلف أمسك يدى بقوة .

فنظر السيد الأمير ناحيتى وأنا طأطأت رأسى ، وانقطع حديث اللهو ، ولم تكن هناك أى ملامسات بدنية. وقرر الأمير أن يخرج الجميع . فأمر بإخلاء الغرفة ولا يظل أحد غيره بها، وفعلا غادر الجميع إلا هذا الشقى.

آه ، لقد كان الحديث شيقًا وله مذاق خاص ، وكنا نتبادل الأشعار حتى حل علينا هذا البلاء ، ولست أدرى من أين جاء ؟!! إنه مثل حجر كبير سقط علىّ .

وجلس ذلك الشقى وبدأ ينظر ناحية الأمير ويحملق فيه ووجهه يتطاير منه الشرر مثلما ينظر أى إنسان لقاتل أبيه وكان واقفًا واضعًا يده على الخنجر وكنت خائفة جداً .... يا إلهى ..... ما هذه المصيبة التى حلت علىّ ؟! تخيل يا رسوا ماذا حدث .

جلس الأمير ناحيتى وهو يتابع نظراته إليه ، ما أجمل هذه الصحبة التى أفسدها هذا الشقى سىء الحظ . فقد كان الأمير يقرأ الغزل وكنت أردده معه وكنت سعيدة لمدح أشعارى وكنت مسرورة .

لأنه فى هذا اليوم زاد احترامى عنده ، لأننى كنت أبحث عمن يشغل قلبى منذ زمن. وفى اليوم الذى تحققت فيه أمنيتى أواجه هذه المتاعب ، يا الله ، أبعد هذا الشقى عنى.

وأنا أفكر فى نفسى وأتخيل صورة الدماء أمام عينى فينزعج قلبى لدرجة أنه جعلنى أتخيل كأننى وقعت فى قبضة الشقى دلاور ثانية ، وكنت أفكر مرة بعد أخرى بسبب الخنجر الذى كان فى وسطه ربما يطعننى به فى قلبى فى أى لحظة ، كما لا أريد أن يلحق أى أذى بالأمير .

وقلت فى نفسى : يا الله ... يا الله .... ارفع عنا هذا البلاء ، فمن أين جاء هذا الشقى فى مثل هذا الوقت ؟ وأخيراً ناديت على بوا حسينى وجاءت ورأت ما حدث ، وكان معروفًا من كلام بوا حسينى له أنها كانت تعرفه من قبل ، فقالت بوا حسينى : يا سيد خان اعرض على طلباتك ثم شرفنا بالحضور .

خان : هذا الذى تقولينه قلت لهم مثله ، نحن قوم لا ننهض بعد أن جلسنا فى مكان .

بوا حسينى : ياسيد خان أنت لك معاملة خاصة لوحدك .

خان : ما هى هذه المعاملة ؟ وما هو وجه المصاعب هنا. فهذا المكان لغانية ليس لأحد سيطرة عليه . وإذا كانت هناك متاعب فنحن لها، وأريد أن أرى من يستطيع أن يخرجنى من هنا ؟؟؟.......

بوا حسينى : لماذا السيطرة هنا، وهل ستنفقون ذهبًا على هذه الغانية ؟ ..... وهل تستطيعون فعل هذا في هذا الوقت ؟

السيد خان : وهل نحن لا ننفق الذهب ؟؟!! .....

بوا حسينى : نعم هذا الكلام ليس هنا محله ، ولا وقته ، ويمكنك أن تشرفنا فى وقت أخر .

السيد خان : المرأة التى أريدها وأرغبها فهى لى ، وقلت لك من قبل لن أترك هذا المكان .

ورأيت وجه النواب قد أصبح أحمَر من الغضب إلا أنه ظل صامتا ولم ينطق بكلمة واحدة .

بوا حسينى : يا بنيتى انهضى وتعالى معى إلى هذا الجانب ، وأنت يا أمير سلطان هذا وقت راحتك اذهب لقصرك ، فنهضت كما قالت بوا حسينى وأردت الخروج معها ولكن هذا الشقى أمسك يدى بقوة ، فماذا أفعل ؟؟

الأمير : يا سيد خان اترك يد السيدة ، هذا أفضل لك ، وأنت أخطات كثيرًا فى كلامك وتفكيرك وتطاولت على أنه مكان لغانية ، فدعك من هذا التهكم والاستهتار .

السيد خان: إذن ماذا تستطيع أن تفعل ؟ أرنى من تكون ، وأنا لن أترك يد الغانية أبدًا .....

وحاولت أن أخلص يدى منه ولكننى لم أستطع ، فقلت له لن أذهب إلى أى مكان ولكن اترك يدى ، وفى الحقيقة أننى لم أكن أنوى أن أترك الأمير قيد أنملة .

الأمير : قلت لك اذهب ، وتخير الألفاظ التى تقولها ؛ لأنه يتضح من كلامك أنك لا تعرف صحبة الأشراف.

السيد خان : حسنًا ، فأنت تجالس الشرفاء ، فإذا استطعت فعل شىءٍ فافعله .

الأمير : اعلم أن هذا ليس وقت قتال ، ومكان الغانية ليس ساحة للمصارعة والقتال ، والأفضل أن تحدد وقتًا أخر تأتى فيه .

السيد خان : لا ، سأحضر وسأسقيك كأس الموت ، وتفضل أنت ، قلت لك سأظل هنا ، ولماذا لا ترحل أنت ؟......

الأمير : يا سيد خان ، أقسم بعظمة الأمير أنى وضحت لك كثيرًا ، ولكنك لا تحترمنى فإن الوالدين والأصدقاء والمعارف الذين سمعت عن أسمائهم سيجدون اللذة فى إذاقتك المر على وقاحتك ، وليست هناك فائدة ولا حجة من بقائك هنا ، اتفضل اخرج .

السيد خان : سأتى إلى منزل الغانية وأنا لا أخاف من أمى ، فكيف تقول كلامًا خطأ وتعيب فىّ ؟! أنا لست خادمًا لأبيك ولست أنت ابن سيد منزلنا ، فكما أجلس أنا فى مكان هذه الغانية اجلس

أنت أيضًا ، وعندما أحب أن أذهب سأذهب وكلامك هذا لا فائدة فيه ولا طائل من ورائه ، ولن يستطيع أحد أن يخرجنى من هنا ولكن امض أنت من هنا.

السيد خان : أنت لا تنسى الحراس أبدًا ألا ترى معى هذا الخنجر أيضا ؟

الأمير : سترى مثله خناجر كثيرة ، وعندما يحين الوقت سأخرج هذا الخنجر من وسطك وسأدق به عنقك ثم أرنى ماذا ستفعل .

السيد خان : سأذهب عند منزلك وسأذكر ذلك لأمك .

وهنا رأيت وجه الأمير قد تغير تمامًا وكان يتلوى من الغضب كالثعبان ، ولكن يا عجبًا لحسن الأخلاق والمروءة من النواب مع هذا الخسيس اللئيم ، وكنت أظن أن النواب خائفٌ منه إلى أن اتضح لى فهمى الخاطئ عندما رأيت النواب يفكر فى كرامتى لهذا كان يعامله بأدب. إلا إن هذا الشقى جعل الأمير يهيج مثل الأسد قائلاً :

نعم .. حسنًا يا سيد خان انهض وسنخرج نحن الاثنين وسنذهب للمصارعة فى هذه الحديقة ......

وهنا أخذ السيد خان يضحك ويقهقه قائلاً : يا ابن الأكابر ، ليس لائقا أن يخرج هذا الكلام من فمك ، فساحة الحرب تكون للرجال فقط ، وكيف ستذهب أنت هناك وأمك ستبكى عليك .

الأمير : أيها الرجل سأضع حدًا لوقاحتك وسأعلمك الأدب.

قال الأمير هذا الكلام وأخرج المسدس من طيات ملابسه ، وفى لحظة خاطفة أطلق الرصاص على السيد خان الذى ترنح وسقط على الأرض وسالت دماؤه على الأرض ، ففزعت وصرخت وكانت بوا حسينى مازالت واقفة والجميع هرعوا إلينا فزعين عندما سمعوا صوت الرصاص ، الهانم ومرزا والسيد مير وخورشيد جان وأمير جان وبسم الله جان والخدم والجوارى..

وأصبحت حجرتى مزدحمة بهم والجميع فى حيرة وفى تلك الأثناء حضر شمشير خان "حارس الأمير " وأخذ المسدس من يده وقال له : اذهب حضرتك للمنزل وأنا سأحل الموضوع

الأمير : لن أذهب ، فالذى حدث حدث وليكن ما يكون .

شمشير : أخرج سكينه من وسطه "أقسم بجناب الأمير سأقتل نفسى إن لم تذهب ، فلله اذهب ولا تظل هنا فانتظارك ليس فى المصلحة .

وفى هذة الفترة جاء الناس وأخذوا يبحثون أين استقرت الرصاصة فى السيد خان ، فعلموا أنه حى ، وأن الرصاصة قد اخترقت ساعده .

شمشير : أعرض عليك يا سيدى أن تذهب لأن ما حدث ما هو إلا رد فعل لما ألحق الإساءة بك

نهض الأمير بعد أن فهم مراده ومضى مع أحد رجاله ، وأرسلت الهانم فى هذا الوقت لميرزا على رضا بيك تستدعيه ، وكان فى فناء

المنزل فجاء على الفور ، وذهب مع الهانم ولم يكن يعرف ماذا حدث ، ولا أدرى بماذا همست له الهانم فى أذنه فقال أخرجوه من هنا، أخرجوه خارج الحجرة ، ففهمت ولما أخرجوه ربطوا له ساعده ثم استدعى النقالة ليحمل عليها واسترد السيد خان وعيه بعض الشىء فسأله النقال عن عنوان منزله ، فعلم أنه يسكن فى حى مرغ خانة ثم أمر على بيك الحضور بأن ينزلوه فى مكان قريب من منزله ثم مضى لحال سبيله.

ولعدة أيام لم يحضر الأمير سلطان ولم يأت أى رجل من طرفه وكنت قد أحببته ، وكنت متاكدة أنه لن يحضر ، والواقع أنه كان رجلاً ذا مكانة وعندما يحضر يخلى له المكان بأمر من بوا حسينى ، قررت بوا حسينى بأنه عند مجيئه لن يجد أى شخص ولكنها صدمت عندما لم تجد بالباب أحداً .... ويعلم الله من أين جاء السيد خان الذى أفسد كل شىء .

وبعد أربعة أو خمسة أيام ، فى ليلة من الليالى كنت أنشد قصيدتى فجاء الأمير وجلس ، وكنت قد بدأت قصيدتى فى الساعة التاسعة مساءً ولم أستطع أن أتحدث معه فى أثناء الحفل ولم أجد فرصة للتلويح له ، وكان يجلس بجوار الأمير أحد الأولاد وله بشرة بيضاء وعمره تسع أو عشر سنوات ويرتدى ملابس فاخرة ، فذهب الولد لحاجة له وكان من الضرورى أن أُنهى قصيدتى لأنهض لعمل أى شىء ، ولما انتهيت من إلقاء قصيدتى ذهبت إلى حجرتى فلوحت للولد فجاء عندى وأعطيته التمبول وسألته :

امـراؤ : هل تعرف الأميـر سلطـانًا ؟

الولـد : مـن هـو الأمير سلطـان ؟

امـراؤ : الذى كـان يجلس بجـوارك بالقـرب مـن العريـس .

ألقى الولد نظرة على المجلس ، ثم قال : هو أخى الأكبر ونحن لا نقول له الأمير سلطان .

امـراؤ : إذا أعطيتـك شيئًا تعطيـه لـه ؟

الولـد : نعـم إذا لم يكـن فى الخـفـاء ولا تغضبـنى .

امـراؤ: لـن أغضـب .

الولـد: سـتعطينى الـتمبـول ؟

امـراؤ: ليس الـتـمـبـول فـقـط ، ولكن تـعـال وخـذ هذه الورقـة الـتى سأعطيها لك . وكانـت هـذه الورقـة ملقـاة على الفـراش قـد كتبت عليهـا .

حرمـنا من العتـاب لفتـرة طـويلة

فاليـوم دعنـا نـمرح فى هـذه الجلسـة

وأفهمته أن يضـع هذه الورقة أمـام الأمير سـلطان بحيث لا يشـعر بذلك. وفعل الصـبى مثلمـا قلت له ، وظللت أنـا فى الحجـرة أختلس النظر من طرف الباب .

ورفـع الأمـيـر سلطـان الورقـة وقـرأهـا ، ولم تظهـر أى تعـبـيـرات على وجهـه ، وبعد فترة ظهرت على وجهه بعض العلامـات ثم رأيته يفكر .

ثم ضحك ثم طوى الورقة ووضعها في جيبه واستدعى بإشارة منه شمشير خان وهمس في أذنه بكلام ، وبعد ساعة حضر شمشير خان إلى حجرتي .

شمشير خان : قال لي سيادة الأمير إن جواب هذه الورقة سيرسله مكتوباً لك بعد أن يذهب إلى المنزل .

وأنشدت القصيدة الثانية في الصباح ، ولم يكن للحفل أي طعم بالنسبة لي ولم يكن الغناء من قلبي ، وفي نهاية الحفل عدت إلى المنزل ، وأخذت أنتظر شمشير خان طوال النهار وبعد أن أشعلت المصباح جاء وأعطاني رسالة الأمير سلطان وكان هذا مضمونها "لقد أشعل شعرك النار في قلبي وأصبحت مفتونا به ... والحقيقة ، أنني أحببتك ، لكنني في وضع أصبحت مكرهاً عليه ولا أستطيع الحضور إليك ، وأنا أسكن الآن مع صديقي في حي نواز كنج وسأرسل لاستدعائك غداً ، ونظل حتى الساعة التاسعة أو العاشرة مساءً ....

لماذا نشكو قصر ليالي الوصال

ولو رآنا أحدهم هنا لاحمر وجهه خجلاً

لم يحضر سلطان صاحب إلى منزل الهانم منذ ذلك اليوم ، وكنت أذهب إليه مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع في بيت نواز كنج ، ومن العجيب أنني كنت أتلذذ بصحبته وأحياناً كنا ننشد الشعر وأحياناً

يقوم الأمير بالنقر على الطبلة وأنا أغنى وأحيانا يغنى بنفسه ، ولم أعرف أحداً مثله فى عزفه على الدف ولا حتى فى قول الغزل الجميل.

كنت أتدرب على ملاحقة نظرات التى مثل نظرات الصقر

وهم يشاهدون نظراتى إليهم وهم ينظرون إلىّ

وعندما كانت تمر بى ذكرى هذه الجلسة وأتخيلها كأنى أراها وأتذكر ليالى الصيف الحارة ، حيث كنا نجلس على الملاءة البيضاء فى وسط الحديقة ونتكئ على الوسائد وكانت جميع وسائل الراحة متوفرة ، تحيط بنا الورود التى نستنشق رائحتها مع الياسمين فتبعث البهجة فى النفوس ، كما توجد النارجيلة ، كل هذا من أجل هذه الجلسة الخلوية ، التى تكون فيها الأحاديث الودية فى مثل هذه الجلسات ينسى الإنسان ذكر ربه وكذلك الدنيا وما فيها ... ويعاقبنا الله بأن هذه الجلسات تمر بسرعة ويتأسف الإنسان عليها طوال حياته وربما بعد موته.

لا تسأل عن لـذة معصيـة العشـق

فإننى سـأظل أتذكر هذا البلاء فى دار الخلد

فى الحقيقة أنى كنت أتبادل الحب مع الأمير سلطان ، وكنا نظن أننا سنظل معًا ولن نفترق طوال عمرنا ، ولن نشعر بالملل ، فقد كان الأمير سلطان مغرماً بالشعر وكنت أحب الشعر منذ طفولتى .

وكان قلبى يسر بصحبته الأمير سلطانًا ، وعندى يقين أن الحب الذى أشعر به نحوه لم يجعل فى قلبى مكانا لآخر ، وبينما كنا نتـ

أطراف الحديث ، كان ينشدنى من شعره وأنا أجيبه بشعر أخـر ، ويا للحسـرة فقد فرق القدر بيننـا بسرعة فى هذه الجلسة ....

قلبى يحدثنى ماذا أفعل لوطال الفراق لشهر أو أكثر ؟؟..........

فماذا أفعل ولا صبر لى على ضياع ليالى الأنس

رسـوا : حسنًا ، الذى حدث قد مضى وهذه الجلسة أيضًا مرت سريعاً ببركة قدومك إلينا .

امراؤ : عجبا يا سيد مرزا ، هل أنت عدو لى ؟!! أم قدوة لى ؟؟ فقد قلت كلامًا طيبًا .

رسـوا : لا أستطيع أن أعبر لك ، إلا أننى أتمنى أن تتفضلى بالجلوس معى فى ود وصفاء وسلام .

امـراؤ : قل مـا تشـاء. لأنك لا تعرف شيئًا عن حياتى الماضيـة. وهذا تقصير منى .

رسـوا: تقصـير! نحن نعيش مرة واحدة ويذكر اسمنا فيها فأى عمل تعمليه فى هذه الحياة سيذكره الناس لك طوال عمرك ، سواء كانت ذكرى طيبة أو لا ، نتوقف عند هذا الحد من الحديث وأسمعينى بيتين أو ثلاثة من أشعار الغزل التى تتذكرينها .

امـراؤ : أنت تعرف أفضل منى .

رسـوا : وأنت تنشدينه أفضل منى .

امراؤ : حسناً ، اسمع هذا المطلع لهذه الأبيات

إن القلب يتألم من ليالى الهجر

وفقدت وعيى من طول الفراق

وأصبحت أجلس كمن يجلس فى مجالس العزاء

وأصبح الحزن شريكاً لى فى جميع المجالس

ونحن جلوس نتذكر الآلام قصص الهجر

ففقدنا صوابنا لما فقدنا صحبتنا مع أنهم لم

يشربوا من نهر جمنا

ثم تكمل امراؤ قصتها قائلة : وصحبنى فى ذلك الزمان السيد النائب جعفر على خان الذى كان يبلغ السبعين من عمره ، وقد سقط سنه ورق عظمه وانحنى ظهره واشتعل رأسه شيباً إلا إنه كان جديراً بحبى ، حيث كان يرتدى بيجامة مخملية اللون ويضع على رأسه طاقية مزركشة ولن أنسى منظره طوال عمرى ، ستقول الأن إن فى مثل هذا العمر تكون الغانية شيئاً مهماً لمثل هذا الرجل .

اسمع يا سيد مرزا كان هذا من تقاليد ذلك الوقت ، لكل أمير أو رئيس غانية أو جارية. وكان النائب جعفر مجتهداً فى عمله وله شأن

كبير فى الدنيا وله غانية تأخذ خمسة وسبعين روبية شهريًا وكان يجلس معها لساعتين ، وكانت تسمعه وتحدثه بتكلف شديد ، ورغم أن النائب كان عجوزًا إلا إنه كان يستطيع أن يجلس فى مكتبه إلى ما بعد الساعة التاسعة. وعندما كان يتأخر عندى فى أى يوم كنت أقدم له الطعام ، وكانت والدته على قيد الحياة وكان يخاف منها كأنه طفل فى الخامسة من عمره وكانت لـه زوجة تحبه كثيرًا ، تزوجها فى ريعان شبابه ولم يفترقا فى أى ليلة من الليالى سوى العشر الأوائل من شهر المحَّرم.

رسوا : أنت تضحكيننى ، ولكن قلبى يسأل : هل يستطيع الإنسان أن يحب فى مثل هذا العمر ؟؟!!!........

امراؤ: كيف تقول ذلك ؟ إنه فى هذا الوقت قد ملك فؤادى ، فقد كان ماهرًا فى فن الموسيقى ولا يستطيع أحد أن ينافسه فى هذا المجال ، وكنت أساله قليلاً عن الأغانى الجميلة ذات المعانى الرقيقة ، وأرسل إليه مير على بعض الألحان السندية ، التى استفدت منها من خلال مصاحبتى له وهى التى كانت سببًا فى شهرتى الواسعة ، وكنت أثناء صحبتى له لا أشعر بالوحدة .

وفى شهر المحَّرم كانت الهانم تتلقى العزاء من جميع غانيات المدينة طوال الشهر ، وكانت تضع فى مجلس العزاء النارجيلة والآلات وبعض السلاسل ، ويمتد مجلس العزاء من غرة المحَّرم حتى العاشر منه ، وفى يوم عاشوراء كان يأتى مئات من الفقراء والمحتاجين لهذا المجلس ، وكان

مجلس العزاء يعقد مرة كل خميس حتى أربعين يومًا على ذكرى مقتل الحسين رضى الله عنه ، وكانت جلستى مشهورة بالألحان الجميلة ، وبعض هذه الألحان لا ينساها الناس بل يذكرونها، وكنت لا أستطيع أن أفتح فمى أمام ألحانك الجميلة ، وقد وصلت شهرة هذه الألحان والمراثى إلى قصر ملك كشور ، وحتى "جهان بناه "مدح لى مرثيتين بنفسه ، وفى أول المحَّرم كنت أنال العطاء الجزيل من الأمراء وأتلقى العطايا الملكية على المراثى التى كنت أنشدها ، وكان اسمى معروفًا فى مجالس العزاء. وبالليل كنت أجلس فى مجلس العزاء ساعتين تنهال فيها علىَّ الأموال .

وفى ذلك الوقت كان حفل زواج بسم الله ، وكان عم النائب الكبير قد ذهب لزيارة ضريح الحسين فى كربلاء ، وما هى إلا ستة أشهر حتى حضر من هذه الرحلة. وأجبر النائب ابن أخيه على الزواج من الفتاة التى خطبها له ، ولكن النائب كان يحب بسم الله ، ولما دعيت بسم الله للغناء فى هذا الحفل رفضت ، ولكن إلى متى يظل هذا الإنكار لحبها ؟

وفى مساء إحدى الليالى ، علا صوتها بالغناء فى قصر أحد الأمراء وكان الأمير يجلس مع جمع من أصحابه ، وبعد ذلك خرجت بسم الله فى صحبة النائب ، وأتذكر هذا الحفل الذى كان فيه الأمير يعزف على الدف وخادمه حسين ينقر على الطبلة .

وفى تلك الأثناء جاء الخبر بأن عم النائب قد حضر إلى هنا ، والنواب الصغير فهم أن عليه الذهاب عند والدته فى القصر ، وهذا ما تخيله الجميع ، إلا إنه توارى عن الأعين وغافل الجميع واختبأ فى مكتبه ، وكل من رآه على هذه الحالة من الارتباك استغرق فى الضحك وتوقف الجميع عن الغناء .

النائب الكبير : خيرا ، أريد أن تظلوا كما أنتم ومع احترامى أعرض عليكم أمرا ضرورياً وإلا تقطعت السبل بيننا .

النائب الصغير : مُرنى ، تحت أمرك .

النائب الكبير : أنت ولد صغير ولا تعرف أن أخى الصغير أحمد خان رحمه الله توفى قبل والدتى ؛ ولهذا لا يحق لك الميراث ، وليس لك أى شىء فى هذا الإرث الذى تتصرف فيه كما تشاء ، ومما لا شك فيه أن الوالدة رحمها الله كانت تعتبرك ابنًا لها ، لهذا عندما حضرتها الوفاة كتبت لك الوصية باسمك ، وطبقا لهذه الوصية فلك ثلث الميراث ، وأنت قد سمعت من الناس أن لك أكثر من الثلث .

خيراً ، أنا لا أدعى أن لك الثلث أو أكثر منه ، لأنك فلذة كبدى ، ومن بعد وفاتى ستتصرف فى هذا الإرث كله. لهذا عليك أن تتصرف فى مالك كما أتصرف أنا بالحكمة. فأنا الذى تكفلت بالمحافظة على هذا الإرث. ووضعك السيىء أجبرنى أن أتدخل للحفاظ على هذا الميراث ، وعليك أن تفهم أن سيئات أولاد الصالحين لا تمحى.

وكان يصاحبنى فى سفرى منصف الدولة الذى تكفل بحوائج بيتى طوال هذا الوقت ، وهو كان موجوداً وذهب معى إليه بهمة ونشاط

النائب الصغير : أليس لى حقٌ فى هذا الإرث ؟

النائب الكبير : كلا .

النائب الصغير : ألا أستحق الثلث ؟

النائب الكبير : خذه ولو ادعيت شيئاً آخر ، فلن تأخذ خردلة واحدة من ثروتى.

النائب الصغير : سآخذ أمى معى .

النائب الكبير : خرج هذا من يدك فهى ستذهب معى إلى كربلاء

النائب : حسناً ... وإلى أين أذهب أنا ؟

النائب الكبير : استفسر عن هذا من أصحابك ورفيقاتك .

النائب : حسناً ، فلتعطنى ملابسى وجميع حاجياتى .

النائب الكبير : ليس لك فى هذا البيت شىء ، سوى ما ترتديه من ملابس ، وبعد هذا جاء حارس منصف الدولة إلى المكتب وأخذ النائب الصغير ومن معه إلى خارج المنزل . واستأجرنا حمالا ينقلنا جميعا إلى الميدان ، والله يعلم أين ذهب النائب الصغير مع أصدقائه. وسمعت أن أصحابه فى الطريق استاذنوا فى الإنصراف واحداً تلو الأخر ، وفى الطريق تقابل النائب الصغير مع موظفٍ من قدامى موظفى والده

واسمه مخدوم بخش "وفهم أن النائب قد عُزل من منصبه فأشفق على حاله وأخذه معه إلى منزله ، وبعد ذلك حضر النائب الصغير إلى المنزل فى مجلس بسم الله فى حجرتها، وكان السيد حسنو يجلس فى الركن الخاص بالنائب الصغير ، فوجد من سالت دماؤه عنده قد جلس مكانه .

ماذا حدث اليوم ، كان النائب يأتى خفية إلى هنا واليوم يجلس فى وضح النهار ويتحدث مع بسم الله فى هذا الوقت ولا يشاركه أحد الحديث ولا يزاحمه أحد وهو المتصرف فى الأمر.

حسنو: انظرى يا بسم الله ، لا تعقدى الأمال على النائب الصغير فالذى أقوله أفعله فأنا رجل فقير ، ولم يبق فى حياتى الشىء الكثير فالذى يعطيه لك النائب الصغير لا أقول تعطينى النصف ، ولكن على الأقل تسعدينني بما يعطيه لك.

بسم الله : تقول إنك رجل فقير، وأنك أخذت من ثروة النائب الكثير. فكيف تدعى الفقر والفقراء هم الذين لا يملكون شيئا ؟؟

حسنو: عندى ما عندى فلا تقولى مثل هذا لا تقولى أنى أخذت ما عند النائب إلى بيتى والذى أخذته أنا من والدتى شىء قليل .

بسم الله : والدتك "بوا فرخندة " ألم تكن من المقربين فى قصر "سر فراز ".

حسنو: بخجل ، ماذا تقصدين ؟؟ لم تترك لى من الحلى سوى ما قيمته أربعة آلاف روبية.

بسم الله : حتى هذا أخذته زوجتك ولم تعط لصديقتك سوى القليل ، فهذا الذى أعطيته لى مثل نارٍ صغيرة لا تنضج الطعام ، وحالى لا يخفى عليك .

حسنو: وهل الذى كان عند والدى قليل .

بسم الله : والدك هو النائب حسن على خان صائد العصافير .

حسنو: صائد العصافير ؟

بسم الله : عجباً ، وصحيح أنه كان يصطاد الصقور أيضاً ؟؟

حسنو: نعم ، كان يصطاد الطيور بأنواعها .

بسم الله : حسنًا .. إنه كان يصيد الصقور ، ولكن عمله الأساسى صيد العصافير .

حسنو: أتمزحين معى ؟؟ .

بسم الله : أنا صادقة فيما أقول . وكان هذا معروفًا عن والدك ولم أقل ما يغضبك ، لأن ذلك يحزننى وعندما كنت تأتيننى لم أكن أمنعك واليوم تعرف ما فعله النائب الكبير وأنت أعطيتنى رسالة شفوية بالعمل معى ، استعمل عقلك وهل ستقوم بالعمل لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة شهور .

حسنو: سأدخر راتب ستة أشهر .

بسم الله : هذا كلام ؟!

وأخرج حسنو من وسطه كيساً به حلى ذهبية ، دفعها إليها قائلاً:

خذى هذا ، فكم المبلغ عندك الآن ؟؟.......

بسم الله : سأنظر فى الأمر ، "بعد أن أخذت من السيد حسنو الحلىّ التى كانت فى يده وهذه الحلى كانت مصنوعة بطريقة جيدة، لبستها وقالت :

سأريها للأولاد غداً ، حسنًا ، ولتذهب الآن لأننى فى هذا الوقت أرسلت لاستدعاء أختى الكبيرة "جهتن " ؛ لذلك لا تستطيع أن تنتظر الآن ، اذهب وتعال غداً فى نفس الموعد .

حسنو: إذن ، اخلعى هذه الأساور الذهبية .

بسم الله : يا الله ؟؟ أتخاف على الحلىّ من السرقة ، فلن أقبل ما قلته ولن أخلعها ، فأننى أزين بها يدىّ فى هذا الوقت ، وسأذهب إلى أمى فى الخفاء وسآخذ منها بعض الحلى وسأقول لها ، وانظر أنت ماذا ستفعل .

حسنو: أعطنى الحلىّ الذهبية فإنها ليست ملكى، وماذا كنت تقولين !!! هل كنت تعتبرينها صدقة عليك ؟!

بسم الله : وهل والدتك على قيد الحياة ؟ إنها ماتت وهذا المال لك .

حسنو: كنت أريد أن أطلعك على الحلىّ ولكنها ليست ملكى .

بسم الله : لا ، ليست كما تقول ، إنها نفس الحلىّ التى وضعها النائب أمامى فى ذلك اليوم .

حسنو: خذيها ، ولكن متى حدث هذا ؟؟ ....

بسم الله : فى نفس اليوم الذى غنت فيه امراؤ قصيدتها فى حفلتها الأولى ، وأنا لست ضد أختى امراؤ ، ولكننى كنت سأخذ مائة روبية كاملة ، إلا إنه لم يكن عند النائب أى نقود فى هذا الوقت ، فأحضر هذا الصندوق ووضعه أمامى وخاطبنى قائلا :

انظرى هذه الحلى ، ثم اتجهت بسم الله نحو امراؤ قائلة : انظرى يا أخت امراؤ ، أهذه هى الحلىّ أم لا ؟؟....

امراؤ : ولماذا تسألييننى عنها ، وهل أنت تكذبين ؟

بسم الله : بلهجة شديدة .... لن أعطى لك هذه الحلىّ ، فالنائب هو الذى أعطانى إياها ووصلت عندى ، والآن لن أعطيها لك .

حسنو: حسناً ، وأين المال الذى أعطيته لك ؟

بسم الله : ومن أين جئت بهذا المال ؟ إنه مال النائب .

حسنو: نعم ، حقًا إننى لم أحصل على هذا المال من الربا ، .

بسم الله : إذن ، استدعِ المرابى ، ونحن سندفع له الروبيات ، وتفضل أنت انصرف.

حسنو: سأذهب ، أعطنى الحلىّ .

بسم الله : لن أعطيه لك !! .

حسنو: هل أنا مجبر على ذلك ؟

بسـم الله : نعم ، أنت مجبر على ذلك ، وانصرف صامتًا وإلاّ ...

حسنو: حسنـًا ، سـأظل هنا ، وغدًا سـآخذ منك الحلى.

بسـم الله : سـننظر غدًا فى الأمـر .

وقـالت بسم الله ذلك ومـن نظـرتهـا للسـيـد حـسنو نهض ومـشى صامتًا ، ويمكننا القول إن عم النائب الصغير كان يعرف السيد جهبن لأنه كـان من مـوظفى الحـسـابات لديه ، وكـان يعـرف منه الأشـيـاء التى يريدها ، وقد دفع إليه أصل المبلغ مع فـائدته ، وأخذ منه السـيد حسنو الحلىّ وظلت معه لعدة سنوات ، أنكر بعدها معرفته الحلىّ قائـلا : إننى كنت رهنتهـا.

وبسـم الله بعد خروج حسنو اتجهت ناحيتى قائلة :

انظرى يـا أختى امـراؤ ، كيف سيخـرب هذا المؤذى بيت النائب . وأنا منذ فترة أترصد أفعاله ، متى أعطيته هذه الحلىّ ؟ . هل تستطيعين إخبارى ؟ أم أنه سرق المال!!

امــراؤ : لا عليك ، إنهـا ليـست دينـًا بـل إحـسـانـًا أعـطـاه لـك النـائب .

بسم الله : لن أعطيهـا للنائب ، حتى مبلغ الألف ومـائة روبيـة ، وهذا المؤذى لن أعطيه أكثر من مـائتين وخمسـة وعشـرين روبيـة .

امـراؤ : لمـاذا أنت تدفعين هـذا المال بالربـا ؟ .

بسم الله : كيف ؟ فقد أعطاه المال وعندما يسأله النائب لن ينكر ؟ ولو يضايقنى أكثر من هذا سآخذه إلى قسم الشرطة .

واستمرت هذه الأحاديث حتى حضر النائب ماشيًا على قدميه وحيدًا ، ووجهه مسودٌ وحزينٌ وفاضت الدموع من عينه ، وجلس صامتًا فى أحد الأركان بالحجرة بدون احترام لا تعلوه المهابة ، وصدقًا أقول إننى عندما رأيته ذرفت الدموع من عينى ولكننى تمالكت نفسى .

فقال: عجبًا يا بسم الله ، مثلك مثل جميع الغانيات تعالى معى واتركى قصة الحلىّ .

بسم الله : انظر ، أليست هذه هى الحلىّ التى أعطيتموها فى ذلك اليوم كرهان للسيد حسنو. النائب : هى نفسها التى أنكر أنه أخذها من يدى .

بسم الله : بكم رهنتها ؟

النائب : لا أتذكر ، ربما بمائتين خمسة وعشرون أو مائتين وخمسين روبية ، شىء مثل هذا .

بسم الله : وكم كانت الفائدة ؟ .

النائب : حساب الفائدة ، لا أحد يعرف فإن الأشياء المرهونة إذا حلت نوبتها ولا تعطى فى الوقت المحدد تحسب الفائدة من هذا اليوم .

بسم الله : حسناً ، هل آخذ هذه الحلى ؟؟......

النائب : خذيها .

بسم الله : وسأقول للسيد مرزا أرسلنى السيد حسنو .

النائب : لا ، أقسم عليك بحياتى ، لا تفعلى مثل ذلك بحق ال البيت .

بسم الله : بحق آل البيت إننى لا أعرف عنوان والده السيد مرزا .

النائب : خير ، هو قال لك بلسانه وأنا فى قلبى العزيمة ، وقد اثنيت عليه وشجعته ولكن ماذا قال لك يا بسم الله ، قال إننى لست كبير العائلة .

انظرى يا بسم الله فالنائب الكبير بلا مروءة ، ذهب فى الصباح الباكر إلى منزل جهتن ويعلم الله مع من كان موعده ثم انصرف إلى منزله .

وفى اليوم الثانى أو الثالث لهذه الواقعة ، أتذكر أننى كنت أجلس عند الهانم وفى هذه الأثناء جاءت إحدى العجائز وسلمت على الهانم بحياء وخجل وأشارت لها الهانم أن تجلس وسألتها الهانم : من أين جئت ؟

العجوز : سأخبرك من أين جئت ، هل يوجد أحد هنا أم لا ؟؟....

الهانم : لا يوجد أحد غيرنا ، أنا وأنت وهذه الجارية التى لا تميز ما تقولين ، فأخبرينى .

العجوز : أرسلتنى السيدة فخر النساء زوج النائب الكبير .

الهانم : من هى السيدة فخر النساء ؟

العجوز : أنت لا تعرفينها ، فهى والدة النائب السيد جهبن ولم تكمل الحديث .

الهانم : فهمت ، أكملى .

العجوز : ألست والدة بسم الله ؟

الهانم : نعم ، أكملى الحديث .

العجوز : قالت إن السيد جهبن ابنها الوحيد ، وهى لم تهتم به ولا والده وقمت أنا بتربيته. واعتبرته ضمن أولادى ، وعمه ليس عدواً له، بل كان يعتبره ولداً من أولاده ، وكانت له أبنة وحيدة خطبت له منذ طفولتها ، وهى ذات صوت جميل، قضت عمرها كله فى المنزل وقد رفض السيد جهبن الزواج منها ، وقد علم عمه بذلك ولم أتدخل مطلقًا ، والجميع حذره من مغبة ذلك ، والراتب الذى تعطيه لهذا الولد خذى منه عشرة أضعافه وتفضلاً منك وإحسانًا اجعليه يوافق على إتمام الزواج ، وستئول جميع الممتلكات إليه وليس لأحد لغيره ، وسيملك مالى وروحى وكذلك مال وروح عمه ، وليكن فى تفكيرك ألا يخرب البيت وهذا إحسان منك والأمر لك .

الهانم : بلغى السيدة تحياتى ، وقولى لها إننى قبلت عرضها ، وإنى طوع أمرها والله فعال لما يريد . وإننى سأظل طوال عمرى خادمة لها ولن أخالفك فى الأمر من أجل خاطرك .

العجوز : والسيدة قالت لى لا تخبرى جهتن لأنه عنيد ، فلو علم بكلامى فلن يوافق

الهانم : يا ماما ، لا داعى للنظر نحو الجارية فإنها لن تحكى هذه القصة لأحد .

امراق : بعد هذا انتحت العجوز بالهانم جانبًا ، وتحدثا معًا بصوت خفيض لا أسمعه ثم انصرفت بعد ذلك .

الهانم : من ناحيتى سأنفذ طلبها لأنها من أصدقائى القدامى ونحن نحافظ على العشرة بيننا وبعد أن ذهبت العجوز أرسلت الهانم لاستدعاء بسم الله ، وأمسكتها من أذنيها وهمست لها عندما يحضر النواب جهتن فلا تذهبى معه ،لأنه نال جزاءه ولست صاحبة له منذ الآن .

وبينما كان النائب يتحدث مع بسم الله وكنت موجودة ، ثم بعد فترة من الزمن جاءت الهانم ووقفت على باب حجرة بسم الله قائلة :

الهانم : أيها الناس نحن هنا .

بسم الله للنائب : اعتدل فى جلستك فأمى جاءت ، ثم أقبلت الهانم وسلمت على النائب ثلاث مرات ، رغم أننى فى هذا اليوم لم أرها تسلم على أحد ولم أر الهانم على هذا الأدب.

الهانم : كيف مزاجك يا سيدى ؟

النائب : طأطأ رأسه ، وقال الحمد لله .

الهانم : أحياك الله مسروراً ، وندعو الله أن تسر أكثر من ذلك آلاف المرات ، وأتمنى أن يزيد مالك ويكثر فى يدك ؛ فالله جعلك كبير عائلتك رغم أننى أضايقك بحضورى فى هذا الوقت ، إلا أننى جئت اليوم لأسلم عليك وأخبرك بأننى جئت فى أمر هام أعرضه عليك ثم طلبت من بسم الله أن تسلم عليه وتنصرف .

الهانم : بسم الله تخدمك منذ عام ؛ وكان عليك أن تحضر إلى هنا مرات قليلة ولكنك أسرفت بحضورك ، وكنا اتفقنا من قبل أن تحضر إلى هنا بصورة غير دائمة ، وبينما كانت الهانم تتحدث ، كانت تنظر إلى بسم الله جان وتنتظر ماذا تقول ؟

امراؤ : فهمت كلامها إلى حد بعيد وكنت أنظر إلى النائب فعرفت حاله من تغير لون وجهه ، ثم جاءنى والدموع فى عينيه وجلس صامتًا.

الهانم : سأعرض عليك مرة أخرى .

النائب : ما تقولينه مشكلة كبيرة جداً لى ، من فضلك يا امراؤ ناد على بوا حسينى ، فذهبت لأناديها .

الهانم : يا بوا حسينى من فضلك أحضرى لنا الشالين اللذيْن اشتريتهما بالأمس .

سمع النائب هذه الألفاظ وتأثر بها كثيراً كمن صعقته الكهرباء ، إلا إنه سيطر على نفسه وجلس صامتًا ساكتًا ، وبعد فترة

من الزمن، جاءت بوا حسينى بشالين مطرزين بتطاريز وأشكال جميلة لم أر مثلها إلا قليلاً .

وبعد أن عرضت الهانم على النائب الشالين ، قالت : هذان اشتريتهما بالأمس وقال لى التاجر إن ثمنهما ألفا روبية ، وقلت له بألف وخمسمائة فلم يرض ، لكن فى رأيى إنها ليست غالية بألف وسبعمائة أو ألف وثمانمائة ، ولو صنعت لى معروفًا اشترِ لى هذين الشالين من مالك.

وجلس النائب صامتًا ، وأرادت بسم الله أن تقول شيئًا ، فنهرتها الهانم قائلة :

مهلاً يا بنتى لا تتسرعى فى الكلام ، ماذا تفعلين ، هل جاء اليوم الذى لا تأتمرين فيه بأمرى ؟؟.

الهانم : يا سيدى النائب ، أنت رجل كريم ، أجبنى بسرعة فسكوتك هذا لا يريحنى قل نعم أو لا ، هذا ما أتمناه فى هذا اليوم ، ولكن النائب ظل صامتًا أيضًا.

الهانم : لله درك أجبنى ، وبسرعة ، أنت تعرف حقيقتى إننى امرأة سوقية ، لكنها تحترمك ومن فضلك لا تحرجنى أمام جاريتى .

النائب : (بعد أن نظر للهانم) . ليس هناك أى داعٍ لهذين الشالين ، ولكنكم ربما لا تعلمون حالى ، وهل بسم الله لم تقل شيئًا ، وامرأؤ كانت أيضًا موجودة فى هذا اليوم .

الهانم : لم يقل لى أحد شيئًا، خيرا ، ما السبب يا ترى وأرادت بسم الله أن تتكلم ولكن الهانم أشارت إليها أن تظل صامتة ، فبدأت تنظر للدف وجلست مثل التمثال .

النائب : أنا لا أقبل هذا ، وسأحقق لك كل ما تريدين.

الهانم : لا تفكر أننى عدوة لك وأننى خبيثة بطلبى هذا لك اليوم ، فسواء وافقت أو لا فبسم الله ستقوم بذلك ولو أن بسم الله هى التى أمرتك لفعلت ، وأنا امراة عجوز فما قيمة طلبى بالنسبة لك ؟؟ ومن أكون؟؟ ، وقالت الهانم ذلك ثم تنهدت ، وقالت من اللائق أن أترك كبير العائلة بدون مضايقة .

كنت أرى أن الهانم تقوم بتمزيق قلب النائب قطعة قطعة ، وكأنها تقوم بعمل المشرط فى قلبه.

النائب : أنت جديرة بالاحترام ، حقا أقول لك بأننى لست على استعداد فى هذا الوقت لأحقق مرادك ، ثم حكى لها النائب باختصار عما حدث له من الإفلاس .

الهانم : خيراً ياسيدى ، من اللائق ألا تظل هنا ، وأقل شىء أن تنفذ ما أمرك به فهذا مكان الغانيات ، والذى يأتى إلى هنا عليه بعض الالتزامات ، وأنت تعلم أن الأموال القليلة تساوى العدم ، ألم تسمع هذا المثل ؟؟ الغانية لمن ملك " ولو أننا تعاملنا بالمروءة مع الناس فماذا نأكل ؟؟ إننى أمنعك من الحضور إلى بيتى وفكر فى كرامتك ، قالت الهانم ذلك ثم مضت مسرعة خارج الحجرة .

النائب : الحقيقة إننى أخطات خطأ كبيراً ، وإن شاء الله سوف لن احضر بعد الآن.

قال ذلك ثم نهض واقفاً، وتعلقت بسم الله بطرف ثوبه .

بسم الله : هل تحدثت معك عن الحلى فى أى مرة ؟

هدأ النائب قليلاً ثم قال .

النائب : لا أعلم .

بسم الله : ألهذا الحد أنت غاضب ؟ انتظر هنا ، أين ستذهب ؟؟

النائب : عليك من الآن أن تنتظرى حتى ينعم الله على بالمال ساعتها سآتى لرؤيتك.

بسم الله : لن أدعك تذهب .

النائب : هل أنا ألعوبة عند أمك .

بسم الله : صدقينى يا أختى امراؤ ، اليوم أصبحت فتاة كبيرة وسيأتى اليوم الذى تجلسين فيه فى هذه الحجرة ولا تغادرينها ، وعندما يأتى ذلك اليوم تقوم قيامة الدنيا يا عزيزتى إن سعادتى تغضب أمى ، وليس عندى استعداد أن أترك النائب واليوم يمكن ألا أذهب عنده ورغم ذلك فهو فى عيونى ، وهو نفسه النائب الذى أخذت منه أمى أموالا كثيرة .

واليوم أدار الزمان له ظهره ، فهل أصبحنا مثل الببغاء نغض الطرف عنه ونطرده من بيننا ؟ لن يحدث ذلك أبداً ولو ضيقت أمى الخناق علىّ أكثر من هذا فإننى أقول لك حقًا يا أختى امراؤ ، فإننى سآخذ النائب من يده سنخرج من هنا ، وسنذهب إلى أى مكان أنا أقول لك عما فى قلبى .

وكنت أفهم كلام بسم الله جيداً ، وهذا واضح من خلال لقاءاتى المتكررة معها .

بسم الله : حسنًا يا سيدى النائب أين ستسكن ؟؟

النائب : أخبرينى أنت ، أين ؟

بسم الله : أخيراً قل أنت .

النائب : أسكن عند تحسين بخش ، وللأسف إننى لم أكن أعرف أنه رجل فاضل يعترف بالجميل ، فقد أصبحت أخجل منه ....

امراؤ : مخدوم بخش ، ذلك الرجل الذى كان يعمل موظفًا عند والدك ؟؟ وكان يعمل لديكم منذ فترة وأنت فصلته .

النائب : إنه هو مخدوم بخش ، ماذا أقول عما صنعه معى فى هذا الوقت ، فالخير فيما أراده الله .

وأثناء كلام النائب اغرورقت عيناه بالدموع ثم انهمرت دموعه على خديه ، وبعد ذلك أمسك النائب بطرف ثوبه ونزعه من يد بسم الله ، ومضى خارج الحجرة .

وكانت رغبتى أن أتحدث مع النائب قبل أن يمضى، فنهضت لألحق به إلا إنه نزل مسرعًا ولم أستطع اللحاق به وكانت نفسية النائب فى هذا الوقت سيئة، فقد أثر كلام الهانم فى نفسه وجعله يشعر باليأس إلا إننى كنت قد فهمت من كلام الهانم أنه من اليوم لن يستطيع الحضور فى أى وقت.

لكنى كنت عاجزة عن التفكير وكنت مشوشة الذهن فلم أر شيئًا ، ونمت غاضبة ولم أتناول طعامى وعندما حل المساء ذهبت أنا وبسم الله إلى منزل مخدوم بخش فى حىّ تحسين وبصعوبة وجدناه ونادينا من الخارج ، وبعد أن قرعنا الباب خرجت بنت صغيرة فسألتها عن النائب فقالت : إنه خرج منذ الصباح ولم يحضر حتى الآن .

وأنتظرنا لساعتين ولم يحضر النواب ولا مخدوم بخش ولما يئسنا من لقائهما عدنا إلى المنزل ، ثم عرفت أنه منذ ليلة أمس لم يذهب إليهم .

وفى المساء أرسلت والدته امرأة عجوزًا إلى الهانم – وهى نفس المرأة التى أرسلتها من قبل – فجاءت العجوز باكية وعلمت منها أن النائب لم يترك عنوانه وتعجبت من بكاء السيدة وأننى أعرف أن النائب رجلً رشيد ، مضى على اختفائه عدة أيام ولا ندرى عنه شيئًا ، وفى اليوم الخامس ، علمنا أن خاتمه وقع فى يد المرابى، فباعه إلى على رضا بيك من منطقة كوتوال حيث ذكر المرابى أن ابن ساقى إمام بخش باعه له ، وقد بحثت عن هذا الولد فلم أجده ووجدت والده ،

الذى أنكر فى البداية وادعى أنه لا يعرف شيئًا عن هذا الخاتم ، وفى النهاية اعترف بلسانه عن الواقعة .....

أمام بخش : يا سيدتى ، هو جاء إلى شاطىء النهر وخلع ملابسه ثم ارتدى ملابس خفيفة ونزل إلى النهر يستحم قليلاً من الوقت ، ثم غاب عن عينى وخرج جميع من يستحمون فى النهر وأخذوا ملابسهم وعادوا إلى منازلهم إلا هو، ففهمت أنه ربما يكون خرج من الشاطىء الأخر ، ثم ظللت أنتظر طويلاً من الوقت وكنت أقول لنفسى سيأتى الآن ، وظللت أنتظره حتى المساء ، ثم تيقنت أنه غرق فى النهر ، ففكرت أن أخبر أحدا عما حدث ولكنى خفت تبعة ذلك ، فرأيت من الأفضل أن أظل صامتًا. فأخذت ملابسه معى إلى المنزل وكان هذا الخاتم فى جيبه ومعه آخر ، ويعلم الله أننى بسبب الخوف لم يره أى إنسان حتى اليوم ، ولن أبيع هذا الخاتم أبدًا ، إلا أن ولدى رآه فأخذه دون علمى ، ثم جاء السيد على رضا بيك حاكم كوتوال ليأخذه ومعه اثنان من عساكره ثم طلب الخاتم والملابس والخاتم الصغير، ثم اطلع السيد على رضا النائب الكبير عما حدث ، وأرسل إليه الملابس والخاتمين ثم قام السيد على رضا بمعاقبة أمام بخش .

بسم الله : عجبًا لم يغرق السيد نواب جهبن ، فإننى صادقة فيما أقول إن دمه فى رقبة أمى.

امراؤ : واحسرتاه ؟؟ كنت أريد أن أخبره بما يدور فى قلبى فى ذلك اليوم لهذا نهضت معه وأردت أن أخبره ، إلا إننى لم أستطع اللحاق به فقد غادر بسرعة .

بسـم الله : لقد حل به القضـاء ، يا الله ... أنزل عقابك على النائب الكبير ؛ فإنه استولى بدون وجه حـق علـى أمـلاكه وقضـى عليـه.

امـراؤ : يعلـم الله كيـف حـال أمـه ؟؟

بسـم الله : سمعت أن المسكينـة قـد جـن جنـونـها .

امـراؤ : إن مـا حـدث ليس بالشـىء الهين وإنه ابنـهـا الوحـيـد وأصبحت المسكينة ثكلى به وحلت على رأسها هذه المصيبة ، وحقًا أقول إن بيتـها قـد خـرب.

رسـوا : هـل غرق النائـب جهبن ؟؟ حسنًا ، بهذه المناسبة أريد أن أسالك سؤالاً .

امـراؤ : سـل مـا تشـاء .

رسـوا : هـل كـان السيد النائـب يعرف السبـاحة أم لا ؟؟

امـراؤ: أنت تعرف ذلك ، فلماذا تسألنى ؟!!

رسـوا : أخـبرنى السيـد ميـر مـجـهلى بأن الشـخص الذى يعرف السبـاحـة ولا يعـرف هـدفـه يغـرق وهـذا كـل مـا أعنيـه .

(٧)

لم يكـن غرضـى امتحانـًا لوفائهـم

ياقلة حيلتى !!....... لا أستطيع دفع الظلم عنى

امراؤ : يا سيد رسـوا هل وقعت فى عشق واحدة مـن قبل ...؟؟

رسـوا : كـلا ، لا قدر الله ، نعم ، لقـد أحبك المئات وذكـروا ذلك لك وسمعت كلامهم وأشواقهـم لكـن لـم تبادليهـم الـحب .

امـراؤ : إننـى غـانية مـحترفة ، ومـن واجبى أن أظهـر ذلك للناس ، وعندمـا يريد أحـد أن أذهب إليـه فـلابد أن يدفـع الثـمن مـقدمـا ، وكـانوا يقـعـون فـى غـرامنا أمـا نحن فـلا ، وكنا نتبـادل أطراف الحـديث وتخـرج منـا أنفـاس باردة ، وكنا نـأكـل الطعـام ليـومين ونجلس سـويا يطعم بعضنا بعضـًا ، ويحدث مثل هذا ، وكيف يكون قلب الرجل قـاسيًا أمـام خداعنا ؟؟ !!

أقول لك صـدقـًا إننى لم أعشق أحدًا ولم يعشقنى أحد ؛ فقد كـانت بسـم الله ملكة العـشق والغـرام ، ولن تسـتطيع أن تخـرج من الإنسـان ملاكا ؛ فالإنسان هو الإنسان ، لن تستطيع أن تجعل منه ملاكًا، فالآلاف يعشـقونها وكـان الحب الصـادق يظهـر على وجه الشيـخ ، والذى يفعل ذلك لا يُعتبر شيخًا ولا يعد عالم دين ، فقد كـان يعرف اللغة العربيـة ، ويأتيه الناس من أمـاكن بعيدة لتلقى العلم علـى يديه وليس له نظيـر فـى العلـوم الإنسانيـة فى زمـانه .

وأتذكر أن عمره فى ذلك الوقت كان لا يقل عن سبعين عامًا وكان له وجه نورانى ولحية بيضاء حليق الرأس يضع على رأسه عمامة ويرتدى عباءة فاخرة ويمسك عصا .... ومن هيئته لا يستطيع أحد أن يقول إن هذا الرجل المتزن قد صار عاشقًا لغانية لهذه الدرجة.

وأنا بنفسى شاهدت حادثة حدثت له فى يوم من الأيام – وهذا ليس فيه مبالغة – فقد حدث بالفعل ، فإن صديقًا لك اسمه السيد مير رحمه الله ، تعلق قلبه بها وكان شاعرًا ، يكتب لها أشعارًا جميلة يظهر فيها شوقه لجمالها مع اتزان تام ، وليس لواحدة من الغانيات الأخريات فى المدينة منزلتها ولن تصل إلى هذه الدرجة واحدة أخرى .

امراؤ : وهناك شاهد آخر على هذه الواقعة ربما تتذكره ، فقد أرسلت الهانم ابنتها إلى هذا المكان لعدة أيام هو تاجر الأقمشة .

رسوا : أنا لم أذهب لهذا المكان.

امراؤ : خير فأنا كنت أذهب هناك لرؤية بسم الله وفتيات السيدة الأخريات ، وفى مساء إحدى الليالى وكنت أجلس على الأريكة وأتكئ على الوسادة . وقد شرف بالحضور السيد مير رحمه الله ، وقد كان الشيخ قد جلس تجاه القبلة ، وقضى وقتًا وهو يجلس مهذبًا أمامه ، ولن أنسى صورته فى هذا الوقت ، فقد جلس يقرأ الأوراد على مسبحة من الزيتون ويقول : يا حفيظ ..... يا حفيظ ..... يا حفيظ .

فأردت أن أنصرف ، ولكن بسم الله أمسكت بيدى وأجلستنى بجانبها ، فجلست بعد أن سلمت على السيد مير والشيخ والتصقت بسم الله بى وهمست فى أذنى قائلة :

انظرى يا امراؤ ستشاهدين مسرحية ، وبعد أن قالت هذا اتجهت ناحية الشيخ وكانت فى صحن هذه الدار شجرة النيم الضخمة ، فقامت وأمرت الشيخ أن يصعد على هذه الشجرة .

وبدأ الهواء يلفح وجهه ، وبدأ يهتز ويرتعش ، وسقطت على الأرض من كثرة الضحك وقد جلس السيد مير عابس الوجه ، والشيخ المسكين لا حيلة له ، أحيانًا ينظر إلى السماء وأحيانًا ينظر إلى بسم الله التى أصدرت إليه الأمر ثانيًا وثالثًا قلت لك اصعد الشجرة.

ورأيت الشيخ بعد أمر بسم الله له قام ونهض ووضع عباءته على الأريكة ثم وقف عند جذع شجرة النيم ، ثم نظر ناحية بسم الله وقطب جبينه وعبس قائلا : نعم ، أنا هنا .

وصعد الشيخ واضعًا قدمه على جذع شجرة النيم ، وبعد فترة قليلة ذهب ونظر الشيخ ناحية بسم الله ، وربما كانت نظرته معبرة ، إن هذا يكفى أو لا ؟؟......

وبسم الله تطلب المزيد، أن يصعد أكثر ، قائلة : اصعد لأعلى يا شيخ ، ثم انتظر أمرى ، ثم طلبت نفس الشىء أن يصعد أكثر ، "المزيد" وبهذا الشكل تسلق الشيخ الشجرة حتى وصل عند أقصاها ، ثم طلبت منه أن يصعد أكثر .

فقال الشيخ لها: لو صعدت أكثر من هذا لكسرت الأغصان وسقطت على الأرض وكان فى هذا هلاكى. ولكن بسم الله أمرته أن يصعد أكثر ،

فانحنيت أنا على قدمىّ بسم الله ، وقلت لها : ارحمى هذا الشيخ ، ومُريه أن ينزل .

وكان السيد مير قد ذهب أثناء صعود الشيخ الذى أخذ فى نزوله وقتا طويلا ، وكنت أظن أنه سيسقط الآن على الأرض إلا إنه نزل بخير وعافية ، والمسكين تصبب عرقًا وامتقع لونه وسقط قريبًا منى إلا أننى أمسكته ، ولبس نعليه وجلس قريبًا منى وارتدى عباءته وجلس صامتًا ، فأخذ يسبح وقد دخلت نملة فى إزاره تسببت له فى قلق شديد .

رسوا : يا أختى والله ، بسم الله مزاحها عجيب فقد كانت غانية عابثة ماجنة.

امراؤ : هى كذلك ، فهل أذكر لك بعضا من مداعباتها فقد كانت تجلس وليس على وجهها أى أثر للابتسام ، وأنا والسيد مير كنا نجلس وروحنا على الشيخ وكان حال هذا الشيخ العجيب فيه عبرة وعظة .

ما فائدة العيش مع هذا الظلم فيما بقى من أيام حياتى

فكيف يتلذذ بالحب مثل هذا الكافر به

رسوا : هذه الجملة كافية كى أضحك عليها طوال العمر ، لدرجة أننى أتخيلها وأنت تشرحينها وصورة بسم الله والشيخ وهيئته الوقور والسيد مير وأنت وفناء البيت وشجرة النيم ، جميع هذه الصور أمام عيونى .

على هذه الواقعة لا يكون الضحك ، بل البكاء على حماقة الشيخ ، ومما لا شك فيه أن بسم الله غانية مستهترة ، فقد أمرت الشيخ العجوز الذى بلغ سبعين عامًا أن يصعد الشجرة وهو يطيعها وأنا لم أفهم هذا .

امراؤ : هل حقيقى أنك لا تفهمين هذه الحماقة .

رسوا : بالله عليك وضحى أكثر ، هل بقى شىء من هذه الفضيحة ؟؟ .

امراؤ : هناك الكثير من الفضائح وسأحكيها لك ، بعد ذهاب الشيخ أنا سألت بسم الله .

بسم الله ، ماذا حدث لك ؟؟

بسم الله : ماذا ؟

امراؤ : عجوز فى السبعين ، إذا سقط من على الشجرة ضاع دمه سدى .

بسم الله : إذا سال دمه فهذا من أجلى ، وأنا كنت سأذهب لهذا الميت سىء الحظ وأكسر ضلوعه بمرزبة الحداد ، وأقتله .

وكان الحديث كأن بسم الله عثرت على قرد واستأنسته وربته ، والشيخ يسمع لها وأحضر لها جميع الأشياء التى تحتاجها من مأكل وملبس وذهب ، كما أحضر لها برقعًا وأساور فضية وطوقًا للشعر

وقرطًا ذهبيًا ، وحلوى لو تناولت هذه الأشياء لأصبحت سمينة ولزاد وزنها فى أقل من ثلاث سنوات ، والناس يعرفون أن الرجل الأجنبى يأتى بخيره دفعة واحدة ويقدمه لمن يحب ، ويمكننا أن نقول إن الأخذ على يد رجل طيب ومساعدته أفضل من تركه.

وقبل اليوم الذى طُلبت فيه من الشيخ أن يصعد الشجرة بيوم واحد ، ذكرت لك أننى ذهبت الى هناك فوجدت بسم الله تجلس على الأريكة فى فناء البيت وقد أشرت لك عما حدث له ، وعندما جاءت بسم الله متلصصة من الخلف بعد أن أشارت إلّى بفمها ثم فجأة ذهبت وركبت على كتف الشيخ ، ولما رآها الشيخ انزعج وهزته هزًا بصورة عنيفة لدرجة أنه سقط وارتمى أسفل الأريكة ، وعرفت أنه سيمشى .

وبسم الله نادت عليه ولكنه مضى مسرعًا ، وجرت خلفه فلوح لها بالعصا وخوفا من الضرب ارتمت فى حضنه ، ثم رفعت الخمار عن وجهها وواسته ولاطفته ، وبقلب الشيخ الطيب دعا عليها وفى اليوم الثانى عاقبها .

رسوا : وهل كان العقاب مناسبًا ؟

امراؤ : نعم ، فى وقته ، ومما لا شك فيه أن الشيخ تأثر كثيرًا لما حدث له ، والمفروض أن هذا الرجل عالم دين له مكانه لائقة ، وكان يجب تعذيره . إلا إن الشيخ قد هام فى حب بسم الله كما ذاب قيس

عشقا فى حب ليلى ، هذا الحب الذى جعل منه قرداً تستهزئ به بسم الله وتلعب بـه ، وما ذلك علـى العشـق ببعيـد .

وفى يوم من الأيام فى الثامنة مساءً ، كنت فى غرفة بسم الله وهى تغنى وأنا أنقر على الطبلة وكان خليفة جى يعزف أيضًا ، فى هذا الوقت حضر الشيخ ، فنظرت إليه بسم الله ثم قالت :

أيـن كـنت منـذ ثمانيـة أيـام ؟؟

الشـيـخ : مـاذا أقـول؟؟ فـقـد تسـببت لى فى حـرج شـديد لا يمكن نسـيـانه ، ولقـد أصـابتنى حـمى شـديدة ، ونجـوت منهـا كـمـا تريـن وأصبحت ضعيفًا

بسـم الله : ومـاذا عـن الـحب والوصـال ؟ وعندمـا قـالت ذلك نظرت ناحيتى وناحيـة خليفـة جـى

قـال الشيـخ : نعـم توجـد آثـار العشـق .

بسـم الله : والله الوصـال أمـر طيـب .

الشيـخ : مـاذا تستفيـدين مـن مـوتى ؟

بسـم الله : عندمـا تموت سـأقـيم لك ذكـرى سنوية ، وسـأغنى وسيرقص الناس وسيُعرف اسـمك وتصبـح مشـهـورًا ......

وبعـد أن قـالت هـذا الكـلام بـدأت فى الغنـاء ، وأنشدت الغـزل :

يا مـن لا تذكـر القضـاء

إننى أذكر دائمًا عمل هـذا الكافر بالمحبـة

ثـم هـام الشـيخ وجـداً واغـرورقـت عـيناه بالدمـوع ثم تسـاقطت قطراتها على لحيتـه ، وفى تلك الأثناء كنت أمـامه لأفتح البـاب ، فوجدت شاباً قمـحى اللون مـستدير الوجه ذا لحـية سـوداء وذا قـد رشيق وبدن رياضى ويرتدى مـلابس غالية الثمن وحذاء من القطيفة ، ومـعـه منديـل حريـر فدخـل الحجـرة .

وعندمـا رأت بسـم الله هذا الشـاب قـالت : واعجباه ! سيدى منـذ رحـيلك فـقط جـئـت اليـوم وأنـا أنتظـرك منذ ذلك اليـوم وأنـا لست مـثلك أنسى الأصدقاء ولكـن أيـن كنت ؟؟

فوجـد فى نفسـه قـوة ، فأجابهـا بلهجـة مضطربـة قائـلاً:

لا يا سيدتى هذا لا يمكن ، فمنذ ذلك اليوم لم أجد فرصة للمجىء إلى هنا ، فقد كانت أمى مريضة وكنت أشرف على علاجها .

بسـم الله : نعم ، أنا مـتـاكـدة أنك سـعـيدٌ ، ولم أقل إنك تغـيـبت بمزاجك ثم جـئـت إلىّ عندمـا حل المسـاء ، فـقـد كنت أتحـسس أخـبـارك وعرفت منها أن والدتك كانت مريضة.

ولما سمع الشيخ هذا الصوت سـار خلفها ، يحدق بعينيه ويهمهم بالكلام ، عندما رأى الصديق الثانى تغير لونه ، وارتعدت فرائصه وفتح البـاب وانطلق مسرعـاً من الغرفة. وبسم الله تنادى عليه فلم يرد عليها فجلست صامتة ، ولم يحضر منذ ذلك اليوم لرؤيتها .

ثم حدقت ببصرها قائلة : ربما ، ثم .... وبعد ذلك شغلت بالغناء .

رسوا : كان أهل ذلك الزمان يتحكمون فى سلوكياتهم .

امراؤ : أما أنا فقد كنت أغنى ، لأنه ربما يسمع جوهر مرزا غنائى فيعرف أننى موجودة فى هذا المكان ، وكانت بسم الله تنظر لى وتبتسم وبينما كنت أغنى حضر جوهر مزرا لسماع الغناء ، وكانت بسم الله تبادله الضحك ، ثم انتابتنى الغيرة ولم أتمالك نفسى فبدأت أسب الأخرين وتعكر مزاجى ، ثم جاء جوهر مزرا وجلس خلفى أنا وبسم الله ثم طوق بذراعيه بسم الله ،

جوهر مرزا : اليوم كان غناؤك جميلاً يا مهجة القلب .

وعندما رأى الشيخ هذا المنظر ، نظر بتمعن تجاه جوهر مرزا ، ثم أمسك بأذن بسم الله وجذبها ناحيته بشدة ، وقهقهت بسم الله على تصرف الشيخ ، كما ابتسم خليفة جى. ووضعت المنديل على وجهى وكان الشيخ متجهمًا إلا إنه ذهب وجلس قريبًا من بسم الله التى قالت له : اجلس بجوارى ، فجلس المسكين بجوار بسم الله الشقية. وفهم الشيخ أن جوهر مرزا يعرفنى ، فاشتعلت نار الغيرة لديه ، وظل جوهر مرزا يضحك فترة طويلة ، وظهر أثر المكر على وجه الشيخ وظل يكسر أعواد الحطب ويضعها فى النار حتى اكتوت أصابعه فكتمت ضحكى ، وفى النهاية عطف علىّ الشيخ ، وقال لى عن السر الذى بين جوهر مرزا وبين بسم الله ، مما أغضبها منه .

فنظرت ناحية جوهر مرزا وقلت له : لقد جرحتنى ، امض إلى حال سبيلك ، والآن أصبح الشيخ يعرف أن جوهر مرزا قريبٌ منى فى عاداته وتقاليده ولا يحتاج إلى أىّ واسطة من بسم الله ، فشعر الشيخ بالسعادة الغامرة وعلت وجهه ابتسامة وانخرط فى الضحك.

رسوا : ألم تكن بسم الله تحب الشيخ حبًا طاهرًا عفيفًا ؟

امراؤ : كانت محبة طاهرة .

رسوا : كانت تريد أن تحرقه بنار حبها .

امراؤ : واعجباه ؟؟ هل يحسد الناس بعضهم بعضًا على الحب الطاهر .

رسوا : الحب الصادق لا يكون هكذا .

امراؤ : حسب فهمى فإن هذا يضيع إيمان الشيخ ، وفى ملهى الهانم الكل يعرف الرقص جيدًا سواى ، وكانت خورشيد تشاركهم بصورتها الملائكية فقد كانت وردية اللون وذات أنف جميل وعيون كاللؤلؤ ووجهها يشع منه النور ، سبحان من أبدع صورتها !!

وأيضًا كانت يداها ناعمتين ولها قوام ممشوق وترتدى ملابس جميلة متناسقة ، وكانت فى أدائها تخلب العقل وتسر القلب ، ومن يقع نظره عليها لا ينساها وهناك الآلاف الذين يفدونها بأرواحهم بإشارة منها ، وإذا جلست فى الحفل كانت كالشمعة تضىء لمن حولها ، ورغم وجود العشرات من الغانيات إلا إنها تبهر الأبصار وتلفت الأنظار إليها .

ورغم هذه الصفات ، إلا إنها سيئة الحظ لأنها كانت تضيع عمرها بيدها فعملها كغانية لا يليق بمثلها فهى ابنة رجل غنى ، وذلك يبدو على وجهها الذى تعلوه علامات الشرف والجمال الذى وهبه الله إياها ، إلا إن هذا الجمال كان وبالاً عليها، فأى إنسان يقع نظره عليها يعشقها ، وهى جديرة بهذا الحب إلا إنه ليس واجبًا عليها أن تحب أول من تلقى ورغم أن الآلآف يريدون أن يفدوها بأرواحهم ، إلا إنها كانت تعرف جيداً أنها إذا اطمأنت إلى عاشق تفديه بروحها .

فقد كانت تحرم الطعام على نفسها ، وإذا تأخر عن موعده المتفق عليه فى أى يوم من الأيام تنتظره طويلاً وهى تبكى ، والجميع نصحها بقوله : اصبرى يا خورشيد لا تفعلى مثل هذا فالرجال لا أمان لهم ، عليك أن تعرفى أن هذه العلاقة قائمة على الصداقة فقط. ولن يكون وراءها زواج أو أسرة .. ولو عرف أى واحد منهم أنك تريدين الزواج سيتركك. وآخر كلمة أقولها لك فالعاشق الولهان لست فى نظره سوى غانية ، يجلس معها ويلاطفها بعض الوقت ثم يعود أو لا يعود ، فهل هذا يستحق منك أن تفديه بنفسك وتحرمى على نفسك الطعام والشراب وتصبحى فى حالة يرثى لها ، والهانم بدأت تنفر منك فالجميع هنا تعتمد رواتبهم على ما يدفعه الرجال للطعام والشراب والمجىء والذهاب ، ولم أكن أفهم أن قلب هذه الجميلة مملوء بالعشق.

فقد كانت خورشيد تتمنى أن تكون زوجة لرجل تعيش معه فى سعادة ، وتقضى عمرها تغسل قدميه بشرط أن يبادلها الاحترام والمودة .

وكانت بسم الله وخورشيد على طرفى نقيض فقد كانت بسم الله مغرورة وسيئة الخلق والأخرى كانت تعتمد على الله ، ولقد حدثتك عن أخبار الشيخ وأخبرتك عن بعض سلوكه السيئ الذى استاء منه معارفه وأصدقاؤه. وفى الحقيقة أنه كان يفخر بثروة أمه الضخمة ولم يعرف خداع الأخرين له ، وخورشيد نفسها كانت قد وضعت الآمال على الهانم لتجعل منها غانية يعشقها آلاف الرجال. إلا إن صوت خورشيد لم يكن كجمالها ورقصها كذلك فقط تمتاز بجمال الشكل وعندما علم الناس أنها لا تجيد الرقص والغناء امتنعوا عن طلبها ، ثم ظهرت عليها علامات العشق الذى قضى عليها فمن كان يراها يسيل لعابه ويحبها. وبسبب العشق أصبحت لا تهتم ولا تنظر لأحد ، وعندما رآها الناس على هذه الحالة تركوها فلم يبق معها سوى حبيبها العاشق الولهان.

وانظر لهذا المشهد عندما وقع اللوم على السيد بيارى حبيب خورشيد من أبيه ، حيث صادر بيته وأخذت أمواله وأرضه عنوة ، وأصبح بيارى مسكينًا محتاجًا لا يملك شيئًا ، إلا إن ذلك لم يقلل من عشق خورشيد له ، وتغير الحال بعدما جلس بيارى مع أسرته ويمكننا أن نقول إنه كان يخشى والده، مما سبب صدمة عنيفة لخورشيد ، بالرغم من طول صبرها حيث أخذت تقدم الطعام لآلاف الفقراء ، وكانت تعتقد كثيرًا فى رجال التصوف .

وفى يوم من الأيام حضر شيخ الصوفية السيد " شاه " وقدمت خورشيد الطعام للفقراء كعادتها. ثم خلعت قرطها وأساورها الذهبية ثم طلب منها الشيخ قدراً من الفخار ملأه بحبة البركة ثم وضع فيه الحلى الذهبية ، ثم قطع قطعة من شالها الحريرى ووضع فيه حجابا وربطه جيداً حول رقبة القدر ، ومضى شيخ الصوفية إلى حال سبيله قائلا لها:

لا تفتحى القدر اليوم وافتحيه غدا صباحاً ..

وفعلت كما أمرها الشيخ ، وفى الصباح لم تجد فى القدر شيئًا سوى حبة البركة ، وفى يوم من الأيام أخرج أحد السحرة من وجهها بعض الحشرات على هيئة حية سوداء ، وقال إن خورشيد ستهدأ بعد غد ، وظهرت آثار خروج هذه الحشرات على أذنيها ، ولم تتألم ولم تغضب لأنها كانت ذا قلب طيب ومزاج معتدل أكثر من الغانيات الأخريات.

وفى يوم من الأيام جاء بيارى وجلس صامتًا فى أول الأمر ثم أخذ الغضب يظهر عليها شيئًا فشيئًا ، ثم عندما وضع أمامها ثيابًا مطرزة نهضت ، ثم حاول الجميع أن تقبل هذه الهدية فرفضت ثم أصيبت فى النهاية بالحمى وظلت طريحة الفراش لشهرين كاملين.

ثم اعتدل مزاجها شيئا فشيئا الأمر الذى احتار له بيارى ، وبعد ذلك بدأت تتقابل مع الناس الآخرين ، إلا أن قلبها ليس معهم فقد كانت تلتقى معهم بدون رغبة وكانت تتظاهر عند مقابلتهم بالسرور إلا إن قلبها كان منشغلاً عنهم.

وبعد أيام قليلة ، ومع مطلع الشهر الثالث مارس وبعد صلاة العصر ، قامت ترش الماء فى الميدان الفسيح بسبب حرارة الشمس التى كانت تلفح جدران القصر، وأخذت تتجول ببصرها فى السماء بين السحاب وأخذت تتأمل لحظة غروب الشمس ، ثم تجمع الناس بملابسهم البيضاء لأنه كان يوم الجمعة والناس يستعدون للاحتفال بقدوم الربيع وقامت خورشيد وبسم الله وأنا بالاستعداد للذهاب إلى الحفل وقد ارتدت كل واحدة منا ملابسها الجميلة وازدانت بشالها الحريرى وقد خضبت كل واحدة شعرها بالحناء ومشطته جيداً بضفائر جميلة وارتدت كل واحدة حليها وجلسن على الأرائك ذات الوسائد الحريرية التى أعدتها الهانم وبوا حسينى كانت معنا لكنها تأخرت قليلاً ، وأمام الهانم جلس مير صاحب وأصر على مشاركة الهانم فى الحفل ، ولكنها تعللت بضعف صحتها وطلبت منه الدعاء ، فقال لها: لن يكون اليوم عيداً للربيع لعدم مشاركتك لنا.

وفى هذا اليوم ظهر الغضب على خورشيد، وخرجت وهى ترتدى طرحة مخملية اللون وملابس جميلة وكانت تسير بصعوبة وتترنح فى مشيتها، وترتدى فى عنقها ويدها حليًا خفيفة . ووضعت حلية صغيرة فى أنفها وقرطًا فى أذنها وعقداً من اللؤلؤ فى جيدها وحول معصمها أساور من ذهب.

وفى الحجرة المجاورة لها كانت توجد مرآة كبيرة ، فنظرت على هيئتها وقالت : ماذا أقول ، شكل من هذا ؟؟!! لو كانت هذه صورتى فلقد وقعت فى بلاء عظيم ، ولا أرغب أن يرانى أحد على هذه الصورة.

ثم ظهر الحزن على وجهها بسبب حبها لبيارى ، وأصبحت شاحبة اللون بعد أن كانت صاحبة طلعة بهية ووجه جميل مثل الحورية لا نظير لها ثم تغير حالها بسبب الحب ، وكانت تنشد شعراً حزينًا لشاعر عظيم تجد فى أشعاره سلوى فى قلبها. أما بسم الله فلم تكن صورتها قبيحة ، بل كانت سمراء اللون ذات وجه معبر وأنف جميلة وعيون واسعة سوداء اللون ، وقدها رشيق وخصرها نحيل ممشوقة القوام ، وترتدى شالاً حريريًا مطرزًا بألوان جميلة ، وملابس صفراء وتتزين بحلى ذهبية من رأسها إلى أخمص قدميها معطرة جسدها بالروائح الجميلة وتبدو كعروس فى ليلة زفافها ، وكانت تتحدث بدلال .

وعندما وصلت إلى حفل عيد الربيع حدق كل واحد منهم فيها بعينيه ، وتوقف لسانه عن الحديث بسبب ما يراه من جمال منظرها ، فنسى كل واحد منهم ماذا كان يقول ، وكان فى حديثها بعض الشقاوة ، وبعد أن حضر الجميع كان فى الحفل ازدحام شديد ولو ألقينا الملح لسقط على الرءوس وكان هناك من يقوم بالألعاب البهلوانية وهناك بعض المحلات لبيع الحلوى وهناك بعض الباعة الجائلين الذين يبيعون الفاكهة وهناك من يبيع التمبول والعديد من الأشياء الأخرى وهناك من يعملون وهناك من يتفقد الحفل بشوق ويعجب لما يشاهده.

كما يوجد فى هذا الحفل السعيد والتعيس والغنى والمفلس والأحمق والعاقل والعالم والجاهل والشريف والوضيع والكريم والبخيل ، كل هؤلاء ماهم على وجوههم.

وكان هناك رجل يرتدى ملابس غالية ويضع طاقية على رأسه ، كما كان هناك رجل آخر يضع شالاً على رأسه وقد عطره برائحة جميلة ، وكان يبحث عن الغانيات وكان هناك رجل آخر جاء لرؤية الحفل إلا إنه كان مكدراً ، لا يستقر على حال وكان صامتًا وعرفنا أن زوجته وولده جاءا إلى الحفل ولم يكن يعطى جواباً لأحد.

والآن أتذكر رجلاً كان يمسك بيد ولد صغير ويتحدث معه ، ويسأله عن اسم أمه وأخبره الطفل بأن أمه تعد الطعام ، وبينما كانت تعد الطعام غلبها النوم وعندما ستستيقظ ستطلب منى ألا أفعل أشياء كثيرة ، لا تفعل يا ولد هذا أو ذاك . وستذهب أمى بعد ذلك إلى الطبيب . وجاءت بنت ترتدى ملابس حمراء فى الثامنة من عمرها تزين أنفها بالحليو ملابسها متسخة وقذرة ، وكان هناك رجل أخر يمسك بيد هذه الطفلة البريئة حتى لا يسرق أحد حليها ويمكنك أن تسأل لماذا كانت ترتدى هذا ؟؟!! وكان هناك رجل أخر يسب ويلعن. وهناك أم تضيع نقودها على أكل التمبول فقد كانت امرأة سفيهة ، والنقود التى كانت تحصل عليها تضيعها وتصرفها على شرب النارجيلة ، ثم تنادى على الساقى قائلة: تعال لقد نفذ حجر النارجيلة جهز لى حجراً آخر، وكان أحد معارفها موجوداً وبعد اللقاء سلم عليها ثم جلست بين الأصدقاء بدون كلفة ، وأخذت تتناول معهم الطعام ومن العجيب أنها كانت مسلمة وصديقها هندوسى وبينما كان يعطيها البان نادت عليه قائلة:

يا صديقى هل نسيتنى ؟؟ أخرج من جيبك بعض النقود

فقال لها : خذى تمبولتين ودعك من الطمع ، ولا تعقدى علىّ أملاً كبيراً .

فقالت لصديقها : نادى على الخادم ليغير لى حجر النارجيلة .

وعندما رأى الساقى من يجلس معها غيّر لها حجر النارجيلة ، ثم أعطاها صديقها بعض النقود أما جوهر مرزا فقد كان يعيش فى هذا المكان الملىء بالأشجار على شاطىء البحيرة ، وفى الليل كان يأتى الحفل لساعتين ثم يعود إلى مكانه ، وقد جاء راكبًا مع أصدقائه ، ثم نظر فوجد مكان خورشيد خاليًا فلم يخبره أحد عنها شيئًا فكان يظن أنها عند شجرة هنا أو هناك فأخذ يبحث عنها ويفتش عنها كثيراً فلم يستدل عليها وعندما يئس من البحث عنها عاد إلى منزله.

وعندما سمعت الهانم هذا الكلام توعكت صحتها وشعر جميع من فى منزلها بالصدمة وظللت أنا أبكى طوال الليل فذهب رجل إلى منزل بيارى وقال له: رغمًا عنى جئت فى هذا الوقت ، جئت لأسأل عن خورشيد، فأقسم له بيارى أنه لا يعرف مكان خورشيد ولم يذهب مطلقًا إلى حفل الربيع ، وأصبحت الهانم مريضة ، وأصبح بيارى ضائعًا ، وبعد قسمه لم يشك فيه أحد ، لأنه كان قد تزوج فزوجته كانت تمنعه من الذهاب هنا وهناك ، خصوصا فى وقت الليل لا تسمح له بالخروج من المنزل وعندما سمع عن خبر اختفاء خورشيد تحرك حبها فى قلبه وربما بسبب مروءة الهانم ، ولا ندرى سبب هذه المروءة التى جاءتها... !!!

الفصل الثانى

(١)

لقد وقعت فى أسر الصياد وأحببت هذا القيد .

وبعد شهر ونصف من اختفاء خورشيد ، جاء رجل من أهل المدينة إلى حجرتى، وكان أسمر اللون، أحدب الظهر ، ويضع شالين على وسطه وعلى رأسه عمامة وجلس على حافة البساط وعرفت منه أنه رجل خسيس.

وتصادف فى هذا الوقت خلو المكان من الغانيات ، وكنت أجلس بمفردى فناديت على بوا حسينى التى جاءت إلى حجرتى ، فنهض الرجل وأمسك بيد بوا حسينى بدون كلفة ، وأخذ يحدثها على انفراد ، وكنت أسمع بعضًا من أحاديثهما وأحيانًا لا أسمع ، وبعد ذلك أخذ بوا حسينى وذهبا عند الهانم ثم جاءا من هناك وأتما حديثهما ، وفى النهاية قال :

لك أنت مرتب شهر مقدمًا ثم أخرج الرجل حافظة النقود فاحتضنته بوا حسينى وألقت المال جانبًا.

بوا حسيني : كم هذا المبلغ ؟؟

الرجل : لا أعرف .

بوا حسيني : سأعدهم بنفسي .

الرجل : اعلم أن المبلغ خمس وسبعون روبية ، ربما زادت أو نقصت واحدة أو اثنتين .

بوا حسيني : يا سيدى ماذا تقول خمس وسبعون روبية ؟

الرجل : ثلاثون أو خمس وعشرون أقل من المائة .

بوا حسيني : أقل من المائة خمسة وعشرون ، فهذا مرتب كم يوم ؟.

الرجل : هذا راتب خمسة عشر يومًا، وسأعطيك راتب خمسة عشر يومًا أخرى وسيصلك مائة وخمسون روبية ....

وعندما سمعت لفظ مصروفات تأكدت أننى سأجبر على احتراف البغاء وفعل الموبقات ، فماذا أفعل ؟!!!! ذهبت بوا حسيني بالنقود عند الهانم التى لا تدرى أى شيء عما حدث ، ولا تدرى أين الخير ولكنها وافقت على الفور وأخذت النقود وأنا احترت لهذا العمل الذى يتعلق بالمال وليس بالمروءة ، ومنذ هذا الوقت أخذ وعداً من الهانم ، وبعد أن فرغ من هذه المعاملة، جاء الرجل إلى حجرتى فرحًا مسروراً وكان الوقت لا يزال ليلاً.

ثم سمعت من يقرع باب حجرتي فنهض الرجل قائلاً :

انظري ، سأذهب الآن وسآتي غداً مساءً ، ثم أعطاني خمسة جنيهات وثلاثة خواتم أحدهما من الذهب والثاني من الياقوت والثالث من الفيروز ، وقال لي ضعي هذه الأشياء عندك ولا تعطي للهانم منها شيئًا ، فلبستها وأنا سعيدة ، وقال أحب أن أراهم في أصابعك ومعلوم أنهم زادوك جمالاً فوق جمالك ، ثم أردف قائلاً أخفي هذه الأشياء في هذا الصندوق الصغير.

وفي مساء اليوم الثاني جاء الرجل وكنت مازلت آخذ درس التعليم ، فجاء وجلس على الطرف وكنت أتدرب على الغناء ثم أعطى خمسة روبيات للعازفين وللأستاذ ، وظهر السرور على العازفين الذين انصرفوا بعد ذلك ، وأراد الأستاذ أن يأخذ الشالين من الحجرة ، وكان لعابه يسيل عليهما إلا إن الرجل لم يوافق على إعطائهما له .

الرجل : يا أستاذ ، مالك الذي طلبته موجود، وهذان الشالان لا أستطيع أن أعطيك إياهما فهما لصديق ، وصمت الأستاذ ثم توقف عن التدريس.

وكانت بوا حسيني تعد الروبيات بقية الخمس والسبعين . ثم أعطى بوا حسيني خمس روبيات ثم انصرف الأستاذ ومكث الرجل ، وظللت أنا وهو في الحجرة فقط .

فسألته : متى رأيتني ؟؟ ولماذا تهتم بي ؟؟.

الرجل : منذ شهرين ، عندما كنت فى حفل عيد الربيع .

امراؤ : ثم جئت إلى هنا بعد مضى شهرين .

الرجل : أنا سأذهب للخارج ثم أعود .

وهنا قالت امراؤ في نفسها الآن أصبحت أحترف حرفة البغاء ، ثم اتجهت ناحية الرجل وقالت له : سأتركك وأمضى إلى حال سبيلى

الرجل : لا فلتعودى فى المساء بسرعة .

امراؤ : وأين منزلك ؟؟

الرجل : أسكن فى فرخ أباد ولكننى سأظل هنا لأن عندى عملاً كثيرًا ، وسأمضى لحال سبيلى لعدة أيام ثم أعود .

امراؤ : وهذان الشالان لمن ؟؟

الرجل : ليسا ملكًا لأحد .

امراؤ : لقد فهمت أنهما تذكار لأحد .

الرجل : لا وحياتك عندى، ليس لأحد أعرفه ، ولكن الذى أعرفه أخبرتك به .

امراؤ : إذن أعطيهما لى .

الرجل : لا أستطيع .

وأحزننى هذا الكلام ، فى هذه الفترة أصبحت أمتلك أموالاً كثيرة وحليًا وجواهر كثيرة منها عقدٌ من الزمرد وخواتم ذهبية

وأساور، وكل هذه الأشياء أسعدتنى وكنت أضعها فى الصندوق وأغلق عليها.

ولكننى كنت أتعجب لماذا أعطانى هذه الأموال الكثيرة ، وضنّ على بشالين لا تتجاوز قيمتهما خمسمائة روبية !! والحقيقة أننى لم أكن أرغب فى الشالين ولكن الإصرار من خصالى.

وكان الرجل يسمى فيض على ، وكان يأتى كل ليلة فى الواحدة والنصف، وأحيانا يأتى فى منتصف الليل ، وأحياناً أخرى يأتى ويمشى قبل أن أنهض من نومى ، يأتى ويدق على الباب وأنا كنت أسمعه وعلى الفور ألبى نداءه ، وبعد أن يستيقظ فيض على يغادر المكان ، وهذه كانت عادته التى استمرت شهراً ونصفاً ، كانت خزانتى صغيرة إلا إنها مليئة بالأموال التى أخفيتها عن الهانم وبوا حسينى وهى ما لاً يقل عن اثنتى عشرة ألف روبية ، ولم أكن أحب فيض على ولا أكرهه ، ولماذا أنفر منه فلم يكن دميماً وكانت معاملته طيبة ؟؟!! وحقا أقول ، إنه عندما كان يتأخر كانت عينى على الباب تفتش عنه ، وأقول لك الصدق كان هذا الوضع أيضا بالنسبة لجوهر مرزا ، وكنت أنتظرهما ولأننى كنت متعلقة بهما أكثر من الآخرين فى المجلس وعندما كنت أجلس فى المجلس بدونهما كنت أتسلل وأنسحب من المجلس مبكراً ، وكنت أعتذر للرجل الذى يجالسنى بأى حيلة وأتهرب منه بأى وسيلة.

وكنت أبحث كثيراً عن خورشيد إلا إننى لم أجد لها أثراً ، وفى هذه الفترة غاب فيض على لثلاثة أيام ، ثم جاء فرأيت حبه لى ظاهراً عليه ،

ولكن قلبى من البداية قد تعلق بجوهر مرزا ، وكان لزامًا على أن أتعلق بفيض على أيضًا ، وأن أتظاهر بحبه هذا يعنى أننى أخدع فيض على بإظهار حبى له ، وحتى وقع فى غرامى رغمًا عنه وبدون إرادة منه فكان يعطينى الهبات فى الخفاء ، وأنا لا أخبر بها أحدًا.

وكانت الهانم وبوا حسينى يصدران الأمر لى فى كل شىء ، وكانا يظنان أن طاعتهما فرض علىّ ، ولم يكن لهما أى اهتمام بأموال هذ الرجل الذى جعلنى لا أعد من الأميرات بل من الملكات.

رسوا : لم لا ، وهل يستطيع القلب أن يعدل بين المال ، والقسوة ، والرحمة ؟؟

امراؤ : لماذا هذا المال بدون حساب ؟؟

رسوا : لا لا ، وقد أحضرت لك حلىّ أمى واحدة تلو الأخرى .

امراؤ : ومن أين كنت أعرف ؟؟ ، ومن أخبرنى بذلك ؟؟

وفى المساء كان أحد الصاغة يحضر مع القادمين ، وكان يجالسنى لساعة أو ساعتين ثم ينصرف .

فهو واحد من أربعة رجال كنت ألاطفهم وأمازحهم ، ولو خطر بباله شىء فإن الآخرين يمنعونه من تحقيق هذا الغرض .

ولا تعد مائتا الروبية فى الشهر شيئًا يذكر فى مقابل ما أقوم به وأتلقاه من أوامر ، وفى هذا الوقت بدأت أتحلل من لقاء فيض على

والذهاب إليه ، وإذا ذهبت إليه فى يوم أظل ليومين أو ثلاث لا أذهب إليه ، وأحياناً خمسة عشر يوماً .

ثم ظهرت عليّ علامات الحزن ، وكان بنامل يتحدث معى فى أحاديث عديدة وكنت أجيبه بفتور ، ثم أظل صامتة ، وكنت أسأل نفسى عن السبب .

بنامل : أما سمعت ما أقول ، هل أصبحت صماء ؟؟ هل تريدين الصمت ؟؟

امراؤ : نعم .... لماذا ؟؟ .

الصائغ : لقد خربت بيوتنا ، وحتى أثاث البيت سرقه اللصوص .

امراؤ وهى تعطس : سرقت؟!! كم سرق منك ؟؟ .

بنامل : لقد أخذوا كل شيء ، ومعهم جواهر بمائتى ألف روبية.

وضحكت على هذا الكلام ، لأن والده الصائغ الكبير كان مشهوراً بملايينه ، ومما لا شك فيه أن مائتى ألف روبية مال كثير ، لكنه يعد تافهًا بالنسبة لأموال أبيه إلا إنه بدت عليه علامات الحزن .

الصائغ : فى الوقت الحاضر انتشرت السرقة فى المدينة ، لدرجة أن رئيس المدينة سرق وسرق معه جوهر برشاد ، وقد سمعت أن اللصوص جاءوا من خارج البلدة ، واحتار مدير الأمن مرزا

على رضا بيك واستدعى جميع لصوص المدينة وسألهم ، ولم يجد أحدهم عنده علم ، وقالوا له لا علاقة لنا بهذه العملية.

وفى اليوم التالى جاء الصائغ وجلس فى حجرتى ثم سمعت صياحًا فى فناء الدار، ونظرت من شباك الحجرة لأرى ما يحدث ، فوجدت شجارًا بين الناس .

أحدهم : لم أستطع الإمساك به .

الثانى : عجبًا لما تقول فهذا عمل الضابط .

الثالث : لماذا يا أخى ، هل تعرف شيئًا عن هذا المال ؟؟ .....

الرابع : أعرف كثيرًا لكن يوجد أكثر منه .

الخامس : عليكم بخطف وأسر السيد فيضو .

السادس : هل جاء إلى هنا ؟ أنا رأيتهم بعينى وقد أخذه الجنود معهم بعد أن ربطوه ووضعوا عصابة على عينه لم أر مثلها من قبل.

وهذه الحادثة التى رأيتها اليوم ظهرًا هى أول حادثة ، وفى المساء جاء فيض على كعادته ولم يكن فى الحجرة إلا أنا وهو ، وبعد أن جلس قال لى :

"اليوم سنذهب إلى الخارج وغداً سوف ترحلين معى" .

وسأمضى اليوم إلى حال سبيلى وسأحضر غدا ، فانظرى آى شىء أعطيته لك لا تخبرى به أحدا، ولا حتى الهانم ولا بوا حسينى ،

وسيأتى اليوم الذى تحتاجينه فيه. وسأحضر بعد غد بإذن الله ، وأخبرك أنك ستذهبين معى لعدة أيام .

امراؤ : أنت تعلم أنه لا خيار لى وكل شىء بيد الهانم، وقل لها ما تريد وإذا وافقت فلا مانع لدى فيض على ، حقًّا إن الغدر من طباعكم وخصالكم ، فأنا أفديك بروحى، وأنت تتحدثين معى بطريقة جافة ، حسنًا سأنادى على بوا حسينى ، فنادى على بوا حسينى وحضرت .

فيض على : أشار ناحيتى قائلاً : هل أستطيع أن أخذها معى إلى الخارج لعدة أيام ؟

بوا حسينى : إلى أين ؟؟

فيض على : إلى مدينة فرخ أباد ، أنا لست رجلا عاديا فقد مضى شهران وأنا أذهب وأجىء ، وقد وافقت الهانم وقد قبلت راتب شهرين مقدمًا ، بالإضافة إلى كل ما تطلبه أنا على أتم الاستعداد .

بوا حسينى : أنا لست متأكدة أن الهانم ستوافق .

فيض على : اذهبى واسأليها .

ثم ذهبت بوا حسينى للهانم ، ولم أكن متأكدة أنها ستوافق ، وكنت أظن أن ذهاب بوا حسينى عند الهانم لا طائل من ورائه ومتأكدة أنها لن توافق ، فقلت فى نفسى هذا سلوك فيض على معى ، وليس لدى عذر فى عدم الذهاب معه ، ولو خيرت لاخترت الذهاب معه ، وكنت أفكر أن هذا الشخص الذى سلك معى هذا السلوك فى بيتى ستكون معاملتة

طيبة لو ذهبت معه إلى داره ، وبينما كنت أفكر جاءت بوا حسينى بالقول الفصل قائلة:

"إنها لن تستطيع الذهاب معك إلى الخارج".

فيض على : ولو ضاعفت لك الراتب .

بوا حسينى : نعم ولوضاعفت الراتب ، فإننا لا نذهب إلى الخارج .

فيض على : خيراً ، سأمضى إلى حال سبيلى ، ورأيت عينيه وقد اغرورقتا بالدموع فأشفقت عليه . وتذكرت قصص العشق وغدر العشاق التى كنت أسمعها وأحزن لها ، وتذكرت أننى إذا لم أذهب معه فهذا غدر منى ، فقررت فى نفسى الذهاب معه ، فقلت له : حسناً سأذهب معك .

فيض على : ستمضين معى .

امراؤ: لو وافقت على ذلك أو لا ، كنت حتماً سأذهب معك .

فيض على : لماذا ؟؟!!!

امراؤ : صامتة .

فيض على : حسناً سآتى بعد غد، إذا جن الليل سنمضى من هنا ، ولا تخبرى أحداً لأن هذا ليس فى صالحنا .

امراؤ : قلت لك سأمضى معك وأنا سعيدة ، وسأوفى بوعدى وسترى .

فيض على : حسناً ، سنرى .

وفى هذه الليلة ظل فيض على تقريبًا إلى الساعة الواحدة والنصف ثم نهض من عندى ومشى ، وبعد ذهابه كنت أفكر بإمعان لقد وعدته ، هل أذهب معه أم لا ؟؟ وبينما كنت أفكر فى وفائى للعهد وحب فيض على كان قلبى يحدثنى : أترغبين فى الذهاب معه أم لا ؟

إلا إنه كانت هناك رغبة تمنعنى من الذهاب معه ، والله وحده يعلم هل أذهب معه أم لا ، وبينما كنت مستغرقة فى التفكير أشرق نور الصباح ، ولحسن حظى لم يأت أحد عندى فى المساء ، وظللت فى حجرتى بمفردى غارقة فى التفكير وأخيراً غلبنى النعاس ، وظللت نائمة حتى الساعات الأولى من الصباح.

ثم جاء جوهر مرزا وأيقظنى من النوم وعلمت أننى كنت تحت تأثير نشوة الخمر ولم أكن أعلم شيئًا عن الحديث الذى دار بينه وبين بوا حسينى ، ولكنى أذكر جيداً أنه كان عن الذهاب إلى الخارج ، ثم طلبت منى بوا حسينى أن أذهب معه فشعرت بدوار فى رأسى ، ورفضت ذلك الأمر وقالت لى :

بوا حسينى : الآن تنكرين فلقد احترفت حرفة البغاء .

امراؤ : لن أذهب .

بوا حسينى : كيف لا تذهبين فهذا أمر ، وقد وعدته الهانم وأخذت النقود.

فقلت لبوا حسيني لن أمضى معه وردى إليه ماله .

بوا حسيني : أنت تعرفين جيداً أن الهانم لن ترد المال أبداً .

امراؤ : ولو أن صحتي غير جيدة لا ترد المال ، فإن رفضت أن تعيدها سأعطيه النقود من مالى الخاص.

بوا حسيني : عجباً ، الآن أصبح لك مال ...!!!!إذن أحضرى النقود .

امراؤ : كم عددها ؟

بوا حسيني : مائة روبية .

امراؤ :ستقبضين مائة روبية أم روح من ؟ !!.

وفى هذا اليوم الله يعلم إلى أى مدى تملكتنى الغيظ من بوا حسيني .

بوا حسيني : أعطنى هذه الساعة الكبيرة .

امراؤ : سأعطيها لك مساءً .

بوا حسيني : ستمكثين فى الخارج مع هذا الرجل حتى المساء ، ولماذا تعطينى الساعة مساءً ؟؟ وأين سأجدك ؟؟ .

وكانت بوا حسيني تقول فى نفسها أنّى لها بالمال !!!! .

امراؤ تقول لو أن حيلتى فى هذا الوقت فشلت فسأضطر لكى أرضيها بأى وسيلة أخرى ؛ لأن المال فى صندوقى الصغير لا يتجاوز

الفًا وخمسمائة روبية ، وليس من المناسب أن أفتح الصندوق أمامها فى هذا الوقت .

امراؤ : اغربى عن وجهى الآن لساعة من الزمن ، ثم تعالىْ أعطكِ ما ترغبين .

بوا حسينى : ماذا أفعل خلال الساعة ... وهل ستعطينى ؟

امراؤ : نعم سأعطيك ، انصرفى الآن ، لا تضايقينى لأن مزاجى متعكر بعض الشىء .

بوا حسينى : هل هذا جزائى !!! لا ما تقولين لى هذا الكلام يا بنيتى ماذا حدث لك ؟

امراؤ : عندى حمى وصداع شديد برأسى ودرجة حرارتى مرتفعة.

نظرت بوا حسينى إليها ثم وضعت يدها على جبينها ، ثم قالت لها :

حقا أنت عليلة اليوم ، ورغم ذلك ستذهبين بعد غد ، لا قدر الله إذا ظللت مريضة على هذه الحالة فمن أين ستردين الروبيات؟

امراؤ : فلم أعر حديثها هذا اهتمامًا ، ثم نهضت بوا حسينى مسرعة ومضت إلى حال سبيلها.

وعلمت أنها غضبانة جدًا ، أو حانقة علىّ ، فجال فى خاطرى فى هذا الوقت هذه المقولة :

"إن أمـثـال هـؤلاء الناس لا يتـألمون لمرضنا فـهم لا يـريدون سـوى تـحقيق رغباتهم ، فالبقـاء مـع هـؤلاء لا فائـدة فيـه" .

رسـوا : هل ورد هذا الخاطر على قلبك قبل ذلك ؟

امـراؤ : كلا ولكن لماذا تسألنى؟

رسـوا : وهـذا الخـاطر الذى ورد على قلبك هل كـان سـببـه عطايا فيض على ؟

امـراؤ : هـذا واضـح .

رسوا : نعم الحديث معروف ولكن فيه جانبًا خفيًا .

امـراؤ : بالله عليك أخبـرنى بسرعـة عـن هذا الجانـب الخفـى .

رسـوا : لقد اتفق فيض على معك على الذهاب معه ووعدته وتعاطفت معه بقلبك ، والآن تبحثـين عن مخـرج فلماذا لا تذهبـين معـه ؟

امـراؤ : لا لم يكن الحـديث هكذا ، ظللت يومين فى دهلى وقلت فى نفسى أذهب أو لا ؟؟ .

فى هذا الوقت كان جوهر مرزا مستهترًا ولا قيمة للوقت عنده وبوا حسينى تضغط علىّ بقوة كى أذهب مـعه ، وكانت إرادتى ضـعيفة وعندما جاء فيض على فى المساء ورأيت صورته واستعداده فقررت الذهاب معه .

رسـوا : لا ، لم يكن هذا قصدك أولا ، فاستهتار جوهر مرزا وسوء مـعاملة بوا حسينى معلوم لديك ، وهذه أمور عادية بـالنسبة لك ، وأكثر منها يحدث .

امـراؤ : كانت هذه أمنيتى ، ومن يستطيع أن يمنعنى من تحقيقـها ؟؟ صدقًا أقول لك إنه بلغ إلى مسامعى كلامٌ مراده أن امراؤ لن تذهب معه ، وقال البعض إنها ستذهب ولكنها تحتاج ليومين أو ثلاثة تستعد فيه وتكمل فيه زينتها ، فى هذا الوقت كنت لا أسمح لأحد أن يمسك يدى لهذا رفضت.

رسوا : هذه قوة عزيمة منك ، أن تمتنعى وترفضى أوامر بـوا حسينى ، ألم تعاقبك ؟

امـراؤ : حسنًا ، إننى أفهم أن الأشياء الحسنة هى التى يهتدى الانسان إليها، والأشياء السيئة هى التى يجب أن يبتعد عنها .

رسـوا : لا لا ليس هكذا ، فالبقاء والعيش فى منزل الهانم ليس طيبًا ، ومن أحاديثك عرفت أنك كنت ستظلين تعملين السوء ، مع أنك كنت مرغمة على هذا.

وعلاوة على ذلك فقد أعطيت وعدًا لأحد الأشخاص وصار متعلقًا بك والذهاب معه أفضل لك، والسلوك الحسن لفيض على وترغيبه لك للخروج معه بالإضافة إلى شوقك للتعرف عليه ، وفى هذا الوقت جعلك تظنين أنك ستصبحين ملكة متوجة لها احترامها .

وأصبحت تعرفين هذا الرجل الغنى الذى تظهر عليه النعمة ، ورغد العيش يظهر على وجوه الناس ، وفيض على من شكله وشمائله ومجيئه وذهابه ملك عليك قلبك ولم يكن هناك خطر عليك فى الذهاب معه . ويبدو

أن كلامه المعسول وحبك للمال وضعا غشاوة على عينيك ، ورغم أنك تعرفين أحوال الرجال ومع ذلك لم تسلمى .

امراؤ : أرغب فى الاطلاع وأريد أن أقرا ، فأخبرنى أىّ كتاب أقرأ ؟

وأعلم أننى أعرف منزل الهانم جيداً ففى الناحية الغربية يوجد دكان وبجواره بعض الغرف بعضها فوق بعض ، وهذا مكان الغانيات ففى واحدة منهن تسكن بيبا جان والأخرى حسين باندهى وفى خلف المنزل كان مكتبة حسين على ، عموما فى هذا المكان لا يوجد ما يستحق السرقة ، ولهذا المكان ثلاثة حراس يقومون على حراسته طوال الليل .

وعندما بدأ فيض على يأتى ويذهب ليلاً كان لدىّ حارس خاص يقف على حجرتى ، وكان الباب مغلقًا وعليه قفل وحارس يحرسه ، وكنا إذا جاء فيض على حسب موعده ناديت عليه، وأشرت إليه أن يخرج فى الخفاء فترة من الوقت ، وظل المكان هادئًا لفترة من الوقت ثم تنبه الحارس فناداه فيض على فى غرفتى وأخرج من جيبه روبية وأعطاها له ، وطلب منه أن يشترى له بعض حاجياته من الدكان ، وأعطاه روبية إكراماً له ، وقال له أنا لم أعطك شيئًا اترك الباب فنحن مستيقظون ولا تخف ، فسلم عليه الحارس وخرج.

ثم قال لى فيض على هيا بنا نرحل ، فنهضت وأحضرت ملابسى ، وأحضرت صندوق الحلى ووضعته فى الصرة أيضا ، ثم حملتها

ووضعتها تحت إبطي وأخذت طريقي للباب الكبير، كانت العربة التي يجرها الثور في انتظارنا فركبنا معا ومضينا إلى حال سبيلنا .

وبعد برهة من الوقت وجد فيض على سائس الحصان الذي أحضر لنا بعض الفاكهة فأخذها منه وفي الصباح وصلنا إلى منطقة - موهن لال - وظللنا بها حتى الظهر ثم تناولنا طعامنا .

طعمنا كان العدس لا ملح فيه

ولا توجد به رائحة السمن

ثم قمت بتبديل ملابسي التي جئت بها من لكهنو ، وكنت قد قمت بحياكة اثنين . واستأذن الرجل صاحب العربة الذي أحضرنا من لكهنو إلى بريلي ثم استأجرنا عربة أخرى من سوق لال كنج التي تبعد تسعة أميال عن بريلي، وقد وصلنا مساء ، وذهب فيض على للسوق من أجل شراء بعض الأشياء الضرورية ، وفي نفس المكان الذي نزلنا فيه كانت غانية قروية تسكن فيه أيضًا اسمها نصيبن وملابسها جميلة ورغم أنها قروية إلا إن لهجتها ولغتها كلهجة أهل المدينة وظللت أبادلها الحديث لوقت متأخر .

نصيبن : من أين جئت ؟

امراؤ : من فيض آباد .

نصيبن : من فيض آباد ؟ فإن أختي الحبيبة تسكن هناك ، حضرتك ضروري تعرفينها .

فقالت امراؤ فى سرها : أنا غانية فكيف أعرفها ؟

نصيبن : فى أى حى تسكنين فى فيض آباد ؟ أنا لا أعرف .

امراؤ : كنت أعيش فى لكهنو ، وقضيت بها أكثر أيام حياتى .

نصيبن : يظهر أنك لست من مواليد فيض آباد .

امراؤ : ما تقولينه حق ، فكيف أجيبك ، نعم ولدت هنا ولكن منذ طفولتى وأنا أعيش بعيدا عنها.

نصيبن : إذن أنت لا تعرفين أحداً فى فيض آباد ؟ .

امراؤ : لا أعرف أحداً .

نصيبن : لماذا جئت إلى هنا ؟ .

امراؤ : جئت معه :

نصيبن : وأين ستذهبين ؟

امراؤ : سأذهب إلى منطقة آناؤ .

نصيبن : هل أنت قادمة من لكهنو؟

امراؤ : نعم .

نصيبن: تركت هذا المكان الجميل وجئت إلى هنا حيث مريت كنج ثم تمضين إلى آناؤ .

امراؤ : كان عندى عمل فى رائى بريلى .

نصيبن : أقول لك إن الطريق هنا ليس آمنا ، واللصوص **يغلقونه** أمام المسافرين دائما ويقومون بنهب المئات منهم ، خصوصاً فى **منطقة** بيهر – التابعة لمنطقة بلة – وهى نفس المنطقة . التى تؤدى إلى **أناؤ** – وأنتم ثلاثة رجلان وامرأة ،... وليس معكم شيء تملكونه سوى **الكلام** ، أقول لكم الحقيقة إنكم ستتعرضون للسلب والنهب.

امراؤ : سنسير على المقادير .

نصيبن : أنت مؤمنة . وقلبك كبير، وهذه الحلقة التى ترتدينها **كناية** عن الإيمان.

ثم أخذنا نتبادل أطراف الحديث ولا نتكلم فى شيء مهم لدرجة **أننى** لا أتذكر شيئًا منه الآن . وهنا سألتها : من أين جئت ؟

نصيبن : نحن نخرج للتسول .

امراؤ : أنا لا أفهم .

نصيبن : ألا تعرفين التسول ؟!! كيف تكونين قروية ولا تعرفين التسول ؟!!

امراؤ : يا أختى ، ماذا أعرف عن التسول ، وماذا أقول؟..

نصيبن : مهنة التسول بها نستنزف أعداءنا ، حقا أقول إن الشحاذة أمر يتعلق بالنفس ، فهل تقبل أم ترفض ؟؟!!

امراؤ : هذه حقيقة وليس معلوماً لدى أن التسول كما تقولين .

نصيبن : فى السنة يوم عيد يخرج فيه الناس جميعًا من القرى ، غنيهم وفقيرهم ، حاكمهم ومحكومهم ، يذهبون جميعًا إلى مكان واحد ونحن نذهب أيضًا هناك لنأخذ ما يمن به الواحد علينا ، فهذا يعطينا وذاك لا .

امراؤ : حسنًا تسمين هذا شحاذة ؟ هل هذا هو التسول ؟...

نصيبن : نعم ... فهمت الآن .

امراؤ : الآن جئت من عند أىّ من الأمراء ؟

نصيبن : جئت من عند الراجا "شيودهيان سنكه،" ، الذى وصله أمر من الملك بأن يقطع الطريق على هؤلاء اللصوص ويقضى عليهم ، وظللت أنتظر هنا لعدة أيام ، ثم قررت الذهاب إلى القرية التى تبعد عن هذا المكان ميلين اسمها - سمريها - وهى قرية الشحاذين . وخالتى تسكن هناك وسأذهب إليها غدًا .

امراؤ : ثم أين تذهبين بعد ذلك ؟

نصيبن : سأنتظر هناك ، حتى يصل الحاكم ثم أذهب إليه فيقصره ، علينا أن ننتظره طويلاً.

امراؤ : هل هذا الحاكم يحب الرقص والغناء ؟

نصيبن : كثيراً .

امـراؤ : الآن مـاذا حـدث ؟

نصـيبن : عندمـا تحضـر إحـدى الغـانيات مـن لكهنـو لا ينظر لنا باحترام؟ .

امـراؤ : ما اسـم هـذه الغانـية ؟

نصـيبن : أنا لا أتذكـر اسمـهـا الآن ، ولكننى أتذكـر شكلهـا جيـداً ، فوجهها جميل وهـى رقيقة كرقـة الغـزال ، بل هـى أجمل .

امـراؤ : وهل أغانيها جميلة ؟؟ وهل تجيد الغناء ؟

نصـيبن : لا .. لا تعرف فـن الغناء ، وفـى الرقص تعرف إلى حد مـا، ومع ذلك فالحاكم يهواها

امـراؤ : منـذ متـى حضرت هـذه الغانـية ؟

نصـيبن : منـذ سـتـة أشـهر .

وفـى المســاء أخبـرت فـيض علـى عـن المتـاعب التـى سـتـواجـهـنـا فى الطريق .

فيـض على : لا عليـك فقـد عقـدنا العـزم .

وفى اليـوم الثـانى تحت جنح الظـلام غـادرنا لال كنج ، وكـانـت عـربة نصيـبن وراءنا وكان فيض على راكبًا حصـانه وكنـا نتبادل أطـراف الحـديث مع نصـيبن ، وبعد فـتـرة من الزمن، لاحت لنـا أبنيـة من بعـيـد فـصـاحت نصيبن إنها القرية ، إنها القرية .

وكنا نسير فى طريق زراعى والحقول على حافة الطريق ، وفى بعض الأماكن كان الطريق مليئا بالوحل - وبعض الحقول جرداء وهناك رجل قروى يسير ومعه زوجته التى تساعده فى حرث الأرض بالثور ، وكان هناك أيضًا بعض القرويين هؤلاء جميعا فقراء ، قلت عجبًا حتى حرفة الزراعة يوجد بها فقراء ؟! فإن هؤلاء الرجال يتعبون كثيرًا فى زراعة الأرض، وفى النهاية يمدون أيديهم ويتسولون ، فهل ضرورىٌ أن يقوموا بمثل هذا العمل ؟!! .

إلا إن ظاهرهم يبدو منه أنهم يقومون بعمل جيد، وجاء بعض أهالى لكهنو رجالاً ونساء والبعض الآخر من مدينة كهوسنى - وجميعهم سماتهم واحدة - سواء أهل مدينة لكهنو أو كهوسنى .

واستأذنت نصيبن عندما وصلنا إلى- كهوسنى - وبعد سفرنا بميلين قابلنا منحدر فى مكان يسمى بيهر، وبهذا المكان يوجد غار كبير ، وفى الناحية الأخرى شاطىء بحيرة ندى .

وعندما وصلنا إلى هذا المكان كانت الشمس مشرقة ، وقد بدأت ترتفع فى كبد السماء وانتشر ضوء النهار ولا يسير فى هذا الطريق أحد سوانا والهدوء يعم أرجاء المكان من جميع الجهات ، وعندما وصلنا إلى شاطى بحيرة ندى أخذ فيض على حصانه وسبق إلى الأمام وحاولت منعه إلا إنه لم يرض ، ثم ذهب بعيداً وبعد فترة غاب عن ناظرى.

وعرفت أنه عبر شاطئ بحيرة ندى. فأخذت عربتى وسرت مثله ، وكانت العربة تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال فى طريق منحدر

والسايس يسير خلف الحصان ، وأصبحت وحيدة والسائس مضى خلف حصانه ، وبعد برهة من الزمن رأيت ما يقرب من خمسة عشر فلاحًا قرويًا يأتون ناحية العربة فاستبشرت خيرا ، وقلت فى نفسى اللهم اجعله خيرًا.

وفى لحظات أحاط الفلاحون بالعربة ، وكان الجميع يحملون سيوفًا وبنادق على أكتافهم وصاح أحد الفلاحين للسائس : أوقف العربة ؟؟ من بداخلها ؟

السائس : معى راكب من بريلى سيذهب إلى آناؤ .

الفلاح : أوقف العربة .

السائس : لماذا توقف العربة فإن بها زوجة الخان ؟؟!!

الفلاح : ألا يوجد معها رجل ؟

السائس : سبقنا وسيعود .

الفلاح : أنزل السيدة من العربة .

أزاح أحدهم ستارة العربة ونظر ، قائلاً: هذه شحاذة ، فلماذا تضع حجابا عليها ؟!!

ثم تقدم أحد الفلاحين وقلب أستار العربة وقال: انزلى ، وأحاط بى ثلاثة من الرجال .

وبعد فترة من الزمن جاء صهيل حصان من ناحية شاطئ البحيرة ، وكذلك ارتفع الغبار فى الجو ولما اقترب الحصان ، نظرت فإذا به فيض على ومعه خمسة عشر راكبًا.

ولما رأى الفلاحون هذا أخذ كل منهم بندقيته واستل سيفه ونام أثنان على الأرض حتى وصل الركب ، ثم بدأ القتال ، فجرح ثلاثة من الفلاحين وسقط أحد الفرسان .

ثم صاح أحد الفلاحين قائلاً : اهربوا ، اهربوا ناحية البحيرة .

وبعد هروب هؤلاء الفلاحين جلست فى العربة ومعى أحد الجرحى ولم تكن معى أربطة لتضميد جراحه ، وأصبح هذا الجريح رفيقى فى العربة ثم ارتحلنا وغادرنا المكان ، فكان عن يمينى فارسان والبعض فى الأمام والخلف.

ثم قال أحد رفاق فيض على له : كيف لا نخرج من لكهنو فقد نجونا من هنا بأعجوبة .

فضل على : لا تقل هذا فقد كنا نعيش بها فى رغد من العيش .

فيض على : نعم هذا قولك أنت .

فضل على : ماذا تقول ؟ هديتك معى أريد أن تراها زوجتك ....

فيض على : هل أحضرت لها حجابا ؟؟!!!

فضل على : سترى بعد قليل ما يحقق مرادك

وفى تلك الأثناء وصلت العربة إلى شاطئ بحيرة ندى الواسع ، ثم نزلت من العربة ومشيت على قدمى والمشكلة الكبرى كيف ستصل

العربة إلى الشاطئ الآخر وبها الجريح !!! الذى كان جرحه غائراً وملأت دماؤه العربة كلها ضمدت جراح الجريح وغسلنا العربة على شاطئ ندى .

ثم ركبنا وكان وقت الظهر قد اقترب وكنت أشعر بجوع شديد ، ومضينا إلى حال سبيلنا ولم نشاهد أحداً من الناس ، وعندما ابتعدنا عن شاطئ ندى بحوالى أربعة أميال وجدنا قرية بها استراحة للمسافرين وبها خيام كبيرة ، فنزلنا بها وربطنا خيلنا ، وكان الناس يتجولون هنا وهناك ، بعضهم يعد الطعام والبعض الآخر يقف عند العربة ، ورأيت واحداً من الذين كانوا معنا يقترب من فيض على ويسر فى أذنه حديثاً .

بدت آثار ذلك الحديث على وجه فيض على الذى ذهب عند الخيل صامتا ثم قال : حسناً ، هيا بنا نتناول الطعام .

فضل على : ليست هناك فرصة لتناول الطعام ، فلنمض من هنا .

فيض على : حسناً ، إن هذا المكان به استراحة لنا وللخيل وسنتناول طعاماً ، ثم نزلت من العربة وفرشت البساط تحت شجرة المانجو ، ثم وضعت عليه الطعام الذى أحضره الخدم وكذلك الخبز ، فتناولت الطعام أنا وفيض على وفضل على وثلاثة من الرجال ولكن أثناء تناول الطعام كان يبدو على وجوههم آثار القلق ورغم ذلك كانوا يمزحون .

وبعد أن تناولنا الطعام أخذنا أمتعتنا ومضت القافلة إلى حال سبيلها ، ومشينا لثلاثة أميال فرأينا حلقة كبيرة من الركبان والمشاة وقد استعدوا لنا جيداً وبدأ إطلاق الرصاص من كلا الطرفين وكنت أدعو الله وأنا أشعر بالخوف لدرجة ظننت معها أن روحى قد بلغت الحلقوم ، ورغم ذلك كنت أفتح أستار العربة لأرى ماذا يحدث.

وفى النهاية وجدت عدداً كبيراً من الجرحى من الطرفين قريباً من ستين رجلاً، بينهم عدد كبير من رجال الحاكم راجا شيودهيان سنكه ، وكان لكل رجل من أتباعنا يقابله عشرة من أتباع الحاكم.

وقد نجا فضل على وفيض على من هذه المعركة وقد أسروا ما يقرب من اثنى عشر رجلاً وكنت بين الأسرى ، وبعد أن توسل سائق العربة لهؤلاء الرجال حصلت على حريتى ، وكان فى الميدان عدد كبير من الجرحى والقتلى .

وبعد أن نجوت ذهبت إلى مدينة – رائى بريلى – وذهب الرجال إلى ناحية – مدينة كرهى – وهى تبعد عن هذا المكان خمسة أميال ، وبعد فترة تقابلنا مع الحاكم ومعه عدد كبير من الرجال وكان يمتطى ظهر جواده ، ثم ذهبنا أمامه وأشار ناحيتى متسائلاً :

الحاكم : هل السيدة من لكهنو؟

وبعد أن أديت له التحية قلت : نعم يا صاحب الجلالة ، إنى مقصرة ، ولكن لو أمعنت جيداً فلن تجد أى تقصير منى، فأنا امرأة ، ولست من النوع المخادع من النساء .

الراجا : لا تحاولى أن تبرئى نفسك الآن ، فالتقصير ثابت عليك وأى سؤال أوجهه إليك فعليك الإجابة عليه .

امراؤ : طوع أمرك يا سيدى .

الراجا : من أى مكان فى لكهنو؟

امراؤ : من تكسال .

الراجا : من مكان الهانم ؟

امراؤ : نعم من هناك يا سيدى .

الراجا : - بعد أن أشار إلى رجاله - انظروا ، هذه من غانيات لكهنو ليست من اللاتى عندنا وفى الليل سترقص وستمتعنا برقصها لعشرة أميال .

امراؤ : طوع أمرك يا سيدى .

ثم حضر الرجل وأحضر العربة وجلست فيها واجتمع الناس من حولى كالمشكاة ، ولما وصلت إلى كرهى ، لم يكن هؤلاء الناس على دراية ماذا يفعلون من أجلى، فناديت الحاجب وأخبرته أننى أحتاج إلى مكان لأعيش فيه وأن يجعل فى خدمتى رجلين لإعداد الطعام والحلوى ، ومنذ أن تركت لكهنو لم أتنزه ولم أشبع من الطعام مثل هذا اليوم .

وفى الصباح علمت أن الأسرى سيرسلونهم إلى لكهنو، بينما أصدر الراجا حكماً بالعفو عنى، وحتى الأن لم يسمح لى الراجا بالرحيل وبعد أن انتصف النهار أرسل الراجا لاستدعائى.

الراجا : حسناً ، لقد عفونا عنك ، أما فيض على وفضل على فهما من الأشقياء وسنرسل من أسرناهم إلى لكهنو لينالوا عقابهم ، ومما لا شك فيه أنه لا ذنب لك. وعليك فى المستقبل عدم مصاحبة أمثال هؤلاء ، وإذا رغبت فى البقاء معنا لعدة أيام فعلى الرحب والسعة ، فلقد سمعت عن جمال غنائك كثيراً ، وهنا تذكرت كلام نصيبن أن عند الراجا غانية من لكهنو ، ولست أدرى ربما هى التى تكون مدحتنى عنده.

امراق: لست أدرى من أين سمع الراجا عنى ؟!!

الراجا : حسناً ، ستعرفين الآن .

وبعد فترة وجيزة طلب إحدى الغانيات من لكهنو ، ترى من تكون هذه الغانية ؟؟ إنها خورشيد جان !!! التى أسرعت ناحيتى وعانقتنى وأخذت تبكى.

وفى النهاية خوفاً من بطش الراجا جلست كل واحدة منا على حدة فى أدب جم حتى يتم استدعاؤها ، وبعد أن تلقيت نبأ العفو عنى تذكرت أبيات الغزل هذه التى تحكى عن حالى وهى كثيرة ، ولكنى أسمعتهم شعرا طار بلب الراجا والحاضرين .

لقد وقعت فى أسر الصياد وأحببت هذا القيد .

وكنت سعيدة سعادة الطير بحريته .

فلو تركتنى فلن أتركك أبداً .

ولو أن أحدنا أوقع ظلماً على الأخر .

واحسرتاه لقد وقعت أسيرة للصياد .

اليوم تخلصت من أحزان قلبى .

لذا لا أهتم بمخاطر الصيد وغضب الصياد .

سيظل ذلك باعثاً على البكاء والعويل .

ليس صحيحاً أن الحزن نوع واحد ولكنه آلاف الأنواع .

متى أتحرر من قيودى ؟

لماذا لا نتعاطف مع الأسرى الجدد .

متى أصبح حرة دون تضحية .

يا من تسمع ندائى هل عرفت أننى تخلصت من أسر الحب ؟

متى أحطم قيد الصياد وأحصل على حريتى ؟

وبعد أن استمع الراجا لمقطع الشعر سأل : لفظ -أ د ا- تخلص مَن مِن الشعراء ؟

فقالت خورشيد أنه تخلصه هو ، فسر الملك منها .

الراجا : عندك سعة اطلاع ولهذا لن نتركك ترحلين.

امراؤ : سعة اطلاعى تعلمتها من فن الغزل ، فواأسفاه إنك أصدرت أمراً أصبحت به الغانية حرة.

وبعـد انتـهـاء هذه الجلسـة ذهب الراجـا لتناول الطعـام ، وظللت أتحدث مع خورشيد .

خورشـيـد : انظرى يا أختى ، ليس لدّى أى ذنب والهانم والراجا قد ألقيا على الزجر والتوبيخ ، فقد أرسل الراجا عدة مرات يستدعينى وكنت أتـهرب منه ، وأخـيراً كـانت لـى علاقـة فى -عـيش بـا غ - مع رجل هناك وكان يعاملنى معاملة حسنة وكانت سبل الراحة متوفرة لى .

امـراؤ : هـل تعلـق قلبـك بأهـالى هـذا المكـان ؟

خورشيـد : هذا كلام صحيح وأنت تعرفيننى جيداً ، فكل يوم أذهب عند رجل جديد وهـذا يخالف طبيعتى ، والهـانم تعرف هـذا عنى، أما هنا فالمتصرف فى الأمر هو الراجا وبقية الشعب يتبع أمره ، ولهذا اتخذت هذا المكان وطنًا ثانيًا لى ، وأعرف كل شىء هنا جيداً.

امـراؤ : ألا ترغبيـن فى الذهـاب إلى لكهنـو؟

خـورشـيـد : سـامحينى هذا مكان جميل ، وأطلب منك أن تعيشى معى فيه .

امـراؤ : لا لن أعيـش هنـا ، إلا إذا أجبـرت على ذلك .

خورشيـد : سـتذهبين إلى لكهنـو؟

امـراؤ : لا ....لا

خورشيـد : إلـى أيـن إذن ؟

امـراؤ : الله يعلـم .....إلى أيـن سـأذهب ؟

خورشيـد : إذن .... امكثـى معنـا لعـدة أيـام .

امـراؤ : نعـم إذا كـان هـكـذا .....لا بـأس .

وأقمت بمنطقة – كرهـى – عشـرين يومًا كنت خـلالهـا أتقابل يوميًا مع خـورشـيد وتـعلق قلبى بهـا ، وكنت قلـقة ، وفى النهـاية عرضـت طلبى على الراجا.

امـراؤ : سيـدى ، لقـد أصـدرت حكمًـا بالعفـو عـنى .

الراجـا : نعـم ، فهـل ترغبـين فى الرحيـل ؟

امـراؤ : نـعـم ، فـمـن فـضـلـك إئذن لى بـالرحـيـل الآن وسـأحـضـر فيما بعد .

الراجـا : حسنـًا ، أيتها اللكهنوية الفقيـرة إلى أيـن سـتذهبين ؟

امـراؤ : إلـى كـانبـور .

الراجـا : ألا تذهبيـن إلـى لكهـنو؟

امـراؤ : بـأى وجــه ســأذهب إلى لكهنو ، إننى خـجلى من الهـانم وسيضحك علىّ رفاقى والآن ليست لى رغبـة فى الذهـاب إلى لكهـنو.

ثانيـًا ، لو أمـرتنى بالذهاب إلى لكهنو فـربما لا يطلق سـراحى ، وربما أقع فى الأسر والأحوال هناك تعرفـها خورشـيد جيدًا ، فربما دبرت لى الهـانم أى مصيبة وسر الراجا منها فاحترم رغبتها .

الراجا : ألا تذهبين مطلقاً إلى لكهنو؟

امراؤ : من يجالسنى فى لكهنو ؟ فإننى أحترف الغناء وسأعيش فى المكان الذى أجد فيه نفسى، ولا أريد أن أعيش فى أسر الهانم مرة أخرى، ولو كنت أرغب فى العيش هناك فلماذا رحلت ؟!! ثم أخبرت الراجا بأننى لن أذهب إلى لكهنو مطلقًا.

وفى اليوم الثانى أذن لى الراجا فى الرحيل ، وأنعم على بعشرة جنيهات وبعض الملابس الغالية ، ومنديل وشال وعربة يجرها ثلاثة ثيران ، وجعل منى امرأة ذات شأن ، وأخذت العربة ومعها رجلان للحراسة وذهبت إلى هناك ثم انتظرت فى مكان – سلاروبهتيار – فاستأذن رجال الراجا وانصرفوا وتركوا لى العربة.

وفى المساء كنت أجلس أمام الاستراحة وأرى المسافرين ويروحون هنا وهناك ، وكان هناك من ينادى على المسافرين ، أيها المسافرون ، المكان هنا نظيف ومريح والطعام والشراب جيد وكذلك النارجيلة ، ويوجد مكان لراحة خيولكم تحت ظلال أشجار النيم.

وفى تلك الأثناء رأيت – سائس فيض على – قادمًا من بعيد ، ولما وقع نظره علىَّ أسرع ناحيتى وأخذ يسألنى عن حالى وعن حال فيض على ، ثم قال لى إن فيض على عرف خبر مجيئك لاآناو – إنه ينتظرك الليلة فى الواحدة والنصف ومن الضرورى مقابلته.

وبعد أن سمعت حديثه خفق قلبى وشعرت بالاضطراب ، وذلك لأنه لا يمكننى البقاء مع فيض على ، خصوصًا بعد الحادثة التى حدثت لنا

فى كهير – بعدما أصبحت حرة وتخلصت منه ولم نتقابل فى آناؤ . فقلت فى نفسى حلّت على الآن مصيبة وسأنظر ماذا يحدث ؟ خصوصاً بعد أن علمت أن فيض على لن يتركنى.

وعندما اقترب الموعد ذهبت إليه فى الساعة الواحدة والنصف فوجدته منتظراً ، وتبادلنا أطراف الحديث وأشار على بترك آناؤ ، وظللنا نتحدث حتى وقت متأخر ، وفى النهاية طلب سائق العربة الإذن بعد طول الانتظار ، فسمح له ، ثم قال لى :

فيض على : سأتصرف فى حصان يوصلك إلى المكان الذى تريدينه ، وسيتركك عند فندق سلاروبهتيار– فماذا تفعلين لو تركك فى هذا الوقت من الليل على شاطئ نهر جنجا ؟؟

وأصبح فيض على أمام الأمر الواقع ، فنادى على السائس وأخذه بعيداً عن شاطئ النهر وطلب منه أن يأخذنى معه خارج منطقة - سلارو- على حصانه ، فمشينا لستة أميال وكنت أشعر بالخوف الشديد حتى وصلنا إلى شاطئ نهر جنجا ، فبحثنا عن سفينة تحملنا عبر النهر ، فوجدنا واحدة بصعوبة ثم ركبنا فيها.

وقال لى فيض على لا داعى للخوف الآن ، عندما يصبح الصباح سنصل إلى – كانبور – فرفض فيض على أن أقيم فى سلارؤ – وأخذ بنفسه يبحث لى عن مكان ، وبعد فترة من الزمن عاد قائلا: ليس من المناسب الانتظار هنا ، فقد استاجرنا مكانا هيا بنا إليه ، واستأجر لى

عربة تحملنى، وبعد برهة من الزمن وصلنا إلى مكان جميل فخم عالى الشأن له بوابة كبيرة.

فيض على : انزلى هنا ، واذهبى فى الداخل وانظرى .

فرأيت صالونًا وحجرة كبيرة بها سريران كبيران كما توجد حصيرة على الأرض عليها نارجيلة عجيبة اشمأززت منها وشعرت بالوحشة فى هذا المكان ، وبعد فترة وجيزة قال فيض على : حسنًا ، سأذهب إلى السوق لإحضار بعض الطعام.

امراؤ : حسنًا ، ومن فضلك عد بسرعة .

ذهب فيض على إلى السوق وظللت أنتظره حتى الظهر لكنه لم يأت اليوم كله وكذلك اليوم التالى

وعندما حل المساء تناولت طعامًا كنت قد أحضرته معى من آناؤ كى أتناوله على ظهر الحصان ، (وبعد أن تناولت الطعام وشربت الماء.....) لم تبقى سوى كسرة الخبز التى أكلتها فقضت على جوعى. ثم غربت الشمس وساد الظلام ، وفى وقت السحر ناجيت ربى يا إلهى ماذا أفعل ؟؟ .

وجلست متيقظة فى هذا المكان أبحث عن رفيق ولكن هيهات فلم يكن هناك سواى أنا وربى ثم خرج أحد الأشخاص من الاستراحة وأخذ يتجول أمامى، ثم سمعت صوت من يوبخه على وقع أقدامه ، ولم يكن بالمكان أى نوع من الجمال ، ومن النهار حتى الليل لم يقع أى شىء

يؤنس وحدتى سوى ضوء القمر ، حتى هذا الضوء اختفى وحل الظلام ، وأخيراً تلفحت بشالى بعد أن شعرت بالبرد، ومضى الليل علىَّ ثقيلاً كأنه يريد ألا ينقضى وفى النهاية لاح ضوء الصباح.

وفى صباح اليوم الثانى رأيت عجباً هذا المكان يشبه لكهنو تماماً ، فقلت فى نفسى يا إلهى أى مصيبة وقعت فيها ؟! هل أعيش فى لكهنو ؟ وتذكرت حجرتى ومعيشتى فى لكهنو ثم سمعت صوت رجل ينادى على الطعام والشراب والتمبول والنارجيلة ، فقلت كل هذا موجود هنا ، وفيض على خرج منذ صباح أمس ولم يعد حتى هذا الوقت .

وبينما أنا على هذه الحال كنت أتمنى لو أن سيدة طيبة تسكن بجوارى ؛ لأتبادل معها أطراف الحديث لأن الوضع الذى أنا فيه يقتلنى ، حتى الهواء غير متجدد.

نعم لقد جالست مئات الرجال وأعرف جميع حارات لكهنو ، إلا إنه فى كانبور لا أعرف شيئًا وقد رأيت هنا السوق ، ورأيت ما يسرى عنى إلا إننى أجلس وحيدة فى مكان متسع كهذا .

وكنت أفتح سلسلة الباب فى الخفاء وأقف فى الحارة وأتمشى بعيداً عن المنزل عشرين قدمًا ، لعلى أجد إنسانا يشفق على حالى ، فيمتطى جواده ويبحث عن فيض على فى هذا المكان وهذا أردته ثم جلست ترتعد فرائصى ولم أبعد عن هذا المكان مائة قدم.

عموماً لم يقع نظر أحد من الناس عليَّ رغم مرورهم بجانبى ، وكنت وحيدة فى الحارة التى كان بها مسجد. وبعد فترة من الزمن وجدت رجلاً نحيفاً فى الحارة ، فقلت فى نفسى إن بيت الله هو أفضل البيوت جميعاً ، فعليَّ أن أذهب إليه وأنتظر هناك.

وبعد فترة من الزمن ، وجدت باب المسجد مفتوحاً ، ودخلت فقابلت شيخاً أسود اللون ضخم الرأس ، يرتدى قميصاً وإزاراً ، يجلس تحت أشعة الشمس ، ربما فهم أننى أحضرت له طعاماً ففرح وعندما وصلت إلى فناء المسجد خلعت حذائى وجلست فاقترب منى وسألنى الشيخ : يا سيدتى ماذا تريدين ؟؟ ألك حاجة هنا ؟؟ .

امراؤ : إننى عابرة سبيل وهذا بيت الله وسأجلس فيه لبعض الوقت ، ولو كنت تمانع فسأمضى إلى حال سبيلى ، فلم يعبأ الشيخ بى ، إلا إننى رأيت وقع نظراتى عليه والتى كانت على قلبه كوقع السحر ، فتحسنت إجابته وأخذته دهشة ، وأخذ ينظر هنا وهناك ففهمت أنه سيأتينى بالطعام ، وبعد فترة أخذ يتكلم معى بحذر شديد.

الشيخ : حسناً ... من أين أتيت ؟

امراؤ : المهم أننى أتيت بالفعل ، وأرغب فى الانتظار هنا .

الشيخ : (بعد أن بدت علامات القلق عليه) – فى المسجد ؟؟ .

امراؤ : لم لا ؟ بل فى حجرتك أنت .

الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله .

امراؤ : نعم يا فضيلة الشيخ ، لا أريد أن أرى أحداً سواك .

الشيخ : إننى أسكن فى المسجد بمفردى ، ولهذا سألتك ماذا تفعلين فى المسجد ؟

امراؤ : ما هذا ؟! أهو خاص لك تعيش أنت فيه ولا يعيش معك آخر ؟ إننى لا عمل لى فى هذا المسجد ، ولكن أذكرك جيداً ما هو عملك أنت ؟

الشيخ : أنا أعلم الأولاد .

امراؤ : وأنا سأعلمك .

الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله .

امراؤ : لماذا تقول كل مرة لا حول ولا قوة إلا بالله ، هل يوجد شيطان خلفك ؟!! .

الشيخ : الشيطان عدو للإنسان وعلينا أن نخافه طوال الوقت .

امراؤ : الخوف يكون من الله ، وليس من الشيطان ، وهل هذا من الرجولة ؟؟!!! .

الشيخ : (وبعد أن بدأ يحتد فى كلامه) ومن يكون رجلاً . إذا لم أكن أنا هو ؟!

امراؤ : أعلم أنك تعيش فى هذا المسجد بمفردك ، ألا يخاف قلبك ؟؟

الشيخ : ماذا أفعل ؟ فقد اعتدت على الوحدة .

امراؤ : إن آثار الوحدة بادية على وجهك ، ألم تسمع بأن الوحدة نصف الجنون .

الشيخ : نعم ، هذا صحيح إلى حد ما ، وهذا حالى وهو يسعدنى ، وماذا تريدين ؟

امراؤ : أريد أن أرى الكتاب وهذا سيحل هذا الجدال .

الشيخ : بكل سرور .

امراؤ : ولم لا وعلى الرحب والسعة .

ولقد لقنت الشيخ درسًا جيدًا إلا إننى كنت أشعر أن الكلام لا يخرج من فمى بسبب الجوع فى هذا الوقت.

رسوا : هل ضرورى أن تمزحى مع الشيخ إلى هذا الحد ؟

امراؤ : لا تسألنى عن حاله ، فهناك بعض الرجال الذين إذا وقع نظرك عليهم تضحك.

رسوا : نعم يوجد بعض من أمثال هؤلاء الناس فى السوق والقلب لا يريد أن يقترب منهم .

امراؤ : يكفى هذا ، لقد فهمت .

رسوا : فأى كلام تقولينه للشيخ ولو مزاحا كان يسعد قلبه .

امراؤ : مـاذا   أقـول ؟ لا أستطيع أن أوضح لك فـقـد كـان الشـيخ شابًا مقبول الشكل أسود اللون تظهر على وجهه علامات الجد ، شعره طويل وله لحية كثيفة شعرها يشبه الدبابيس حليق الشارب يرتدى إزاراً ويضـع طاقيـة كبيـرة على رأسـه.

وكان يتكلم بطريقة عجيبة ، عندما يفتح فمه بالكلام يقول كلامًا مسرعًا ثم يغلقـه بنفس الطريقـة وتجد شـفتـه العليا تصـعـد إلى أعلى بطريقـة عجيبـة وتتـحـرك مـعـه شـعيرات لحـيتـه بطريقة عـجيبـة أيضًا. ويحرك أنفه بطريقة أعجب وعرفت طريقته فى الحديث وكنت أتحدث مـعه بنفس الطريقة .

رسـوا : هـل حقيقـى كنـت تحدثيـنه ؟!!

امـراؤ : لم لا ؟؟

رسوا : إنـهـا صـورة بعـض الحمقى التى لو يراها الأغبياء لخافوا من أصـحـابها ، ولو رآها العقلاء يضـحكون عليهم ، وعندى شـوق شـديد لرؤية أصحاب هذه الصورة.

امـراؤ : اسمع هناك وصف آخر عندما كنت أحدثه فقد كان يتطاير الرذاذ من فمه أثناء حديثه.

رسـوا : هـذا عـين العقـل ، فعند حديثه كان يتطاير رذاذ فمه عليك .

امـراؤ : أقـول لك شيئًـا آخـر .

رسوا : سامحينى الآن ، لقد أقبل الصباح .

امراؤ : الغرض أننى أخرجت من جيبى روبية واحدة ، ففهم الشيخ أننى أخرجت نذراً فالتقطها بسرعة من يدى وقال لى . لم يكن هناك ضرورة لذلك ؟

امراؤ : إنها ضرورية جداً لأننى أشعر بالجوع ، فهل ستقدم لى طعاماً.

الشيخ : أخذ يتمتم ففهمت تمتمته وقلت فى نفسى هل من الممكن أن يصبح التراب حجرا فماذا أقول ؟.. ألا يمكن أن أتناول طعامى، سأتناول طعامى بالقوة أو بغيرها بنفسى أو بمساعدة غيرى .

الشيخ : هذا لا يمكن فعله ، سيحضر أحد تلامذتى طعاماً يمكنك تناوله .

امراؤ : هذا لا يمكن ، لأنك بالفعل لم توفق وعند الضرورة يجوز أكل لحم الميتة ، ولهذا اذهب إلى السوق وأحضر لنا أى شىء .

الشيخ : اصبرى قليلاً ، وسيأتى الطعام الآن .

امراؤ : لو صبرت الآن فإنك تكلفنى ما لا أطيق .

والأمر الثانى الصوم لا يكون إلا فى رمضان ، وإننى سمعت أن الناس يتجولون فى شهر رمضان فى كل العالم ، وأنت تظل معتكفاً فى هذا المسجد أحد عشر شهراً.

الشـيـخ : فى هذا الوقت ليست لى رغبـة فى شىء ، وسيـحضـر تلميذى بالطعام .

امـراؤ : ولو سلمنا أنه أحضـر الطعـام على الفـور ، فـإنه لا يكفى بسبب مشاركتك لى فيه، وهذا لأنك كفلتنى ، أمـا الآن فالانتظار أشد من الموت ، كمن ينتظر قدوم الترياق من العراق .

الشيـخ : حسـنًا إنـك مثقـفـة .

امـراؤ : لكن أنـا لا أرقـى لمستـوى علمـك .

الشيـخ : حقًا ، ولكـن ....

امـراؤ : فقاطعته قائلة : الأفضل لى أن أقرأ آيتين من القرآن - قل هو الله أحد - وأنـت تخـوض فى أحاديـث لا طائـل منهـا .

الشيـخ : حسـنًا ، سـأحضـر لك الطعـام .

امـراؤ : لله درك ؟! أسـرع من فضلك .

امـراؤ : ذهب الشـيخ وهو يذكـر الله ، وحضـر بعـد سـاعـة ونصف تقريبًا ووضـع أمـامى طبقًا من الفخـار به شوربة وأربعة أرغفة من الخبز الجاف واحتـرقـت شوقًـا لرؤيـة الشيخ على هـذه الحالة ، ففـهم الشـيخ فى نفسه شيئًا آخـر.

فـأخـرج على الفور أربع عـشرة بيسـة ونصـفًا وفتح المنديل ووضـع النقود وقال :

اسمعى يا سيدتى : أربع بيسات للخبز وبيسة للإدام والذى تبقى من الروبية هو الذى وضعته أمامك فعدى الباقى ثم تناولى طعامك . ولكن بسبب الجوع الشديد رفعت الغطاء من على الطعام وبسرعة بدأت آكل وبعد أن تناولت أربع لقيمات نظرت ناحية الشيخ قائلة هذا طعام البسطاء فى هذه المدينة .

الشيخ : نعم هنا مثل لكهنو حيث يوجد دكان محمد ، والذى يقدم الأرز الأصفر - الزردة - والطعام الجاهز .

امراؤ : وهل يوجد دكان للحلوى ؟

الشيخ : دكان الحلَوانى خلف هذا المسجد .

امراؤ : هل كان من الضرورى أن تذهب لمسافة أربعة أميال ثم تأتى بعد الظهر وتحضر معك هذا الطعام الذى لا يصلح للقطط والكلاب .

الشيخ : لا تقولى مثل ذلك فهذا الطعام يصلح للأدميين .

امراؤ : أيها الرجل هل تستطيع تناول هذا الطعام ؟ فالخبز غير طازج والشوربة متغير لونها .

الشيخ : لم يتغير لونها ، حسناً ، سأحضر لك زبادى .

امراؤ : كلا ، ابقَ فى مكانك ، وسامحنى .

الشيخ : لا تفكرى فى المال ؛ فسأعطيك مما عندى .

فلم أجبه ، وذهب الشيخ خارج المسجد والله يعلم متى يحضر وما نوع الزبادى الذى سيحضره معه وسيضعه أمامى ويقول : هذا كان يوزع على قبر حاتم .

ثم أخذت أتناول الطعام وهو عبارة عن خبز جاف بللته بالماء وتركت الشوربة والزبادى ونهضت واقفة وتركت بقية المال مكانه ووقفت أغسل يدى ... ففهم الشيخ أن سيلاً قد نزل على المسجد- شىء عظيم تغسل يدها -

الشيخ : خذى مالك ومتاعك .

امراؤ : سأشعل مصباح المسجد القريب منى ، وبعد أن غسلت فمى ويدى جلست مكانى أتحدث مع الشيخ ، فى كانبور اطمأنت نفسى للشيخ ، وبمساعدته استأجرت حجرة بها سرير ومصباح وستائر وجميع أدوات المطبخ ، واشترى لى الأشياء الضرورية ثم أحضر لى امرأة عجوزاً تعد لى الطعام وتقضى حاجتى وخادماً آخر يقوم على خدمتى ، ثم أخذت أبحث عن أهل الفن عن الأدوات الموسيقية ، ولم يعجبنى شىء .

وفى النهاية وجدت فناناً من لكهنو - وهوتلميذ من أسرة خليفه جى - واستفدت منه كثيراً وعن طريقه تعرفت على عازفين من كاتبور - عندهما خبرة إلى حد ما - حتى نجحت فى تكوين فرقة موسيقية ، وكنا نعزف ونغنى حتى الواحدة والنصف كل ليلة فى غرفتى ، وذاع صيتى

فى المدينة، وعرف الناس أن غانية من لكهنو جاءت فأقبل علينا كثير من الرجال وحمىّ سوق الشعر وأصبح سيئ الحظ هو الذى لا يحضر إلى مجلسى يومًا والغالبية العظمى كانت تحضر.

وفى أيام قليلة جمعت كثيرًا من الأموال ، ولم تكن تعجبنى طريقة أهالى كانبور فى الحديث وكنت أتذكر دائما لطف أهل لكهنو فى حوارهم ولكنى كنت أحب أن أستقل بحياتى ولا أرغب فى العودة إلى لكهنو ؛ لأننى أعرف لو أننى عدت إلى لكهنو لأصبح لزامًا علىّ أن أعيش فى كنف الهانم لأنه لا يمكن فى حرفتنا أن أعيش منفصلة عنها .

هذا أحد الأسباب الذى تجعل جميع الغانيات يتمنين الهروب من الهانم والاستقلال بحياتهن ، ولكنى لا أستطيع العيش منفردة لأننى إذا سكنت بمفردى لا يأتينى أحد ، والسبب الثانى أن أمهر العازفين والراقصات مع الهانم ولا يستطيع أحد العمل معى رغم أننى أعد من أفضل المغنيات فى لكهنو ، ورغم أن بلكهنو كثيرًا من المغنيين والمغنيات إلا إنه كانت لى مكانة خاصة عند الخواص والعوام ، والرجال جميعًا يتطلعون إلى غرفتى ويسألون دائمًا عنى .

وفى كانبور – وجدت لى احترامًا فارتفعت معنوياتى وأى أمير أو رئيس لا أذهب لا أحيىّ حفل عرسه كان لا يفخر به ، وعرف هذا فى أرجاء المكان ، فما هى لكهنو؟

ثم حضر إلى غرفتى رجل من لكهنو عرفنى بنفسه قائلا إنه أحد تلامذة السيد شارق – وهو شاعر معروف فى لكهنو وله مئات التلامذة

وهــو أستاذ عظيــم – ... ومشهود لــه بالكفاءة ولا يوجد أحد فى لكهنو لا يعرفه ، فأخذ يتحدث معى عن الشعر والشعراء.

الرجـل : هـل تعرفيـن السيـد شـارق اللكهنـوى ؟

امـراؤ: لا ؟

الرجـل : سـمـعـت أنك تسكنين فى لكهنـو ، فـهل حـقـيـقى كـنت تسكنينها ؟

امـراؤ : كـنت أسكـن فى بيـت متواضــع بلكهنـو .

الرجـل : كـيف تقولين إنـك مـن لكهنـو ولا تعرفـين الأستـاذ ؟

امـراؤ : أنـا لا أعرف أشهر شعراء لكهنو وذكر الأستاذ دائما يكون على لسان تلامذته ، لكنى لم أسمع شعره ، ويمكنك أن تقول لى شعراً من أشعاره تذكر فيه لقبه الذى لم أسمعه.

الرجـل : بعد أن تصبب عرقا مـا فائدة الاسم أو اللقب ، سـواء مـن الشرق أو الـغرب أو الشمـال أو الجنوب ، بأى لغة ، طالما أنك لا تعرفينه فلماذا تسألين ؟؟!!

امـراؤ : لا يا سـيـدى ، سـامـحنى ، قـد يعـرف الشـاعـر من مطلع القصيدة ، وأنا لا أعرف لقبـه ، فكيـف أعـرف اسمـه ؟

الرجـل : اسـمه السيـد ميـر هـاشم شـارق .

امـراؤ : مما لا شك فيـه أن هـذا الاسـم معروف لـدى .

وأثناء الحديث كنت أفكر و أفكر، يا إلهى، يا إلهى، من يكون مير هاشم شارق ؟ وأخيراً اشتبهت فى رجل كان يقول شعر المراثى ، فقلت أهو شاعر مراثى؟ .

الرجل : فى شعر المراثى لا نظير له .

امراؤ : أخبرنى ، هل هو السيد مير أم السيد مرزا ؟ . الذى قرأت عنه .

الرجل : إنهما شىء واحد.

امراؤ : أولا ، أى مرثية له تعرفينها ؟ .

الرجل : لماذا أقول لك مرثية ؟ فإن مؤلفاته معى وسأقرأ عليك المرثية الجديدة التى ألقاها فى السابع والعشرين من رجب ، وهى مشهورة فى المدينة كلها.

امراؤ : أتتذكر مطلع القصيدة ؟

الرجل : لا ولكن أقرأ عليك بيتًا فيه مدح للسيف وهذا البيت على لسان الجميع فى هذه المدينة.

امراؤ : قل لى ، فأنا أريد أن أستفيد.

الرجل : هذا البيت مكتوب على غلاف كتاب – تفسير الجوهرى –

امراؤ : يا سبحان الله ، إلى هذا الحد بلغت شهرة هذا البيت ، أسمعنى بعضاً من هذا الشعر.

الرجل : سأسمعك هذه المرثية التى سمعتها فى لكهنو ، فأنت تسكنين لكهنو ثم لا تسمعين شيئًا عن شعر الأستاذ شارق هذا شىء عجيب.

الآن فهمت أنه كان مزاحا وقلبى يحدثنى أن أستاذك هذا ميت ، فهذا الشعر لا يقدر على قوله سوى الشاعر مرزا دبير رحمه الله ، فعرف الرجل أننى فهمت فسكت.

رسوا : حقا إن لك عقلاً كبيرًا، لولا ذكاؤك كنت ستتعرضين لمشاكل يومية، فهل يعرف الشاعر مير هاشم على شارق ؟؟! أكثر الناس عندما يذهبون إلى الخارج يأخذون من كلام الشعراء ثم ينسبونه لأنفسهم .

وأذكر أنه منذ عدة أيام ، جاء رجل وأخذ مسودة الغزل لصديقى ، سمعت أنه قرأها فى حيدر أباد (الدكن). وفهم كثير من الناس أنه شعره ثم جاءت الرسائل إلى لكهنو تخبرنا بأنه هوالمؤلف ، فضحك وظل صامتًا ، وكثير من أهل السوء يفعلون مثله ويقولون اللكهنوى يتخذونه اسمًا أو لقبًا ولا يخجلون وهؤلاء الذين يدعون أنهم من عظماء لكهنو هم أبناء القرى ، وربما مروا بلكهنو أو تعلموا فيها لعدة أيام. أو حضروا فيها مجالس العلم لأيام أولوقت قليل ، ثم أصبحوا ينسبون أنفسهم للكهنو وهذا الكلام ليس على سبيل الفخر ، ولكنه كذب لا فائدة منه .

امراؤ : أكثر الناس يزايدون على اسم لكهنو ، وكنت أعيش فى كانبور عيشة رغدة ، ولم يكن القطار ينتقل من لكهنو إلى الخارج فى

هذا الوقت وكنا نبحث عن لقمة العيش فى جميع المدن . وكنا نأتى ونذهب هنا وهناك تبعًا للرزق ، وأحيانًا نذهب من لكهنو إلى دهلى والعكس ، فى هذا الوقت كانت مدينة لكهنو أفضل حالاً من دهلى.

رسوا : كيف حال مدينة الدكن فى هذا الزمان ؟

امراؤ : كانت الدكن عامرة ولكهنو خربة ، ولم أذهب إليها ولكنى سمعت أن غالبية سكان لكهنو عمروا الدكن.

امراؤ : من يدعى أنه لكهنوى فعليه أولاً أن يحسن لغته.

رسوا : ما أجمل هذا القول ؟؟ حقيقى أنك تعرفين لغة الحوار إلى حد بعيد لكنك لا تجيدين لهجة أهل لكهنو.

(٢)

من عجائب القدر أننا لا نبتعد عن بعضنا طويلاً

وإذا حدث ذلك سيكون اللقاء حاراً

امراؤ : لقد حكيت لك عن حكاية يوم واحد وأعلم أننى عشت فى كانبور ستة أشهر بلغت فيها شهرتى حداً كبيرا لدرجة أن أشعارى وغنائى يحفظه الناس جميعاً ، حتى فى الحارات والأسواق . وفى المساء يتجمع حشد كبير من الناس فى حجرتى وأظل أغنى حتى وقت متأخر من الليل، خاصة فى أيام الصيف.

وفى يوم من الأيام وفى تمام الساعة الثانية ظهراً ، كنت أجلس على سريرى بمفردى فى الحجرة ، وكانت خادمتى تغط فى نوم عميق ، والخادم خارج الحجرة يحاول إصلاح المروحة ، وبسبب شدة الحر جف حلقى وأصبح مثل أعواد الحطب وكنت أريد أن أنادى على الخادم ليحضر لى كوباً من الماء ، فى هذة الفترة جاء شخص ما بالقرب من حجرتى وسأل الخادم :

الرجل: أين غانية لكهنو؟؟ وأين حجرتها ؟

فأخبره الخادم عن حجرتى فأشار إليه الرجل، أين الباب ؟؟ فأخبره الخادم ثم سأله :

الخادم : هل تسأل عن شيء ؟؟

وفى هذه الفترة جاءت عجوز ، وجلست أمامى على الأرض وهى فى السبعين من عمرها وقد ترهل جسمها وتجعد وجهها وابيض شعرها ، وبدت عليها التجاعيد من وجهها إلى أخمص قدميها ، وقد احدودب ظهرها ، وكانت ترتدى بيجامة واسعة جداً وتضع طرحة من الحرير الأبيض على رأسها وصدرها وفى يدها أساور فضية وفى أصابعها خواتم ومعها طفل أسود اللون فى الثانية عشرة من عمره ، ظل واقفاً.

العجوز : هل أنت من لكهنو؟

امراؤ : نعم .

وبينما كنا نتبادل أطراف الحديث نزلت من على السرير وجلست معها على الأرض وناديت على الخادم ليعد النارجيلة ، وأرسلت من يحضر لى التمبول .

العجوز : سيدتى تذكرك بعيد ميلاد ابنها وستكون الحفلة للنساء فقط ، فما هو أجرك ؟ .

امراؤ : وهل السيدة تعرفنى ؟

العجوز : جميع من فى هذه المدينة يعرفونك من غنائك ، وهناك سبب آخر. هو أن السيدة هى الأخرى من لكهنو .

العجوز : لماذا تركت لكهنو؟

امراؤ : تركتها لأعيش مختفية هنا يا قرينة النمر.

العجوز : وأنا أيضًا من سكان لكهنو ، حسنًا ، ومن الأفضل أخبرينى ما هى أجرتك ؟ فعندى أعمال كثيرة .

امراؤ : أجرتى – يعرفها الجميع – خمسون روبية . ولأجل السيدة من سكان لكهنو فلها قدر عندى لأنها استدعتنى ؛ لذا لن آخذ منها شيئًا ، فمتى الحفلة ؟

العجوز : مساء اليوم ، حسنًا ، هذه روبية أشترى بها طعامًا (كشرى) والباقى ستأخذينه فيما بعد.

امـراؤ : لا داعـى لذلك ، من أجل خـاطر السـيـدة حـتـى لا تـظن بى سـوءاً سـآخـذ هذه الروبية فـمـن فضـلك أخـبـريـنى أيـن المكـان ، ومـا هـو عنوانـهـا ؟

العـجـوز : سيـأتـى هذا الولد مسـاء ليـأخذك معه ، وعليك ألا يصـاحبك أحد من الرجال.

امـراؤ : والعـازفون ؟

العـجـوز : الموسيقيـون والخدم لا بـأس بهم ولكن يمنع من عداهم.

امـراؤ : لا لا ، من يقبل هذا الكلام ؟ سـآخـذ معـى كل من يوافقنى من العازفين والخدم .

فـى تلك الأثناء جـهـز الخـادم النـارجيلة أشـرت إليـه أن يضـعـهـا أمـام السـيدة العـجـوز التى بدأت تشـرب النـارجيلة بمزاج ثم أخـذت قطعة من التمبول ووضعت فيها محتوياته ثم لفقتها وأعطيتها لها

العـجـوز : بنيتى ، أنـىّ لـى بأسنـان تـأكل التمبـول.

امـراؤ : ستـأكلين لأنـنـى أعددتـهـا لك .

وكـانت العـجـوز ذات فـهـم عـالٍ فـأخـذت التـمـبـول منـى وأكلتـه وهـى سـعيدة ، ثم قـالت أنت زينة مدينتنـا ، ثم دعت لى كثيراً ، وهـى تغادر المكان .. ثم قالت وهى تمضـى سـآتى بعد عـدة أيـام لأمكـث مـعـك قليـلاً .

امـراؤ : عليـك أن تـخـبـرى السـيـدة بـأننـى سـأحـضـر مـبكـراً لتـقـديم التهنئة .

رغم أن ذلك ليس من عاداتنا وتقاليدنا ، والحقيقة أن منزلة الوطن يقدرها من يعيش خارجه ، ورغم أنه كان لى فى كانبور أماكن عديدة إلا إننى لم يكن لدى شوق لأى منها، وكنت إذا حل على المساء أتمنى لو تركت المكان لأن حر النهار شديد ، المهم الله يعلم كيف يمضى اليوم ، ثم جاء الولد فى الساعة الخامسة ، وفى البداية كنت أجلس أنتظره ثم ناديت على العازفين ، وأخبرهم الولد بالعنوان ثم ركبت وسرت معه.

وكانت المسافة بين المدينة ومنزل السيدة تأخذ ساعة كاملة ، فوصلت إلى هناك فى تمام الساعة السادسة وكان على شاطئ النهر حديقة بأطرافها الأربعة منتزه كبير تحيط به الأشجار من كل جانب ، والحديقة لها سور وهى على الطراز الإنجليزى بها أشجار ونخيل . وتحيط بها الخضرة من جميع الأطراف، وفيها أنواع الأشجار المختلفة ، وأسوارها من الحجارة ومليئة بأنواع مختلفة من النباتات والأشجار المثمرة ينساب إليها الماء من الجبل على هيئة شلال أعد منها البستانى نافورة كبيرة ينساب منها الماء الصافى كاللؤلؤ، وقطرات الماء تنساب على أوراق الأشجار، ونظرًا لحرارة الشمس، كان البستانى يقوم برش الأزهار بالماء لتحتفظ برونقها وجمالها .

وأقيم حفل عيد الميلاد فى القصر ، وسمعت غناء النساء وأنا فى الخارج فقدمت التهانى، وبدأت مراسم الحفل شيئًا فشيئًا ، ولم يكن أحد يسمع غناء المغنيات ثم سكتت هؤلاء النسوة وقامت السيدة وأنعمت

عليـهم ببعض المال (جنيه واحد وخمس روبيات) ، ثم حل المسـاء وظهر ضـوء القـمـر وانتـشـر فى أرجـاء المكان ، وانعكس ضـوءه علـى الماء مع أمواج النهر وكان منظراً بديعًا ، وكان موقع القصـر عظيمًا فى طرف الحديقة التى فى وسطها جدول ماء يأتيه الماء من النهر ، وحوله أزهار جميلة يزدان بها وعلى حافة الجدول توجد أريكة وفى وسط الجدول غرفة خشبية عالية ، وأعمدتها ملونة بألوان مختلفة ، وخرير الماء يبعث فى النفس السرور ، فى الحقيقة إنه عالم غريب وعجيب ، وفى وقت المساء كان الهواء عليلاً ينتشر به شذا الأزهار والرياحـين ، ولم أر مثـل هـذا الـجو البديع مـن قبـل .

وكانت هناك أريكة عليـها فراش فضـى اللون وعليها مسند، ووسـادة فذهبنا وجلسنا عليها والطريق من القصر حتى هذه الأريكة مظلل بأغصان الأشجار وعرفـت أن هـذا هو الطريـق الذى سـتأتى منـه السـيدة.

وقد وضـعت أمـامنا الشـيشـات الكبيرة ، وعلى المظلة مصـبـاحـان ملـونان باللون الأخـضـر ، ثم أمـرتنى السـيـدة بالـغناء ثم بدأت أدندن ، وظللت أغنى لوقت طـويل ، فى هذه اللحظات جاء أحد الفرسـان وفى يده عـود من اليـاسـمين ثم وضـعـه على الوسـادة أمـامـى وذهب ، ثم قـال للعازفيـن : إننى تلميـذ أمامكـم وذهـب إلى حـال سبيلـه.

ثم أعدت المائدة وتناول الجميع الطعام ، ثم جاءت النسوة إلى هذا المكان مرة أخرى وذهب الرجال إلى حال سبيلهم ، وعندما جاءت السيدة نهضت من مكانى احترامًا لها .

فنادتني وأجلستني بالقرب منها ، وانتظرت أمرها لي بالغناء وكنت أتأملها جيداً.

النظرات الحائرة لأي شخص في الحفل

لماذا يحتار وصاحبة الصورة أمامه ؟

وبعد رؤيتي للحديقة وهذا الجو المحيط بها تأكدت بأنني في موطن الحسن والجمال. ثم جاءت السيدة ووضعت أمامي وسادة كبيرة ، ثم جلست عليها ونزعت عنها حجابها. فإذا هي بيضاء لونها مشرب بالحمرة تسر الناظرين ، وشعرها طويل تصل ضفيرتها إلى وسطها ، ولها عيون واسعة وخد وردي ناعم وأنف جميل وفم صغير ورمش كحيل ، وشفاه رقيقة ليس لها نظير في الجمال.

ولم يكن في خيالي صورة لأحد أجمل منها فقد كانت معتدلة القوام متناسقة الأعضاء . ورغم أنني رأيت مئات النسوة إلا انني لم أر أفضل ولا أجمل منها ، ورغم أنني كنت أفكر في جمال خورشيد إلا إن جمال خورشيد لا يقارن بالنسبة لهذه السيدة فهي أميرة ذات وقار واحترام ، وليس هناك ما يعيبها ، أما خورشيد بالنسبة لها فليس لها أدنى احترام لأنها غانية ذات بدن نحيل ووجه حزين ، ومن يقع نظره عليها يلحظ ذلك . أما السيدة فهي ذات طابع جميل ومزاج طيب معتدل ، ينساب الكلام من فمها كالأزهار وتصحبها ابتسامة أثناء الحديث.

ورغم بساطة حديثها إلا إننى أرى فيها بعض التكلف ، فهى ترحب بجميع النسوة إلا أنهن من الأغنياء ، وإذا كان ترحيبها هذا ليس له غرض فهذا لا عيب فيه، وكانت ملابسها وزينتها على قدر كبير من الجمال ، ثم انسابت الطرحة على كتفيها ، فرأيتها تلبس بدلة حمراء ، وفى أذنيها قرط من الياقوت وتزين أنفها بالحلى ، فى عنقها عقد ثمين. وفى يدها أساور ذهبية مرصعة بالجواهر وفى قدميها خلخال ولجمال وجهها ولأناقة ملابسها ومجوهراتها ، كنت أرى ذلك بعينى وأحتار فى جلستى ، كرر النظر إليها.

وكنت أتذكر نفسى بجوارها فتأكدت أننى لا شىء بالنسبة لها،...... وكانت لا تخص أحداً فى مجلسى بناظريها بل تنظر إلى الجميع،....... ثم نظرت ناحيتى وكررت النظر إلىّ ، فوقع فى قلبى أننى لم أعجبها لكن لا حيلة لى.

وكان أحد الخدم يمسك بمروحة من خلفها ، وأمامها اثنان آخران واقفان أمامها : أحدهما بيده علبة فضية والأخر بيده علبة التمبول ، وظللنا لفترة متأخرة لا نتبادل فيها أطراف الحديث ولا أنا أستطعت أن أتحدث معها ، وفى النهاية بدأ بيننا هذا الحديث.

السيدة : ما اسمك ؟

امراؤ : فحييتها وقلت لها : اسمى امراؤ .

السيدة : من أى مكان فى لكهنو ؟

امـراؤ : لو أجبت على سؤالهـا هذا لحدثت مـشكلة كبيرة ، ولو قلت لها إنني من لكهنو ربما كان فى قلبها هدف من وراء ذلك ولابد أن تعرفه ، ولو أخبرتها أنني من فيض آبـاد فهـذا ليس فيـه إفشـاء لسـرى ، وبعـد تفكيـر عميـق قلت نعم ، تربيت فى لكهنو.

فقد أجبتـها على سؤالها ، لكنها فكرت أنني أخذت وقتًا طويلاً فى الإجابة على سؤالهـا ، فربـمـا بـدا أن هنـاك شيئـا خطـأ ، فعلـى الفـور سـألتنى قائلـة :

السيـدة : ألم يكـن مـحل ميـلادك لكهنـو؟

فتحيرت كيف أجيبها وسكت برهة كأننى لم أسمعها ، فـراوغتها فى الحديث ثم بادرتها متسائلة :

امـراؤ : هل السيـدة المصونـة صاحبـة العفـاف مـن لكهنـو؟

السيـدة : نعـم ولكـن أصبحـت كانبـورا وطنـيا .

امـراؤ : وهـذه رغبـتى أيضـاً .

السيـدة : لـماذا ؟

امـــراؤ : والإجــابـة عن هـذا الســؤال صــعـبـة ، فــهــل أحكـى لهـا قصـتـى ؟ أم أبين لها أن هناك خللاً فـى سـمـعـى ؛ فـلا أريـد أن أتـحـدث عن حـالى.

امـراؤ : إن قلبـى لا يرغب فى الذهـاب إلى لكهنـو .

السيـدة : حسنـاً ، يمكنـك الحضـور عندنـا فى أى وقت تشائـين .

امـراؤ : كيف ذلك وليس لى رغبـة فى الرحيل من هنا ، أولاً ، لأننى أحتـرمك وأقدرك ، وثانيًا ، هذه الحـديقه الغنـاء ، والفـضـاء الرحب التى رأيتها مرة كيف لا يكون عندى هوس برؤيتها مرة ثانية ، خصوصاً وأنا امرأة ذات مزاج رقيق يأسرها الماء والهواء ، وأهيم شوقًا بالماء والـهواء فى هـذا المكـان.

السيدة : عجبًا لك ؟! إنـك أحببت هذا المكان الموحش الذى لا يعجب البشر ، الله يعلم بعد هذا المكان عن المدينة، وإذا أرسلت رجلاً ليحضر لى بعض الأشياء من المدينة فـى الصباح يأتى إلينا فى المساء ، فى هذا المكان لا نسـمع سـوى أصـوات الشـيـاطين ولو أن أحـداً هنا مـرض وأحضرنا له طبيبًا من المـدينة لحـدث له مكـروه فى هذا المكـان الـذى لا يسر عدواً ولا حبيباً .

امـراؤ : سيدتى هذه هى طبيعتى ، فقد أحببت هذا المكان كثيراً وأنا أعرف نفسى جيداً ولو عشت فى هـذا المكان فلا أحتـاج لشىء آخر وثانيًا ، أيمرض الإنسان فى مثل هذا المكان ؟!

السـيـدة : عندمـا جـئت إلى هذا المكان كنت أظن أننى سـأعـيش بضـعـة أيام ، لأننى كنـت أسكن فى المدينـة ولا أستطيع العـيش فى مـثل هـذا المكـان وبالمـدينة آلاف الأمـاكـن المـريحـة ، وهنـاك مـن أبـادله أطراف الحـديث ، وعنـدمـا ذهـب السـيد إلـى كلكتـا (تقصـد زوجـها) كـان النوم لا يأتينى ليـلاً بسـبب الخـوف ، رغم الحـراسة المشـددة من عشـرة رجال يقومون على خدمتى أمـا عدد النساء فلا تحصيه ومع هذا فـالخوف

يسيطر عليَّ ، ومنذ يومين فكرت عندما يأتى زوجى سأطلب منه أن يأخذ لى مكانًا بالمدينة وأترك هذا المكان .

امراؤ : سامحينى ، فهذه الوساوس والأوهام فى قلبك لا داعى لها ، وإذا أردت الذهاب إلى المدينة فاذهبى وأنت فى صحة جيدة ، ورغم حرارة الجوفإن الناس يأتون ويذهبون وفى حالة المرض يعتمد الإنسان على الله .

وظللنا نتحدث ، فى هذه الفترة جاء طفل جميل فى الثالثة من عمره ، ما شاء الله ؟ حسن المنظر يتحدث كلامًا طيبًا فاحتضنته السيدة وعانقته ، ثم بدورى قبلته وأعطيته شيئًا يأكله وظل معنا لبعض الوقت ، ثم قبلته السيدة مرة أخرى وأعطته شيئًا يأكله.

امراؤ : ممكن ألا آتى إلى هنا ، لكنى أرغب فى رؤية زوجك.

السيدة : حسنًا على أى حال ، فمن الضرورى حضورك .

امراؤ : لماذا تقولين لى من الضرورى حضورى ؟؟ على أى حال إذا كنت سأحضر فسأحضر بعد الظهر وبعد ذلك ظلت الأحاديث بيننا من هنا وهناك وكانت السيدة تمتدح غنائى وفى هذه الفترة جاءت خادمتها الخاصة وقالت لها : سيدتى ، الطعام جاهز .

السيدة : حسنًا ، هيا بنا نتناول الطعام .

امراؤ : بكل سرور .

ثم نهضت السيدة من على الوسادة وأمسكت بيدى ، وأشارت إلى الخدم أن انتظروا هنا ، فإننا سنتناول طعامنا ثم نجلس هنا.

امراؤ : الحقيقة أن السماء فى هذا الوقت كانت صافية جميلة ، ولا أرغب فى ترك هذا المكان.

السيدة : هل ترغبين أن نحضر لك الطعام هنا ؟

امراؤ : ولم لا يحضرون الطعام إلى هنا ؟

السيدة : فأشارت للخادمة ومعها بعض الخدم قائلة : أحضروا الطعام إلى هنا .

الخادمة : أمرك يا سيدتى .

السيدة : حسنًا ، انصرفوا جميعًا ، سامحونى .

وبعد ذلك مشيت أنا والسيدة ناحية القصر، وجاءت خادمة مسرعة وبيدها فانوس وهمست فى أذنى قائلة ، أريد أن أتحدث معك حديثًا طويلاً ، ليس مجاله اليوم وغداً لا أجد فرصة وبعد غد تعالى إلى هنا صباحاً وتناولى فطورك معنا .

امراؤ : أريد أن أقول شيئًا.

السيدة : حسنًا ، اليوم لا تقولى شيئًا فإننا سنذهب ونتناول الطعام وبعد هذا سنسمع غناءك . أمراؤ : يا سيدتى : اسمحى للعازفين بالانصراف.

السيدة : نحن لا نقبل الغناء مع الرجال ، فلدى طبلة أجيد النقر عليها.

امراؤ : حسنًا ، هذا أفضل .

الآن نحن وصلنا عند القصر وهو قصر فخم وواسع وجميل لم أر مثله من قبل ، وأنا أصفه لك من الذاكرة ، عندما دخلنا القصر مررنا بعدة غرف لكل منها طرازها الخاص وكل غرفة مفروشة بأنواع السجاد المختلفة ، هناك العديد من أنواع النارجيلة مختلفة اللون والرسم.

وأخيرا وصلنا إلى الغرفة التى أعد بها الطعام، وكانت هناك خادمتان تنتظران عليهما زى خاص عبارة عن ملابس زرقاء اللون ، على مائدة الطعام أصناف عديدة من الأطعمة، الأرز مع اللحم والكفتة والثريد واللبن الرائب والكباب والسلطات والمخللات بالإضافة إلى المربى والحلويات والزبادى ، المهم أن جميع أنواع النعم موجودة.

وهى أول مرة منذ أن خرجت من لكهنو أشعر بمذاق للطعام، ورغم أننى كنت أتكلف بعض الشيء فى تناول الطعام إلا إنه أمام إصرارها أكلت المزيد ثم أحضرت بعض التسالى ثم قمت وغسلت يدى.

ثم جلسنا على الأريكة وأكلنا التمبول ، وفى هذه الجلسة كان الأدباء والأصدقاء والخدم والحشم وكان هناك أيضًا عشرة من النسوة بالإضافة إلى السيدة .

وقامت السيدة بإحضار الطبلة والصاجات. وكانت إحدى النساء ترغب فى النقر على الطبلة فبدأت تنقر عليها ، وأخذت السيدة الصاجات ثم أمرتنى بالغناء .

ولما تناولنا الطعام كانت الساعة الحادية عشر مساء ، ولما جلسنا للغناء كانت قد بلغت الثانية عشرة مساء ، فى هذا الوقت كانت الحديقة التى صرفت عليها أموال كثيرة موحشة كالغابات والجبال ، ثم نظرت ناحية أخرى فوجدت القمر يتدلى منه ضوء على القصر يظهر بين أغصان الأشجار ، وأحيانا يضيع فى وسطها فيعم الظلام المكان فعرفت أن هذه أشجار مرتفعة ، وهى أشجار ضخمة فى نظرى يسمع من خلالها صوت الريح ورغم أنها أشجار ظليلة كأشجار السرو إلا إن عالم الصمت قد سيطر عليها ، وتوقف خرير الماء فى الجدول .

وكان يخترق هذا الصمت أحيانًا صوت عصفور فى عشه أو صوت حيوان يخاف الصياد. كما أن العصافير كانت تطير خوفًا من الصيد ، وحتى الأسماك فى الغدير اختفت ، وتواصل نقيق الضفادع بلا انقطاع. ولا يوجد هناك سوى هذه الأريكة تحت المظلة وعشر نسوة فى ريعان الشباب يجلسن فى زينتهن وليس معهن أحد سوى رجلين يحملان المصابيح، التى خفت ضوؤها وانعكس على ماء الجدول وبقية أرجاء المكان مظلم.

كان عالمًا عجيبًا جعلنى أستغرق فى التفكير شيئًا فشيئًا عن ذلك المكان فى الصحراء الذى ترك أثرًا فى قلبى وبدأت الدهشة علينا جميعًا ، ثم سيطر علىّ الخوف فلم أنظر ناحية الحديقة، خصوصًا وأن الظلام كان دامسًا تحت الأشجار ، وكل واحدة منا تنظر إلى الأخرى ،

وقلت فى نفسى إننا كنا آمنين فى هذه الجلسة وفى هذا المكان ، فماذا حدث فى هذا العالم ؟؟ ماذا أقول لقد بدا الخوف يسيطر علىّ ويملك علىّ قلبى ، وقلت إن ما قالته السيده حقٌ ، إن هذا المكان لا يصلح للسكنى.

فى تلك الأثناء جاء صوت ابن آوى ففزع الجميع ثم بدأت الكلاب بعده فى النباح ودهشت ولم أستطع الكلام ولم أقو على الغناء.

وفى تلك الأثناء نظرت السيدة إلى أعلى عدة مرات ثم صرخت صرخة قوية ثم حدثت فوضى، وجميع النساء كانوا على نفس الحال ، وأنا أيضًا بدأت أنظر وأتلفت حولى ، وكنت أفهم أن ما قالته السيدة كان وهمًا ولكن هذا الوهم قد أصبح حقيقة أراها بعينى، فقد رأيت خمسة عشر رجلاً عضُوا على نواجذهم واستلوا سيوفهم وجاءوا مسرعين تجاهنا .

ثم وقفت السيدة والنساء والخدم والحشم فى ناحية وحاول كل واحد منهم أن يمسك بشىء إلا أن عدد اللصوص أكثر ومعنا عدد الرجال قليل بسبب فرار البعض ثم وصل إلينا خمسة من رجال السيدة جعلوا النساء فى المؤخرة واستعدوا للقتال ، وقد طار صواب النسوة جميعًا وأغمى عليهن ، وسيطر الرعب عليهن إلا واحدة منهن ، كنت أنا التى تحجر قلبها فظللت جالسة وتحول الميدان إلى صراع ، يا إلهى ، يا إلهى ، ماذا أرى ؟! .

كان رجال السيدة معهم الحراب وحاول اللصوص التقدم تجاه القصر فأوقفهم الحارس سرفراز .

سرفراز لرفاقه : انتظروا لا تتعجلوا ؛ فعندى خبرة فى التعامل مع أمثال هؤلاء الناس وأنتم لا تعرفون قصد هؤلاء اللصوص ، ثم قال للصوص ماذا تريدون ؟

أحد اللصوص : أنتم تعلمون ما جئنا من أجله ؟

سرفراز : أنا أسألك هل تريدون أرواحنا أم أموالنا ؟

لص آخر : ليس لنا رغبة فى إزهاق أرواحكم لأنكم لستم من علية القوم، وما جئنا من أجله لو زاحمتمونا عليه سترون ما يحدث لكم .

سرفراز بسخرية : هل ستأخذون منا بناتنا ؟ هل هذا هدفكم ؟.

فلم يكمل سرفراز كلامه ، اتجه إليه لص آخر قائلاً :

لص آخر : لا أيها الرجل لا نريد بناتكم لا حاجة لنا لمثل هذا، هل النساء تضع بأيديهن حلى؟

سرفراز : سأسألهم ، حسنًا أيها الأخوة سأستدعيهن من الغرفة والنساء اللائى نجدهن هناك سنستدعيهن إلى هنا ، وصاحبة هذا القصر امرأة موجودة هنا ، فاذهبوا إلى القصر فأى شىء تريدونه خذوه وسننزع حلى هؤلاء النسوة ونعطيه لكم .

وصاحب القصر لن يصبح فقيراً بسبب ما تأخذون ، ومن فضل الله أنه أحضر مبلغا من المال أخذه من البنك ووضعه فى البيت ولم يذكر ذلك لأحد.

لص آخر : ليس هناك أفضل من هذا ، إن لم يكن فيه خداع.

سرفراز : المحارب لا يعرف الخيانة ، انتبه لكلامك.

أخذ هذا اللص الذى سمعت صوته يتقدم شيئًا فشيئًا قائلاً هذا كلام رجال ، حسنا ، فأين الكنوز؟.

وكل ما دار من حديث كان أمام ناظرىّ فعرفت مقصدهم من هذا الحديث ، ومن شدة المفاجأة انعقد لسانى فلم أقو على الكلام ، وفى هذه الفترة تقدم هذا اللص بنفسه قائلا: أين أنت يا زوجة أخى ؟!!

امراؤ : أنا هنا، وقد وقع أخوك فى الأسر .

فضل على : هنا وعند من ؟

امراؤ : إننى أعيش فى المدينة ، لكن أختى تعمل لدى السيدة فجئت لمقابلتها.

فضل على : أين أختك ؟

امراؤ : هى هنا ، عندما جاء رجالكم وحدث ما حدث أغمى عليها وفقدت الوعى فهى ليست مثلى ، فوضعت الغطاء عليها ولا حول لها ولا قوة.

فضل على : أهى المسجى عليها هذا الغطاء ؟

امراؤ : كنت غانية فى شبابى ، وكان الرؤساء والأمراء فى خدمتى.

فضل على لرفاقه : أخذ أى شىء من هنا يعد حرامًا ، ولا أرغب فى هذه العملية معكم ؟

لص آخر : ما هذا ؟ ولماذا جئت إلى هنا ؟

فضل على : جئت برغبتى وأنتم تعلمون ذلك ، إلا إنه لابد أن تفكروا قليلاً ، إننى لم أستطع المجىء إلى هنا لأن أخى فيض على يعيش هنا وجئنا لننهب أخته وهؤلاء رجاله يتوسلون إلينا ولابد أن أقبل توسلاتهم ؛ لأننى سمعت أنه وقع فى الأسر ، فماذا أقول ؟

وبعد هذا الحديث اختلف اللصوص وحدثت بينهم معركة شديدة لكن الجميع قبلوا كلام فضل على ولم يخالفوا أمره وعادوا أدراجهم لا شىء معهم ولم يكن هذا سهلاً عليهم ؛ فالجميع من اللصوص يقتلهم الحرمان والجوع فماذا يفعلون ؟

إنها فرصة كى يأخذوا شيئًا يقتاتون منه ، ثم وقف فضل على بعيداً عن اللصوص فلمح ظل شخص فى السواد الحالك يقول له : حيثما تذهب يا سيدى فأنا معك ، إلى أين يا سيدى ؟

فنظرت إليه بإمعان ، فناديته وتحدثت معه على انفراد ، ثم أعطيته ما أنعمت علىّ السيدة به من أموال خفية جنيهاً وبعض الروبيات.

فضل على لسرفراز : يا أخى أنا سأكون معك وسأعمل على إرضاء هؤلاء الناس لكن من فضلك ارحلوا من هنا ؛ فالنساء قلقة راعوا مشاعرهم قليلاً ، وسنعمل على إسعادكم فمضى اللصوص من هنا ، وكانت السيدة فاقدة للوعى حتى هذه اللحظة . تصطك أسنانها وترتعد فرائصها من شدة الخوف ، وأحضرت لها قليلاً من الماء من الغدير وألقيت به على وجهها وبصعوبة استردت وعيها ، فقلت لها :

امراؤ : اجلسى مطمئنة ؛ فقد أكرمنا الله بزوال هذه المصيبة فاستجمعى قواك ؛ ثم ألقيت بالماء على وجوه الأخريات، فأفاق الجميع واطمأنوا ، فسرت السيدة لما سمعت القصة منى وأرسلت على الفور فى استدعاء سرفراز .

سرفراز للسيدة : من فضلك امنحى جميع الموظفين فى هذا القصر مالاً ؛ فبدونهم كنا لا نقوى على هذا العمل .

السيدة : لو لم تكن امراؤ جان هنا لحدثت مصيبة كبيرة ولا يعرف الصديق إلا فى وقت الشدة.

فلم أجبها على هذا الحديث لأننى فهمت أنها فى هذا الوقت مضطربة بعض الشىء ، ورغم هذا الحديث الذى قالته إلا أنه بدا خلاف طبيعتها.

امراؤ : لا ، لم أفعل شيئًا إلا الواجب ، وهذا قدرنا .

الخلاصة أن السيدة أحضرت صندوقًا صغيراً وأخرجت منه خمسمائة روبية وخمس أساور ذهبية ومثلها فضية ثم أغلقت الصندوق واسترد الجميع وعيهم فقالت السيدة أمامهم : هذا لك لتتذكرى تلك اللحظة .

وإننى أتذكر حديث السيدة حتى هذه اللحظة.

السيدة : يا امراؤ جان هل لك رغبة فى العيش فى هذه الحديقة ؟

امراؤ : كانت هذه رغبتى يا سيدتى ، والصدق كما قلت .

وأصبحت الساعة الآن الثالثة صباحاً ونهض الجميع ودخلوا القصر ودخلت معهم وأحضروا لى سريراً من القصر ولكن النوم هرب منى فظللت مستيقظة طوال الليل حتى أشرق الصباح.

وكان الجميع يغطون فى نوم عميق إلا أن عينى لم تطرف ولم تذق طعم النوم وعندما بدأ النوم يداعب جفونى جاء الخادم ونبهنى أننى سأذهب معه الى الخارج .

الخادم : الحمد لله ، إنك هنا فقد كنا طوال الليل نراقب الطريق .

امراؤ : لماذا ؟ فقد أذنت لك فى الرحيل .

الخادم : حسنًا ، نمشيا الآن ، هيا بنا نذهب لأنه حضر لك ضيوف من لكهنو ، ففهمت ربما تكون بوا حسينى ومعها جوهر مرزا لأنهما أخذا عنوانى .

امراؤ : حسنًا ، هيا بنا نمضى، أحضر العربة .

الخادم : سمعاً وطاعة يا سيدتى .

بينما كنت أريد أن أمضى لحالى استيقظت امرأتان ومنعتانى من الرحيل حتى أقابل السيدة فقلت لهما عندى عمل والله يعلم متى ستستيقظ السيدة وسآتيها فى وقت آخر.

النسـاء : أولاً متى ستأتين من فضلك ؟

امـراؤ : قريبـًا إن شـاء الله .

عندما ذهبت إلى البيت وجدت بوا حسينى وجوهر مرزا يجلسان ، فعانقتنى بوا حسينى وأخذت تبكى فشاركتها البكاء أيضـًا.

بـوا حسينى : يا الله ، بنيتى ألهذا الحد قلبك قاسٍ ؟! ألا يوجد فيه حبٌ لأحد ؟

فخجلت منها وبماذا أجيبها ؟ فخدعتها وأخذت فى البكاء.

وبعـد أن تبادلنا أطراف الحديث ، كانت بوا حسينى ترغب فى الذهاب إلى لكهنو فى نفس اليوم ورغم إصرارى على أن تظل معى إلا أنها رفضت وكانت متعجلة فى الأمر لأن الشيخ كان مريضـًا ، وكان انتظار بوا حسينى معى أمرًا صعبًا .

إلا إنها جاءت من أجلى لأنها كانت تحبنى وفى هذا اليوم دفعت أجرة المكان والخدم واشترت لنفسها ما تحتاج إليه من الاحتياجات الضرورية وما يزيد عليها من طعام وشراب وملبس .

قـد أتنـزه فى الصحـراء فأثـر ذلك فى قـلبى

حتى وقعـت فى الأسـر فوجدت بعض الأحباب

انظروا إلى أين وصلت أثـار حرقـة قلبى

التى ستظل مشتعلة فى هذا المكان الموحش

فى هذا الوقت كان الصراع على السلطة على أشده فى بلاط ملكة كشور ، وكنت أعد ضمن حاشية الأمير مرزا أسكندر حشمت الجنرال المعروف الذى ذهب إلى كلكتا وانقطعت صلته بى وانقطعت أخباره ، ولأنه رجل جدير بالثقة أجلسه الثوار على كرسى الحكم فى هذا الوقت وبسبب علاقتى القديمة به كان اسمى يتردد على ألسنة كل من بالقصور الملكية فدعيت لتقديم التهانى وكان الظلام يسود المدينة ففى اليوم الأول نهب منزله وفى اليوم الثانى قبضوا عليه وفى اليوم الثالث أطلقوا عليه الرصاص وقامت قيامة الدنيا فى جميع أرجاء المكان.

فى هذا الوقت عين ضابط من الجيش اسمه سيد قطب الدين حارسًا قضائيًا على أملاكه وكان هذا الرجل يرق لحالى ؛ ولهذا كان يقيم هنا أكثر أوقاته، وكان يستدعينى فى أى وقت .

ثم حلت الذكرى الحادية عشرة لجلوسه على العرش وكان الاحتفال بهذا اليوم بعد عدة سنوات وكان الغناء فى هذا الحفل يعتمد على الغزل خصوصًا الذى سيغنيه أهل كشمير :

بقدر الغيرة من القمر

يغارون من الجواهر النادرة

ثم قمت أنا بتأليف بعض الغزل لهذه المناسبة مطلعه :

لقد نسينا آلاف القلوب التى أحبتنا

حتى ابتلينا فأصبحنا نتحسر مثلهم

رسـوا : ذكـرت فى المطلع لفظ القـيـامـة ، فـهل تذكـرين شـعـراً آخر تقرئينه لنا ؟

امـراؤ : لقـد قلت أحـد عـشر بيتًا مـن الشـعـر وحياتـك عنـدى إننى لا أتذكر أيًا مـن هـذا الشـعر سـوى هـذا المطلـع .

وفى هذا الوقت كانت الشدائد تحل علينا ، ونقع فى مصائب كثيرة نخاف فيها على أرواحنا ليلاً ونهاراً وكتبت هذا الغزل على ورقة ، وظلت هذه الورقة معى والتى كنت قد وضعتها فى علبة التمبول فى ذلك اليوم الذى خرجت فيه مع السيدة إلى حديقة القصر وبينما أنا فى هذا المكان الفسيح أخرجت علبة التمبول لآخذ منها وجدت هذه الورقة فأخرجتها فسقطت على الخمار والحذاء.

رسـوا : من فضلك ، هل تذكرين فى أى يوم خرجت السيدة معك إلى حديقة القصر ؟

امـراؤ : لقـد مر على ذلك اليـوم وقت طويل ، وإننى لا أتذكـر أكـان ذلك فى اليوم الثانى أو الثالث.

رسـوا : إنك تذكرين جيدا ، وتعرفين أنه فى يوم التـاسع والعشـرين من رجب ، ومن فضلك فى أى فصـل من فصـول السنـة كـان ذلك اليـوم ؟

امـراؤ : كـان ذلك فى نهاية فـصل الشـتـاء ، ولم يبـق سـوى أربعـة أو خمسة أيام على عيد النيروز.

رسـوا : هـذا صـحـيح تمامًـا ، إنـه فـى يوم السـادس عـشـر من مارس .

رسوا : هل تذكرين أحداث اليوم الذى خرجت فيه السيدة إلى حديقة القصر ؟

امراؤ : نعم ، أنا كنت مصاحبة لها حتى حى بوندى ، وفى الطريق لن أنسى الحديث الذى دار بين ضباط الجيش الجبناء الذين لا خلاق لهم ، وكنت أنا مصاحبة للسيدة فى هذا الوقت كما قلت لك من قبل حيث قال أحدهم : سيدى ، نحن نسير على الأقدام .. فهيا نستولِ على السلطة.

وقال الثانى : أولا نتناول الطعام .

وقال الثالث : نعم ، المعدة خاوية .

وقال الرابع : إن روحى تتمزق، حيث إننى لم أشرب النارجيلة منذ وقت طويل.

فى هذا الوقت هجم الجيش الإنجليزى القادم من منطقة بهرائج على منطقة بوندى فلقى السيد قطب الدين مصرعه، فهربت إلى فيض آباد خوفًا على حياتى وهربت السيدة إلى نيبال.

رسوا : كنت أسمع أنهم سيسيطرون على بوندى فى خلال أربعة أيام لكن الوقت امتد لأكثر من أربعين يومًا

امرأؤ : أنت سمعت،...أما أنا فقد رأيت بعينى الناس وهم يهربون إلى لكهنو وقد تجمعوا هناك لدرجة أن كان بلكهنو مكانًا معروفًا للجميع باسم سوق بوندى .

رسوا : نعم لا أحب هذه الحكاية، أخبرينى عن المال الذى أخذتهِ من السيد فيضو ماذا حدث له؟

امراؤ : (بزفرة شديدة) لا تسأل عن هذا ؟

رسوا : نهبتم جميعاً فى هذا الانقلاب .

امراؤ : فى هذا الانقلاب نهب الجميع ولا داعى للأسف على ما نهب وضاع.

رسوا : ثم ماذا ؟

امراؤ : القصة معروفة فى كل الدنيا ، والذى حدث أننى هربت فى هذه الليلة مع فيضو. كنت قد حملت ما معى من متاع ونقود وذهب، ووضعته فى صندوق ووضعت فوقه ملابس كثيرة .

وكان يعيش مع السيدة رجل فاضل اسمه مير صاحب ... وكان مكانه فى منطقة امام بارى وكان يضع أمام بيته سريراً ، فجلست عليه أتحدث مع أخت مير صاحب التى أعطيتها حليى وما معى وطلبت منها المحافظة عليه حتى مجيئى من فيض آباد وعانقتها ، ومضيت إلى حال سبيلى.

وكانت جميع المنازل قد نهبت فى هذا الانقلاب حتى القرى إلا هذه السيدة - أخت مير صاحب - فلم ينقص منها شىء ، وأمثال هؤلاء الناس لا يحدث لهم شىء حتى لو انطبقت السماء على الأرض أو أتى يوم القيامة .

رسـوا : أولا ، كـم مـن الـمال ضـاع منك ؟

امراؤ : كـان تقريبـاً حوالى عشـر أو خمس عشـرة روبيـة.

رسـوا : مـاذا حـدث ؟

امـراؤ : الذى حدث أنه فى نفس الطريق الذى أتى منه المال ضاع فيه ..

رسـوا : لكن هؤلاء الناس مـشـهـورون جـدا ، ولا يمـكن أن يأخـذوا منك حبة واحدة ولا ذرة وجميـع الـمال لديك .

امـراؤ : لو كـان عنـدى مـال ما كانت هذه حياتى ولا حـالى .

رسـوا : يقـول الناس إنك جئت من مـخـبئك وإنك أخـرجت مـا كنت تخفينه ، ولم لا فمن أين تنفقين ؟ ولو كـانت حـالتك سـيئة مـا كـان عندك خادمان وتلبسين أجمل الملابس وتأكلين أطيب الأطعمة.

امـراؤ : الله هـو الرازق ، وبحكمـه نجـد مـا ننفق منه ، أمـا المال الذى تسأل عنه فلـم يبـق منـه خردلة واحـدة.

رسـوا : حسنـاً ، ثـم مـاذا ؟

امـراؤ : مـاذا أقـول لك ؟ أحـد المحسنـين.

رسـوا : فهمت ، أهـذه حركـة مـن جـوهر مـرزا .

امـراؤ : لم أقـل ذلك ، وربمـا يكـون قياسـك خطـأ.

رسـوا : ممـا لا شك فـيـه أنـه لا يوجـد مـثـيل لك فى رقـتك ، وذوقك العالى ، هو يصنع العجب وأنت لا تسـألينـه أى سـؤال .

امـراؤ : مـرزا صـاحب ......إن للغـانيات عادات وتقاليد،..... سواء أبقى منهـا شـىء أم لا ... فلمـاذا تسـألنى عنهـا الآن وقـد تركـت ذلك منـذ فتـرة مـن الزمـن.

رسـوا : هـل يحضـرون إليك إلـى الآن ؟

امـراؤ : يحضـرون إلينا وأنـا أذهب اليهم وأننـى أحب زوجته – تقصد زوجة جوهر مرزا – ومنذ أربعـة أيـام أرسلت لى مـع أحـد الأولاد لـبنًا .

رسـوا : هـل كـانت عطـاياهـا تصـل إليـك ؟

امـراؤ : لم ... لا، إننى أقبـل أى شـىء يعطيـه لـى أى إنسـان.

رسـوا : وهـل نـجى مـال جـوهر مـرزا مـن السلـب ؟

امـراؤ : يـا سـيـد مـرزا، ..... الـمـال لم يبق منه شـىء فى اليد بقى الحديث عنه ...... وعلينا أن نقدم التضحيات الآن ...... فرغم أننـى لا أعيش جائعة أو عارية لأنه من فضـل الله علينا لا زال هنـاك بعض الإحـتـرام لى – عند الناس – وأنـا لا أتكلف فـى شـىء .

رسـوا : لا يوجـد شـك فـى هـذا ....كمـا قلت لك أولا إنك الآن أفضـل من الأول آلاف المرات، وهذه ثمـرة نيـتك الطيـبـة ...وأمنيـتى – أن أزور كربلاء وأرى ترابها العزيز – والله يبـارك مثـل هـذه الزيـارة.

امـراؤ : نعـم المولى سبحانه وتعالى يعلم نياتنا جميعا وهذه أمنيتى، والله يعطينا على قدر نياتنـا .

سأذهب إلى كربلاء مرة أخرى

وأقبل ترابها الغالى

يا سيد مرزا ، هذه رغبتى أن أذهب إلى كربلاء ولا أعود منها ، والله يعلم أن لكهنو تسيطر على رأسى ، وعندما يأذن الله سأذهب إلى كربلاء ولن أعود.

اسمعوا حكايتى المريرة

وستجدون لذة فى سماعها

ذهبت السيدة من - بوندى إلى - نيبال - وكان السيد قطب الدين قد استشهد فى الانقلاب وواجهت مشاكل عديدة فنزلت فى منطقة - سرائى بولئى - ثم استأجرت غرفة فى فندق واتخذت خادمًا لى . وأقمت فى فيض آباد لمدة ستة أشهر ، التى كان جوها وهواؤها يناسبنى فتعلق قلبى بها ، كان يحضر مجلسى على الأقل من ثمانية إلى عشرة رجال ثم بدأت شهرتى وأغانى فى جميع أرجاء المدينة ، وبعد ذلك تدفق علىَّ آلاف الرجال، فكانوا يأتون إلى حجرتى ويمدحوننى ويتمنون خروجى إليهم ، وكان ذلك يبعث فى نفسى السرور.

وكنت أسرح بخيالى وأتذكر أيام طفولتى فكنت أشعر بالحماس إلا أن أحداث الانقلاب وانتزاع السلطة من السيدة لا تفارق مخيلتى ؛ مما سبب غلظة فى القلب وأحيانا كنت أتخيل صورة أبى وأمى ، والله يعلم هل هما من الأحياء أم من الأموات، فلو كانوا أحياء فماذا يريدون منى ؟؟ فلهم عالمهم ولى عالمى الخاص.

ومع أن الدم يجرى فى عروقى بحرارة إلا إننى لم أجد رجلاً يستحق الغيرة عليه رغم أن الجميع يحاولون مقابلتى ومواساتى وعندما كنت أتذكر بيتى والأحاديث التى كانت تدور فيه فيتعكر مزاجى وكنت أتذكر الظلم فى لكهنو فيحزن قلبى إلا إن الانقلاب العسكرى أثر فيه أكثر.

ولست أدرى من هناك الآن ، ولمن أذهب ولا أعلم أن الهانم على قيد الحياة أو لا وماذا حدث؟ ولماذا ألجأ إليها الآن ؟

وهل الحكومة القادمة ستنتصر ؟ ولم أكن أرغب أن أعيش أسيرة عند الهانم. ولكن لى أمانة عند أخت السيد مير فكيف أجدها وقد نهبت لكهنو ؟ كلها حتى دار السيد مير نفسه ، والتفكير فى هذا الموضوع لا طائل منه ، وإذا كان بيت السيد مير لم يسرق أو ينهب فليس له ضرورة الآن ، فالذهب فى يدى وفى عنقى ، الذى ألبسه ليس قليلا .

فى يوم من الأيام، بينما كنت أجلس فى حجرتى قدم إلى رجلٌ حسن المظهر ، وكنت أتناول التمبول وأجهز النارجيلة ؛ فعرفنى بنفسه وأخبرنى عن حاله ، واستوثقت منه فعرفت أنه إنسان عزيز على السيدة ، وأخذت أتبادل معه أطراف الحديث ، وأخذت أستفهم شيئًا فشيئًا كمن يضىء شمعة فى ظلام القبر ، فأخذت أحدثه عن الموظفين القدامى :

امراؤ : من بقى معكم من الموظفين السابقين للآن ؟

النائب : مات أكثرهم والباقى من الجدد، والآن لم يبق أحد فى المصنع، فقد تغير النظام تماماً .

امـراؤ : هـل كـان بين الـحراس القدامـى رجـلٌ عجوز ؟

النائـب : نعـم وهـل تعرفينـه ؟

امـراؤ : قـبل الانقـلاب، جئت فى أول المحـرَّم إلى فيض آباد وكنت قد ذهبت لزيارة المقبرة وإضـاءة شمعـة عليهـا فطيـب خاطـرى.

النائـب : أتقصـدين ذلك الرجـل الـذى فقـد ابنتـه ؟

امـراؤ : لا علـم لى بـذلك ؟ ثـم قـالت فـى نفسـهـا : ألهـذا الحـد اشتهرت قصتى ؟

النائـب : نعـم : يوجـد هـنـاك العـديد من هؤلاء الحـراس ولا زال البعض منهم إلا أن المسئول عـن الإضاءة فى هـذا المكـان قبـل الانقـلاب لا يزال كما هو؟

امـراؤ : وكـان معـه ابنـه ؟

النائـب : وأنـت أيـن شاهـدت هـذا الولـد؟

امـراؤ : كـان مـعـه فى هـذا اليـوم ، ولـم أشـاهـد أحـدًا مـثلـه. فاقتربت منه وتحدثت معه.

النائـب : أولا أمـا عن الحـارس فقد توفـى قبـل الانقـلاب وابنـه أخـذ مكانـه.

ثم أغلقت الحديث فـى هذا البـاب وأخـذت أسـتفسر منـه عن بعض الأحـوال من هنا وهـنـاك ، ثـم أمـرنـى النائـب أن أغنـى له بعض الألحـان،

فأسمعته لحنين فسعد كثيراً ، وأمضى الكثير من الوقت فى هذه الليلة معى ثم ذهب إلى منزله ، وبعد أن سمعت خبر وفاة أبى حزنت وأمضيت الليل كله أبكى ، وفى اليوم التالى بدون وعى منى أراد قلبى الذهاب كى أرى أخى، وبعد يومين أخذت أستعد للرحيل لأعرف ماذا حدث هناك ، لكنى لا أتذكر اسم المكان إلا إننى أتذكر أن بهذا المكان شجرة تمر هندى قديمة ، وأسفل هذه الشجرة فرش حتى يتساقط عليه التمر الهندى وأسفل منه قناة للمياه ، والناس يعيشون أمام القناة وخلفها وكان هناك جمع كبير من الرجال والنساء ، وظللت أبحث عن المكان من الساعه التاسعة حتى الثانية عشرة وشعرت بوحشة فى هذا المكان ، إلا إن قلبى كان مضطربا وبدأ يخفق بسرعة ويحدثنى أنه نفس المكان، وأنها هى شجرة التمر الهندى التى كنت ألعب تحتها وكنت أشارك الناس تحتها فى جلساتهم ، وكنت أعرف بعض الناس الذين رأيتهم. وبعضهم محيت صورته من مخيلتى. وأضيفت لهذا المكان بعض المنازل الأخرى التى كانت تشككنى أن هذا المكان ليس هو.

عندما أمعنت النظر فى البوابة الكبيرة تأكدت أنه نفس المكان، وحدثنى قلبى أن أدخل هذا المكان وأنحنى على قدم أمى أقبلها ، ولكن لم تأتنى الجرأة لأن أهل هذه القرية يعدوننى من الغانيات.

والسبب الثانى أننى أفكر فى شرف أبى وأخى ، وقد علمت من حديث النائب أنهم يعرفون قصة ابنة الحارس التى ضاعت، فقلت فى

نفسى وماذا فيها ؟ إنه لا يفصلنى عن أمى سوى هذا الجدار ، وأنا جئت إلى هنا فكيف لا آراها فهل لى عذر بعد ذلك ؟ وبينما أنا فى حيرة من أمرى ، قدمت إلى سيدة تسألنى ، هل أنت من لكهنو؟

امراؤ : نعم ، شعرت بعدها أنه أسقط فى يدى .

المرأة : حسناً ، تفضلى، تعالى إلى هنا، هل تريدين أن أنادى لك على أحد ؟!

امراؤ : حسناً ، وذهبت معها وكنت أتعثر فى مشيتى أرفع قدماً وأضع الأخرى. فأخذتنى المرأة إلى بوابة هذا المنزل وفهمت أنه بيتها . وفى دهليز المنزل أجلستنى على أحد الأسرة وعلى مدخل البوابة توجد ستارة تقف خلفها امرأتان تتأملاننى .

فسألتنى إحداهن : هل جئت من لكهنو؟

امراؤ : نعم .

المرأة الثانية : ما اسمك ؟

امراؤ : أراد قلبى أن يقول - أميرن - ولكنى لم أطمئن لذلك فقلت امراؤ جان .

المرأة الأولى : هل لكهنو موطنك ؟

امراؤ : لم أستطع التحكم فى دموعى التى انهمرت كالمطر ، إن موطنى هذا المكان حيث أقف .

المرأة الأولى : هل أنت من سكان بنكلة – فيض آباد – ؟

امراؤ : وكانت دموعى تنهمر وبصعوبة أجبت نعم ...

المرأة الثانية : هل أنت من الغانيات؟......

امراؤ : أنا لست غانية ولكن القدر كتب عليّ ذلك ......

المرأة الأولى : لماذا تبكين ؟ ومن أنت ؟......

امراؤ : –جففت دموعى – بماذا أخبرك عنى ؟..... وإذا قلت فلن تهتمى.

والان لم يكن هناك تحكم فى أعصابى،.... وكان قلبى يدق دقا عنيفا فى تلك الأثناء خرجت اثنتان من النساء فى يد إحداهما مصباح فأخذت تتمعن فيّ بدقة من رأسى حتى أخمص قدمى – من فمى إلى أذنى – ثم قالت للأخرى انظرى ؟......

الثانية : ماذا ؟.....

الأولى : ألم أقل لك إنها هى؟.......

الثانية : إنها هى أميرن ...فعانقتنى وبدأت البنتان والأم فى البكاء ... ثم جاءت امرأتان أخريان عليهن وبعد ذلك حكيت لهن قصتى. فسمعتها أمى وهى جالسة تبكى وأمضينا الليل كله ونحن جلوس حتى أشرق الصباح،.... واستأذنت فى الذهاب فرمقتنى أمى بنظرة لن أنساها،.. حيث لى العذر لأننى أريد الذهاب إلى حجرتى قبل شروق الشمس

وفـى اليـوم الثانى سـأترك هذا المنزل وسـأخـذ أمـوالى وأمـتـعـتى ، وأنا بالحـجـرة رأيت العروسـة التى كـان أبى قد اشتـراها لى بنصف روبية ، واللـه يعلم أن حـالى فـى هـذا اليـوم مـن أفـضل الأيـام التى مـرت علـى ، إلا إننى بعـد أن أغلقت باب الحـجـرة، بدأت أبكى كـثيرا وأنـا مسـتلقـيـة على السـريـر.

وفى مساء اليوم الثانى تقريبا ، حـضر شاب أسمر اللون تقريباً فى الثـانيـة والعـشـرين من عـمـره يضع على رأسـه عـمـامـة ويرتدى مـلابس العـسكر، وجـاء إلى حـجـرتـى وأنا أعطيت لـه النـارجـيلة ثم فـتـحت علبـة التمبول فلم أجد فـيها شيئا ، فناديت على الخادمة فى الخفـاء وقلت لها أحـضـرى لى تمبـولا مـن السـوق. وبالصـدفـة لم يكن أحـد مـوجـوداً فى هذا الوقت سواى وهـو فى هـذه الحجـرة.

الشـاب : هـل سـتـرحلـين غـداً ؟ قـالـهـا بلـهـجـة حـادة فـارتـعـدت خـوفـا منـه.

امـراؤ : نعـم .

أثنـاء الكـلام صـوب أنظـاره ناحيـتى وكانـت عينـاه حمراويْن .

الشـاب : (بعـد أن أحنـى رأسـه) ، حسنـاً ، مـا اسـم عائلتك ؟

امـراؤ : الآن فهمت من هـذا الشخـص ، والله يعلـم من هـو؟

الشـاب : فهمنـا أنـك مـت ولست على قيـد الحيـاة حتى الآن؟

امـراؤ : كـنت أعيـش حيـاة بلا هـدف ولم أمـت، وأدعو الله أن أمـوت بسرعة.

الشـاب : مما لا شك فـيـه أن مـوتك خـيـرٌ لك مـن حـيـاتـك آلاف المرات، فـاذهبى فـالقى بنفسك فى النهر لعلك تغرقين ، أو تناولى شـيـئـا يقضى عليك.

امراؤ : لكنى لم أفهم أخى حتى هذا اليوم، مع أنه طيب القلب.

الشـاب : لو كـان عندك كرامـة ، فـالأفضـل ألا تـأتـى إلى هذه المدينة ولو جئت فـلا تـأتى إلـى هـذا المنـزل.

امـراؤ : نعـم أخطـأت كثيـرًا ولكـن لا علـم لى.

الشـاب : الآن عرفـت .

امـراؤ : مـاذا تريـد؟

الشـاب : (بغـضب) الذى حـدث حـدث ، ثم وقف وأخـرج من وسطه سكينة وقبض بيديه علـى عنقـى ووضـع السكينـة عليـه.

فى هذه الأثناء جاءت الخادمة وقد أحضـرت التمبول من السوق ، وعندما رأت حالى صرخت طالبة النجدة قائلة : تعالوا .. الحقونا ، هناك من يريد أن يقتـل السيدة .

الشـاب : بعد أن رفع السكينة من على عنقى وترك يدى لماذا أقتـل هـذه المرأة ومن هـى؟

قـال ذلك ثـم استغرق فـى البكـاء ،

امـراؤ : لا أزال أبكى منذ أن وضـع السكينة على عنقـى خوفـا على حياتى وعندما تركنى وبـدأ يبـكى ، استغرقـت أيضـا فـى البكـاء .

أما الخـادمة فكانت قد صـرخت صـرخة أو صـرختين للاستغـاثة عندمـا رأت حـالتى فـأشـرت إليـهـا ألا تفـعـل فـصـمـتت وظلت واقـفـة فى مكانها وكنـا نبكى سويـا بحرقة .

الشــاب : سامحـينى ، الأفضل أن تتركى هـذه المدينة .

امـراؤ : غـدا سـأرحل ، ولكن اسمح لى أن أرى أمـى .

الشــاب : هــذا يكفـى ، سـامـحـينـى على غلظة قلبى، وغـداً سـتـدعـوك أمك ولن أكون هناك فى هذا الوقت يمكنك الذهاب إلى أمك حتى لا يتكلم الناس علينا فى الحى؟

امـراؤ : لقد رأيتنـى وأنا لا أهتم بإزهاق روحـى، لكننـى أخاف عليك فلديك أطفال وأتمنى سـلامتك وأتمنى أن تعيش بخير وعافية .

الشــاب : لوجـه الله ، لا تتحدثـى عنـى لأحـد ؟

امـراؤ : حسنـاً .

ثم مضـى إلى حال سبيله وكنت فى حزن شديد ، فـبدأت الخـادمة تتحدث من هذا؟

امراؤ : هذا مكان غانية يأتيه آلاف الرجال ؛ فلا يهمك من هو؟
فأغلقت باب الحديث مع الخادمة ، وظللت الليل كله نائمة وعندما أشرق الصباح بدأت فى الاستعداد للسفر إلى لكهنو ، وفى المساء دفعت أجرة الحجرة وشكرتهم ورحلت عن المكان.

الفصل الثالث

لا تسألنى كيف تمضى أيام حياتى

ذهبت إلى لكهنو ونزلت عند الهانم فى نفس الدار وفى نفس الحجرة ، حتى أنا خرجت مثلما خرج بعض الناس وذهبوا إلى مدينة كلكتا والبعض الأخر ذهب إلى مدن أخرى فى الأيام السابقة ، وكان يسرى فى المدينة نظام جديد وقانون جديد ، وكان آصف الدولة فى قلعة الإمام بارى ، وقد أحاط الثوار بالقلعة من الأطراف الأربعة ثم بدأ إطلاق الرصاص من باب القلعة حتى النهر ، ثم بدأ السلب والنهب فى جميع الأماكن وقد خرج الناس إلى الشوارع فى حلقات متصلة، وبدأوا يسكنون فى الحارات والأزقة ، وكانوا يستحمون فى الترع والقنوات ، المهم أن هذا كان حال لكهنو فى هذا الوقت وأنا أقمت فى مكان الهانم أربعة أشهر ثم استعملت حيلة لطيفة حتى سكنت فى حجرة بمفردى.

ومع تقلب الزمان تبدلت أحوال الهانم وأصبحت غير مكترثة فى بعض الأحيان لدرجة أن الغانيات انفصلن عنها واحدة بعد الأخرى ،

ولم يكن لديها اهتمام بالمال ، لدرجة أننى عندما انفصلت عنها كنت أظن أن هذا رغم إرادتها ، وبعد يومين أو ثلاث ذهبت إليها لأسلم عليها .

فى هذا الزمان كان النائب محمود على خان يقدرنى وكان قد حضر عندى منذ عدة أيام وأمر لى بخادم ، وبعد هذا أصبحت تابعة له ، وكان يريد منى أن أمتنع عن مزاولة مهنتى طالما أننى أعيش فى لكهنو ، كما طلب منى أن أمتنع عن مقابلة أصحابى وأصدقائى القدامى.

ولما رأيت هذا من السيد النائب محمود على خان رأيت من الأفضل ألا أتعلق به ، فإذا به يقيم دعوة فى المحكمة أنه تزوجنى فوقعت على هذه الدعوة كنزول الصاعقة فأنفقت مالاً كثيراً على هذه القضية للدفاع عنى .

ثم حكمت المحكمة الابتدائية لصالح السيد النائب ، فاختفيت وهربت لمدة طويلة، وكنت أتجول فى الخفاء سراً ، ثم تعرفت على محامٍ فى محكمة الاستئناف والذى نجح فى حسم القضية لصالحى. وخسر النائب القضية والذى رفض بدوره قبول هذا الحكم فرفع دعوى فى المحكمة العليا وهناك أيضا خسر القضية ؛ فبدأ يضايقنى ويهددنى بالقتل وجدع أنفى.

وفى هذه الفترة عينت اثنى عشر رجلاً حراسًا لى، فحيثما ذهبت كانوا معى ، وأمام المحكمة العسكرية أقمت دعوى بالوثائق

والمستندات والشهود ، ومما لا شك فيه أن النائب ليس رجلاً هيناً ، ورغم تشديد الحاكم وأخذه التعهد عليه بعدم التعرض لي إلا إن الدعوى ظلت في المحكمة ست سنوات ثم نجوت من هذه المصيبة بفضل الله .

في الوقت الذي رفعت فيه دعوى ضد السيد النائب أعطيت قضيتي لمحامٍ اسمه أكبر على خان وهو فريد في نوعه بين أهالي مهنته، حيث إنه وحيد عصره في الأعمال غير الشرعية في التزوير والكذب والادعاء ، وبسبب هذا كله كان له أعوان داخل المحاكم، والحق أقول لولاه ما استطعت أن أجثم على أنفاس النائب .

ورغم أن حكاية زواجي من النائب لم تكن حقيقية إلا إنه في المحاكم يقلب الحق باطلاً بسبب شهود الزور، وفي هذه القضية لو سرت فيها طبقا لفطرتي فلم يكن هناك بد من ثبوت الزواج؛ وذلك بسبب اثنين من رجال الدين من أصحاب اللحى ، على رأس كل منهما عمامة كبيرة ويرتدي كل واحد منهما عباءة فضفاضة وفي يده مسبحة وفي قدمه قبقاب ويقولان قال الله وقال الرسول ، ولما ذهب الاثنان إلى المحكمة وكانت هيئتهما على أنهما من الصالحين ولا تدل مطلقا على الكذب والخداع ، وكان أحدهما وكيلاً عن الزوج والأخر وكيلاً عن الزوجة ورغم شهادتهما إلا أنهما سقطا وسقط معهما السيد النائب في محكمة الاستئناف.

أما فى المحكمة العسكرية فقد أحضرت شهوداً لى كان قد أعدهم أكبر على ، ولم يمسك القاضى عليهما أى خطأ ، بينما وقع فى ورطة كبيرة شاهدا السيد النائب وكشف زيفهما ، وكان أكبر على يزورنى فى مكانى لفترة طويلة وصارت بيننا صداقة وأدى واجب الصداقة كاملاً معى ، لم يأخذ منى مليمًا واحدًا على أتعابه فى القضية بل اعتبر ذلك محبة منه لى ، وكانت تجربة ذاتية لى عرفت منها أن الأشرار ليسوا دائمًا هكذا، فيهم جانب الخير .

فى هذا الوقت كنا نسمع كثيراً عن اللصوص وكنت أتخذ أصدقاء لى منهم وأعتمد عليهم ؛ لأنه بدونهم لا تستمر الحياة لأنه لا يوجد شخص سيء بطبعه ، فكيف يعيش لو كان كذلك. وعندما كانت دعوى النائب تنظر فى المحكمة ما كنت أسمح لأحد بالمجيء أو الذهاب عندى ، إلا إننى كنت أرسل رسولاً فى الخفاء ليأتى لى بالأخبار حتى لا أخسر القضية. وكان أكبر على خان يذهب للمحكمة فى الصباح الباكر ويأتى إلىّ فى المساء ، وكان يظل حتى وقت متأخر ويصلى صلاة العشاء وكان يأتى بالطعام من منزله ؛ فحاولت بجميع الوسائل ألا يطلب الطعام من بيته لكنه كان يرفض وفى النهاية قبلت على مضض وكنت أتناول معه الطعام.

ثم بدأت أداوم على صلواتى ، وكان أكبر على خان يعشق مديح أهل البيت ، وكان يقوم بأعمال صالحة فى شهرى رمضان والمحَّرم من

كل عام مغفرة لذنوبه التى فعلها فى العام كله ، سواء أكان هذا صحيحا أم خطأ ، إلا إن هذا كان اعتقاده.

رسوا : إن هذه المعاملة من الإيمان ، لكن أخبرينى هل هذا الاعتقاد صحيح أم لا ؟؟

امراؤ : إنى أتفق معك فى الرأى .

رسوا : يقسم العقلاء الذنوب إلى قسمين : أحدهما الذنب الذى يظل أثره على نفسه ، والذنب الثانى الذى يصل أثره إلى الأخرين ، فى رأيى أن النوع الأول هو صغائر الذنوب والنوع الثانى الكبائر، ربما يكون هذا خلاف رأى الناس فالذنوب التى تتعلق بحقوق الأخرين لا تغفر إلا إذا عفا عنها أصحابها ، وفى هذا يقول الشاعر حافظ الشيرازى :

شعر فارسى

اشرب الخمر واحرق المصحف وأشعل النار فى الكعبة

واسكن مبعد الأصنام ولكنْ لا تؤذى الناس

رسوا !! تذكرى جيداً حقوق العباد ، إن الله عز وجل يغفر ذنوب العباد جميعًا ولو غفر العباد ذنوب بعضهم بعض ، معاذ الله ؟ فما معنى الألوهية ؟

امراؤ : يا سيدى ، نعم إننى مذنبة من شعر رأسى حتى أخمص قدمى ، وأخاف ذنوبى.

رسوا : هل ندمت من قلبك على ذنوبك كثيراً ؟

امراؤ : ماذا أقول ؟ إن البغاء حرفتي ، فكيف يندم قلب جمع بسبب هذه الحرفة آلاف الأموال ثم ضيعها ؟!!!

رسوا : فما جزاء هذا ؟

امراؤ : أنا لا أرغب في العقاب ، ولكن عندما كنت أفعل ذلك كنت أشعر بلذة في القلب وأنا لا أريد عقاباً على ما فعلت ولكني أتلذذ بالألم الذي أشعر به نتيجة الندم من قلبي عوضاً عما فعلت

رسوا : ما أحسن هذا؟؟

امراؤ : افرض أن أحد الأصحاب جاء وشاهد عرضاً لنا ثم قتل في محبتنا فما هو ذنبنا ؟ لا يستطيع أحد أن يلومنا ، نعم قلبنا يتألم لما حدث ، لكن هل هناك ذنب لنا ؟؟ وهناك رجل آخر يريد مقابلتي ويدفع لي أموالاً، وهناك من يريد أن يعتاد الحضور إليّ ولكني لا أرغب في مقابلته ولا يريده قلبي ، لكن روحه تعلقت بي فما هو ذنبي ؟؟ وأحيانا يأتي البعض عندي وكلهم يريدونني ويرغبون فيّ وأنا لا أرغب فما هو ذنبي ؟؟ إن ما يرونه مني يصدمهم ولكن لا حيلة لي.

رسوا : هؤلاء جميعاً يستحقون القتل بالرصاص، لكن يا سبحان الله !! ماذا أقول ألا يستحي أحد ؟ ولكن خبريني بالله عليك ، أتعدينني واحداً منهم ؟

امراؤ : لا.. لا قدر الله ، أنت رجل لطيف، ولست مثل هؤلاء الذين لا يرغب فيهم أحد فالجميع تحبهم ويحبونك.

رسوا : ماذا تقولين ؟ لا يوجد كلام أفضل من هذا، وهل يمكن أن يتحقق ما تقولين ؟؟

امراؤ : أنا لم أقرأ فى علم المنطق كثيرا، لكن يمكنى أن أقول إن الكلام مثل رجلين أحدهما عاقل والأخر أحمق.

رسوا : أعطنى مثالا لهذا ؟

امراؤ : هذا مثال قلته لك كما تريد .

رسوا : خيراً ، أريد أن أعرف كيف حالى معك ؟ الذى أرغب فيه يعرفه قلبى والذى ترغبين فيه معلوم لديك ، أكملى من فضلك المثال الثانى .

امراؤ : خيراً ، إذا لم تكن لديك رغبة فى سماع هذا، إلا أننى غندى شغف أن تسمع. اسمع المثال الثانى ، كمن يفترى على الله بالخداع.

رسوا : لا ، هذا المثال الذى ذكرته خطأ ، أعطنى مثالاً آخر

امراؤ : حسناً ، كما كان قيس يحب ليلى .

رسوا : تريدين أن تقولى مثلاً أغريقيا ؟

امـــراؤ : حـسنًـا ، مـثـل .... ثـم قـالت .... كلمــة نظيــر ثــم سكتت .

رسـوا : مـقـاطـعًـا إياها فى الحديث ، من فـضلك اعـفينى من هذا المثال ، وبهـذه المناسبـة فإننى أتذكر بيتًـا من شعـر مـالك اسمعيه وطبقيه على قصتك .

مــاذا أقــول عــن بـــلاء الحــــب

حتى موتنــا ليس فيــه عبــرة للأخــريــن

امـراؤ : أحقـًا هـذه معاملـة أهـل كلكتة ؟؟

رسـوا : كيـف وصلت إلى هذا المكان البعيد ؟ ألا يقطن مـثل هؤلاء فى لكهنو؟

امـراؤ : لا تـخلـو الدنيـا مـن أمثالـهم .

رسـوا : نعـم سمعت أنك كنت تجلسين فى بيت أكبر على خان

امـراؤ : لقـد سـمـعت منى، أن المحكمـة الابـتـدائـيـة حكمـت للنـواب مما اضطرنى إلى الاختفاء ، فذهبت فى هذا الوقت إلى بيت أكبر على خـان وظللت هناك لعـدة سنوات ، وكـان يعـيش فى هذا الوقت فى بيت أكـبـر ثلاثة نفر أحدهم أكبر على نفسه والثانى زوجته والثالث لا أذكر اسمه .

رسـوا : أنــا أخبـرك .

امـراؤ : جـوهر مـرزا ؟

رسـوا : كلا ؟؟

امـراؤ : إذن أخبـرنى مـن يكـون ؟

رسـوا : أخبـرينى أنـت :

امـراؤ : هـذه الفقـرة ستعطيها لأحـد .

رسـوا : أى فـقرة ؟؟ سـأكـتب عـلى هـذه الـورقـة ثـم أعطيـها لـك ثـم تخبرينى .

امـراؤ : هـذا حسـن .

رسـوا : كتـب ورقـة ثم وضعها ثـم قـال الآن أخبـرينى .

امـراؤ : الثـالث الـذى تريـد أن تعرفـه هـو أنـا .

وكـان رسـوا قـد كتـب فى الورقـة أنهـا هـى بعينهـا –امراؤ جان أدا –

امـراؤ : عجبـاً يـا سيـد مـرزا !!! وصلتـك الأخبـار صحيحـة .

رسـوا : هـذا كـرم منـك ، فكيـف أمضيـت الوقـت ؟

امـراؤ : اسـمع منى كـيف أمـضيت الوقت ، أولاً أنزلونـى فـى مكـان صـغير فى بيتهم بينه وبين المكان الذى يعيشـون فيه نافذة ، وكان صـغيراً متسـخًا مبنيًـا من الطوب اللبن وسقفه من القش وأسـفل منه أعد مـوقدان

وقلت فى نفسى ما هذا ؟؟ وفهمت أن هذا مطبخ وهذا ما يفهمه الجميع. وعشت فى هذا المكان وكان السيد أكبر على خان يزورنى فى هذا المكان وصار صديقى ، وكان هناك شيخ جدير بالاحترام وله مكانته ، وهو الشيخ أفضل حسين الذى كان ينادينى بأختى وبدون مقدمة نهرنى وضيق على عندما طلبت له التمبول، وقال لى على كل حال يا أختى الأفضل لك ألا تأكلى التمبول ، وامتنعت ليومين ولكن أين الصبر ؟ ، فقد وضعت علبة التمبول فوق رأسى.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت صديقة وأفضل حسين ، وسيطر على كما يسيطر أحد الناس على مال مورثهم ، وقال لى عندما يراك الناس تأكلين التمبول بدون وعى ينفرون منك ، إلا أن آثار التمبول لا تزال عالقة بأصابعى وطعمه لا يزال على لسانى ، وعندما لاح لى منظر التمبول أبعدت الأشياء التى يعد منها التمبول بعيداً عنى ووضعتها فى علبة وأغلقت عليها.

فى هذا الوقت كان يأتى عندى رجل واحد اسمه لا أتذكره الآن . وهو من أقرباء أكبر على وكان هذا الرجل يأكل التمبول أكثر الوقت لدرجة الإسراف ، كان علاوة على هذين الصديقين - أكبر على خان وأفضل حسين - كثير من الأحباب غيرهم ، من بينهم من لديه رغبة واهتمام بقضيتى فى المحكمة وكانوا يبحثون عن ثغرات فى القانون ليل نهار. وعندما كان السيد مرزا يأتى كنا نوقف الحديث عن هذه القضية

لأنه كان ينفر من سماع أى حديث عنها. وبعد عدة أيام بدأت أتضايق وأشعر بالوحدة ، لكن ماذا أفعل سأظل فى هذا المكان وسأظل هكذا طالما أن القضية معروضة فى المحكمة .

وفى يوم من الأيام ذهب أكبر على إلى فيض آباد بسبب القضية ، ثم جاء أفضل حسين ابن قريتى ولم يكن فى المكان سواى ، وكان الباب مغلقاً وكنت أعيش بمفردى. وبعد فترة فتح الشباك الموصل إلى حجرة النساء ، وكانت المتطلعة منه زوجة أكبر على فسلمت علىّ ووضعت فى فناء المنزل سريراً ووضعت بجواره سريرى ، وظلت واقفة صامتة لفترة من الوقت ثم قالت يا سبحان الله .... اجلسى !!

امراؤ : لقد مننت علىّ كثيراً بإذنك لى اليوم بالبقاء هنا .

الزوجة : إذا شعرت أن مجيئى إليك يضايقك فسأمضى إلى حال سبيلى الآن .

امراؤ : كلا ، يا سيدتى إنه منزلك ولا يليق بى أن آمرك بشىء .

الزوجه : لا تقولى هذا الكلام ، إذا كان هذا منزلى فهو أيضا منزلك .

امراؤ : كلا ، الله يعلم أن هذا المنزل لك ولسيدى .

الزوجه : إنك تجلسين بمفردك ونحن بشر ، لماذا لا تروحين وتأتين ؟؟ أم هذا حكم صاحب البيت ؟؟ .

امـراؤ : لا لـيـست أوامـر صـاحـب الـبـيـت، وعندمـا أرغب فى شـىء لابد أن أستأذن منـك وبموافقتـك اسمحـى لـى أن أذهـب .

الزوجـه : حسنـًا ، تفضلـى .

فذهبت لرؤية المكان الذى من الله به علىّ، فوجدت فيه أوانى كبيـرة وأخرى صـغيـرة وأكوابًا وقدورًا وأباريق كمـا توجد بعض الأسـرة التى عليها فرش لا نظير له ، وفى الفناء حلقة كبيرة على هيئة مطبخ تعد فيه الخـادمة الطعـام ، ولكنه محـاط بكمية كبيرة من القمـامـة والذباب منتشـر فى كل مكان والمكان كله قذر ، وكـان صـاحب البيت قـد طلب من زوجتـه أن تضـع أمامـه علبة التمبـول ، والذباب على سرير هذه السيدة تجمع فى حلقات كبيرة وعلبـة التمبـول كانت قذرة لدرجـة أن القاذورات غطت على التمبول ، ولما رأيت هذا المنظر كدت أخرج ما فى جوفى ، فجاءت الزوجة وأخرجت العلبة وقدمت لى التمبول فأخذته منها، ثم جاءت عجوز من أحد الأحـيـاء المجـاورة وتربـعت على الأرض جـالسـة ثم أشـارت ناحـيـتـى ، وسـألت الزوجـة قائلـة مـن هـذه ؟؟ .

الزوجـة : مـاذا أقـول لك الآن ؟

وكنـت أجلـس صـامتـة

فقالت العجوز لزوجة أكبر على واعجباه !!! أنا أعرف مثلها ؟

امـراؤ : سيـدتى ، أنـت تعرفيـن فلمـاذا تسـألين ؟

العجوز : واعجباه ! أنا لا أتحدث معك ؟ ولكنى أسأل زوجة ابنى فأنت من علية القوم ولم يخرج من فمى كلام غير لائق لك ، أنت من علية القوم .....

امراؤ : فنظرت إلى وجهها وظلت صامتة .

الزوجه : عجباً لك أيتها العجوز !!! فكلامك جارح كالأشواك .

العجوز : لم تخفين عنى هذا الكلام ، أنحن أعداء ؟ نحن نتحدث عنها كلاماً طيباً وأنت عكسته

الزوجه : التزمى الصمت أيتها العجوز .

ثم قالت الزوجة لامراؤ : أى منزل تريدين أن تستأجريه ؟

العجوز : لماذا تستأجرين البيت الآن ؟ سيأتى أناس جدد نحاسبهم على إيجار جديد فضحكت على ثرثرة العجوز ثم أعرضت عنها بوجهى .

الزوجة : لم لا ؟ ثم نظرت إلى امراؤ جان وهى تقول للعجوز، هل أنت ضرتى ؟ اسمعى هل أنت الزوجة الأولى لأكبر على خان ؟ فلو كنت كذلك لكنت ضرتى وأنت الأصل وأنا بعدك.

العجوز : هل هى ضرتى؟ سنعمل مثل الضرائر، ليس من اللائق ؟ أن تقولى مثل هذا السباب ولا أريد أن أقول لك كلاماً قذراً، يا من تكسبين

قـوتـك مـن الحـرام ، وبمـصـاحـبـة أهـل العـبـث والـمـجـون ، مـاذا أتعلم منك ؟؟

لقـد مـرت على أيام عـديـدة عشت فـيـهـا مـع والـد أكبـر على خـان ، لم أجرؤ فـيـهـا أن أتحـدث مـعـه ولو بـنـصـف كلمـة ، وأنت دائمًا تعنفـيننى تنهريننى وكيف لمن فى سن زوجة ابنى أن تسـب عجائـز الـحى ؟؟

الزوجـه : بـغـضـب .....أنـا قلت لك يا أم مـدن لا تـأتى إلىّ الـيـوم، ولكنك جئت فمـن فضـلك . اذهـبى عنـد الـهانم الكبيـرة.

وكنت فـى قـمـة الـغـضـب فـرأيتـهـا امـراة سـوقـيـة مـن يسـتطيـع أن يغلق فمـها، فظللت سـاكتة .

العجـوز : لقـد حـل علينـا البـلاء ؟

الزوجـه : لقـد جـاءت لتشمت فينـا وتـضـايقـنـى ، وهـل سـتـسـتـمـرين فى المضايقة ؟

العجـوز : هـل أنـا جاريتك ؟ مع العلم أننى لا آخذ منك شيئًا ..

ثم نهضت خارجة قائلة من أجل الكلام الذى قلتـه لى لا آتى عندك .

الزوجـة : علـى كـل حـال لا تـأتـى .

العجـوز : بالعكس سـأحضـر لأرى مـاذا ستفعلين بـى ؟؟

الزوجـة : تعالى ، فسـأضربك بالحذاء على رأسك حتى يتساقط شعرك .

العجوز : أهذه قوتك ؟ قوة احتمالك ، ما الفائدة أن تقولى إنك ستضربيننى بالحذاء رغم أنك تعلمين أننى امرأة عجوز لا حيلة لى ؟!

الزوجة : لذا انصرفى من هنا ، وإلا فالحذاء فى يدى .

العجوز : (بعد أن ارتعدت) اليوم ستضربين أختك الكبيرة بالحذاء سأخبر أباك ، وعندما سمعت الزوجة أن العجوز تذكرها بأبيها احمر وجهها وارتعدت من الخوف.

الزوجة : ابعدى عن هنا ، قلت لك ابعدى عن هنا .

العجوز : سأذهب قبل أن أضرب بالحذاء .

الزوجه خاطبت امراؤ قائلة : هى دائما تقف ضدى ولن تتركنى إلا إذا خافت من الضرب .

امراؤ : اسمحى لى بالانصراف ، هذا هراء .

العجوز : لامراؤ لا تتكلمى ولا تقولى شيئًا ، وإلا أسمعتك ما لا تحبين ....

فأمسكت الزوجة بحذائها القديم وضربتها به ثلاثاً ، ثم قالت الآن ستهدئين .

امراؤ : انصرفى يا سيدتى ، وأمسكت الحذاء من يدها .

الزوجه : لا ، لا تتكلمى ، سأضرب هذه الحمقاء .

العجوز : اضربى ، اضربى .

وأمسكت الزوجة الحذاء وضربتها به أربع أو خمس مرات . فجلست العجوز على الأرض ، وأخذت تضرب بيديها على رجليها وهى تندب حظها ، وتقول للزوجة :

العجوز : أتضربيننى بالحذاء ؟! الآن برد قلبك ، أخرجى نار الغيرة من قلبك .

ثم نهضت الزوجة وانصرفت عند أميرن فى المطبخ ، ثم ذهبت الخادمة العجوز إلى الهانم الكبيرة وهى تندب حظها وتضرب بيديها على صدرها وتقول :

العجوز : انظرى يا سيدتى ، بعد هذا العمر الطويل ، أضرب بالحذاء .

الزوجة : ما كنت أعلم أنك ترغبين فى الضرب بالحذاء حتى تمضى، ولم لا ؟ وفى النهاية ماذا تريدين؟

العجوز : أشارت ناحيتى ، وقالت أتأكلين مالى وتضربيننى ؟

وكانت الهانم الكبيرة موجودة ولم تكلمنى .

الزوجة : اعرفى اسمها .

العجوز : سأتعرف على اسمها لأنظر ماذا تفعلين .

الهانم الكبيرة : ما سبب هذا الذى حدث ؟

العجوز : لأننى سيئة الحظ ، سألتها من هذه ؟ هل فى هذا جرم ؟!

الزوجة : قلت إنك تعرفينها ثم تسألين عنها ، فماذا تريدين ؟!

العجوز : سأخبرك بغرضى ، وتعرفين أننى لا أخذ بثأرى لأنك ضربتنى .

الهانم الكبيرة : ابتعدى أيتها العجوز الحمقاء ، وهل ستنتقمين ؟! الا تذكرين شيئًا من إحساننا عليك ؟

العجوز : أنا لم أقل لك شيئًا .

الهانم : قولى ما تشائين .

الهانم : خذى مشابك الغسيل الخاصة بك ، وخذى الذى لك هنا واخرجى.

العجوز : حسنًا سأذهب وأمضى إلى حال سبيلى .

بعد هذا الكلام نهضت العجوز واقفة وخرجت فى زهو وكبرياء وخرجت مسرعة وهى تقول العجوز : لماذا لا أجىء إلى هنا سوف آتى .

الهانم لزوجة ابنها : أخيرا ، لماذا تتشاجرين مع هذه الحمقاء ؟.

الزوجه : أمى العزيزة ، أقسم بحياتك لم أقل لها شيئًا، كنت أقف كما تقفين فى مكانك ثم جاءت العجوز وأسمعتنى مئات الشتائم ، كما أسمعت هذه المسكينة أيضًا .

وعندما رأت الهانم الكبيرة غضبى وحنقى على العجوز ظلت صامتا ولم تعبأ لذلك ، لأنها فهمت أننى السبب فى حالة الجنون التى وصلت إليها المرأة العجوز .

وأنا قد صدمت صدمة شديدة من تصرفها ، ولذلك نهضت وذهبت إلى غرفتى ، وبعد ذهابى وجهت الهانم الكبيرة حديثها لزوجة ابنها قائلة : بنيتى قدمى طعامًا لهذه العجوز ، اعتبريها قطة من القطط البرية ولا تضايقيها.

امير : حسنًا ، سأذهب إلى هذه العجوز سليطة اللسان وسآخذ حقى منها، أنها كانت تعيرنى بعملى فى الحانات ومن أعرف من الرجال ؟ وسأستفهم منها عن هذا كله لقد حلت هذه المصيبة على رأسى وكيف أحضر هذه البلوى بنفسى .

الهانم لأميرن : أكان لك حاجة عندما جئت من المنزل إلى هنا ؟ الآن لا داعى للجلوس فى الخارج كما ترغبين ، وماذا ستفعلين فى المنزل ؟ فبعد غد ستقابلين حسين باندى والد أكبر على خان فأنا لا آمن عليك يا أميرن ، ولكن تذكرى جيدًا أنك ضيفتى اليوم ، وغدا

سترحلين إلى البيت الذى اختاره لك السيد حسين باندى ، ومن سيقدم الطعام لهذه الحمقاء التى لا تفرق بين معدتها ويدها ، فإننى لا أفهم فيم تفكر بنات هذه الأيام.

أمين : حقًا يا سيدتى ، أولا نبحث لنا عن بيت لأن الناس يتكلمون عن رجل يسمح باستضافة أمثالى من النساء ، الساقطات .

الهانم : يا بنيتى لو أن رجلاً ذهب ثم عاد مرة أخرى ، هل سيجلس فى وسط النساء ؟

اتركى الحديث عن الغد، إنك ستعيشين فى هذه الأيام فقط فى منزلنا حتى يأتى حسين باندى بعد غد ، ثم ستعيشين فى مكان مستقل ، ولقد سمعت أنه بحث لك عن مكان وأنه يعرفنى فقد رآنى من قبل ، وستجلسين يوماً بعد يوم فى فناء المنزل وستتحدثين بلغة الإشارة مع هذه الخادمة العجوز.

أميرن : أولاً يا سيدتى إننى طعمت من الطعام الذى أعدته زوجه ابنك ، وأينما يجلسنى سيدى سأكون حريصة إلى حد كبير فأفضالها طوق عنقى ، ومن فضلك أريد قليلاً من الماء والأمر الثانى أنه لا قيمة لبنات الهوى اللائى يتعرضن لمئات المضايقات وتحاول كل واحدة منهن أن تنقذ نفسها من هذه الحالة.

الهانم الكبيرة : ماذا تقولين ؟ أرجو ألا تهتمى بكلامى فالذين يتحدثون عن بنات الهوى لا يفهمون شيئًا عن أحوالهن ، دعيهم يتحدثون ، ولقد أعطيت زوجة ابن مرزا كل شىء ومعها جميع متعلقات الدين والدنيا ، إلا أنه ليس لها أولاد أو أقارب.

امیرن : نعم ، خذى هذا هل أنت لا تعرفينني ؟

الهانم : هذه علاقتى بها ، مثل ضرتى ، والأفضل لى ولها أن نعيش منفصلين ورغم بعدها عنى إلا أننى لا أنجو منها ، انظرى هذه المرأة البغيضة تقول كلامًا غير لائقٍ ، فهى تقول ألفاظًا قذرة ثم تقول دعاء ثم تقدم تعويذة لمن يريد.

امیرن : لماذا تسمحين لها بالمجىء إلى منزلك ؟

الهانم الصغيرة : عجبًا يا سيدتى !! إنها الخادمة ولم أكن أعرف أنها بهذه الدرجة من السوء فقد أحضرها زوجى، ومنذ أن أحضرها إلى هنا وأنا أطردها دائما .

أميرن : الله يعلم إننى أقول إنها تخدمك كثيرًا يا سيدتى.

الهانم : هذا قول صحيح ؛ فقد مضى الزوج إلى حال سبيله فكيف أسمح لها بالذهاب وماذا تفهم هذه العجوز الطاعنة فى السن.

أميرن : بدأت تضحك بصوت عالٍ : لا لا يا سيدتى ، عندما كانت تتوعدنى أن تأخذ بثأرها ؟

الهانم : هل أنا أقول كذبًا أو خداعًا ....

أميرن : يا زوجة أخى . أريد أن أقول شيئًا لا تحبينه، وهو أنك استعملت الحذاء فى حضور حماتك.

الهانم الصغيرة : يا سيدتى أين سيشاهد الناس هذا وأقول حقًا إننى تماديت فى الحديث بسبب لسانها السليط ، واليوم ضربت هذه المرأة العجوز بالحذاء فى حضور حماتى وغدا سأقتلها.

اميرن : لا ...لا قدر الله ، الكلام الذى تقولينه صعب .

ماذا تفعل زوجة الابن المسكينة مع هذه العجوز ؟ فى هذه الأيام تأتى العجوز وتضايق زوجة الابن التى تضربها بدورها وتأتى العجوز فى النهاية تشهق من كثرة البكاء ، فقد شعرت أنها جرحت كرامتى وأتمنى من قلبى لو أقطع لسانها.

سأظل أبكى ما بقيت صحتى .

ولا تقل إنى شفيت من ذلك .

امراؤ للسيد مرزا : الذى يضايق الإنسان إلى هذه الدرجة يكون بعيدا عن الإنسانية إلى حد كبير .

رسوا : أنا لا أريد أن أضايقك بكلامى ، فالعجوز كانت تقول الصدق فى ذلك الوقت ، والأم المسكينة جانبها الصواب ؛ فالحق هو الحق سواء قبلناه أو لا .

امراؤ : عجباً لك يا سيد مرزا ، إنك رجل عادل ؟؟

رسوا : في قرارة نفسي ذلك عدل إلى حد كبير في هذه المسألة ، وأنت لم تقصر كثيراً في هذا الموضوع والتقصير كله على عاتق زوجة أكبر على .

امراؤ : هذه المسكينة ما مدى تقصيرها ؟

رسوا : لو أن زوجتي فعلت مثل ذلك لاستدعيت لها المحفة وأرسلتها إلى بيت أهلها، ولا أرى وجهها ستة أشهر ، ولكن أريد أن أسألك سؤالا آخر ماذا فعل أكبر على خان عندما سمع بهذه الأحداث ؟

امراؤ : نهر المرأة العجوز قائلاً لها : اسمعي أيتها العجوز الشمطاء لا تأتي لمنزلنا لعدة أشهر ولا تأتي إلى هنا إلا عندما يحضر الخان الكبير ، وانتهت إلى هنا هذه القصة التي أغضبت زوجة أكبر على خان.

رسوا : إن عقل هذه المرأة العجوز كان متزناً .

امراؤ : عقلها متزن لكن وقع أقدامها أكثر ، كانت تذهب وتجيء كثيراً وكانت امرأة سليطة اللسان و ذات حنكة .

رسوا : أصبحت الآن تقولين مثلها، وهذا هو عين العقل ، حسناً . أريد أن تخبريني أكثر عنها هل كانت هذه المرأة العجوز في شبابها غانية أم خادمة في البيوت ؟ فمن هي بوا أميرن ؟

امراؤ : المرأة العجوز أم مدن – كانت فى شبابها غانية ، وبوا أميرن هى إمراة ريفية تسكن فى مكان ما فى مركز سنديلة ، ولها ابن شاب يعمل خادمًا عند الخان الكبير، ولها ابنة واحدة تزوجت بعيدا عنها.

رسوا : هل توجد علاقة بين السيدة بوا أميرن والسيد خان ؟

امراؤ : كلا ، والله أعلم ، أميرن امرأة جميلة وكانت فى شبابها غانية وجاءت إلى هنا فى رحلة عمل ومنذ ذلك اليوم لم ير عليها شيئًا سيئًا قط.

رسوا : لقد فهمت الآن هذه الأحداث بعد توضيحك لها ، والآن لم يبق أى سؤال أساله

امراؤ : وهل توجد أى قضية جلست للحكم فيها ؟

رسوا : الحديث عن القضايا كثير فهناك ثلاثة أنواع من النساء : الصنف الأول لأصحاب الحظ السعيد والصنف الثانى لأصحاب الحظ التعيس والثالث للنساء سيئة السمعة.

والصنف الثانى والثالث من النساء واضح، أحدهما يعمل العمل السيئ فى الخفاء والثانى يعمل جميع السيئات علنًا بدون حياء ؛ لهذا آمل أن تكونى من النسوة الصالحات، ألا تفهمين أن هؤلاء النسوة قضت الواحدة منهن عمرها بين جدران أربعة وتحملت الواحدة منهن مصائب كثيرة ومن الأفضل لك أن تظلى معهن طوال الوقت فإن

لم تستطيعى فليكن أكثر وقتك تمضينه مع هؤلاء الصالحات ، فى ذلك الوقت كان أكبر على خان شاباً ذا ثراء يحب الذهاب إلى الخارج كثيراً، وما كان أحد يهتم بالفقراء والمساكين ولا يسأل عنهم ، ثم بدأت المضايقات تقع على رأسه وكان يتحملها واحدة تلو الأخرى بصبر جميل، لكنه لم يكن يفخر بذلك بل كان يفخر بمساعدته للنساء الساقطات وحملهن على التوبة والاستغفار لأن الله غفار الذنوب، رغم أنهن يعتقدن أحيانًا أن الله لا يعفو عنهن.

وأتابع الحديث بأننى رأيت نساء جميلات سيرتهن حسنة ويتميزن بفطرة طيبة ولم لا يكون ذلك؟! وهناك رجال أغبياء يفوق الواحد منهم القسم الثانى من النساء بدرجة كبيرة من السوء ؛ ولذلك يترك الواحد منهم زوجته بعد فترة وجيزة أو طويلة ويذهب إلى حالة الضياع ، وكان أكبر على يعاندهم وكان له أثر السحر على عقولهم. وهذا العمل يعد من الأعمال الطيبة التى يقوم بها أكبر على، فهو فى هذه الحالة لا يجبر النساء والرجال السيئين على التحول عن الإجرام بل كان يحدث دليلاً على محبتهم الزائدة له.

امراؤ : كلامك صحيح ، ولكن لماذا يفقد أمثال هؤلاء الرجال عقولهم ؟

رسوا : الإنسان بطبعه يحب الجد والاجتهاد ؛ فلماذا لا يمضى حياته بصورة جيدة وفقًا لطبيعته الخاصة ؟! فالإنسان بطبيعته

يسأم أو يمل ويحب أن يغير من حياته ، إننى أجد أنك كنت تجدين لذة فى الاختلاط مع هؤلاء الناس، ولم تكتف بالتعرف عليهم بل كنت تبحثين دائمًا عن الجديد ، مسكن جديد وغرفة جديدة وتشاهدين أيضًا منازل جديدة.

امراؤ : ليس كل الرجال مثل هؤلاء .

رسوا : ما تقولينه حقٌ ، وفى قانون الأحوال الشخصية حسن المعاشرة والذى يخرج عليه يعد أنه قد فعل أمرًا معيبًا ، ومثل هذا الشخص ليس لديه جرأة فيخاف لوم أقاربه وأحبابه وأصدقائه، أما الذين يصادقون إخوان الشياطين فهؤلاء يتحدثون أحاديث عجيبة عن الملذات وقد ذهب الخوف عن قلوبهم ، ولو أن أحدًا من هؤلاء الرجال ذهب إلى الحانات فلابد أن يذهب فى الخفاء حتى لا يكشف أمره أو يسمع به أو يراه أحد ......

ولا يستطيع أن يتحدث أمام أحد عما حدث منه فى الحانة ، ثم شيئًا فشيئًا يذهب عنه الحياء وبعد أيام قليلة يذهب إلى الحانات والغانيات فى وضح النهار ، بل ويجلس معهن فى حجراتهن، ويتنزه معهن فى السيارة ويفتح شباك السيارة ، ويجلس بجوارهن ويتأبط الواحدة منهن عند ذهابه للحفلات العامة ويفخر أمام الجميع بذلك .

امراؤ : كلامك صحيح ، إلا أن هذه الأفعال لا تعد عيبًا فى المدن.

رسـوا : خـصـوصـًا فـى دهلى ولكهنـو ، وهـذا سـبب دمـار وخـراب هذه المدن ، أمـا فـى القـرى والنجـوع الصـغـيـرة فـأهل السـوء قلة ، ويخالطهم بعض الشباب السيئ ، أما الغانيات فلا تملك الواحدة منهن أمـرها ؛ فـإنهن يطعن أوامـر الرؤسـاء وأصـحـاب الأراضى الزراعـيـة ويخفنهم أكثر مما يخفن على حياتهن ومعاشهن ، ويخفن من بطش أبنـاء هـؤلاء النـاس ، أما فى المدن فهن حرائر، لا يستطيع أحد أن يضايقهن نتيجة لأفعالهن.

امـراؤ : لكن أهل القرى عندما يمسكون بالغانيات يمسكوهن فترة طويلة ، فاسمع ما حدث للسيد ميان إرشاد على.

رسـوا : بسـبب هـذه الواقـعـة تبلد شـعـوره وذلك لأنه بعـيـد عن الانغماس فى الملذات ، فقد كان له احترام كبير وأهل المدينة يثنون عليه ولم تكن لديه رغبة فى الوقوع فى هـذه الملـذات.

يـا قـلبى لقـد مضـى الشبـاب ولم يبـق إلا الذكـرى .

رسـوا : نعـم ؟؟ مـاذا حـدث للراقصـة التى كـان اسمهـا بهـلا ؟

امـراؤ : اسمهـا آبـادى .

رسـوا : آبادى صـاحبة الوجـه الجميل ، عندما رأيتـهـا كـان عمرهـا اثنتى عشرة سنة، وكانت فـى نضارة الشباب .

امـراؤ : إنـك تتذكـر جيدًا يـا سيـد مـرزا .

رسوا : ماذا أريد من تذكرها ؟ وعندما رأيتها كانت فى سن الشباب وأصبحت الآن عجوزاً فى الحقيقة .

امراؤ : يمكننى أن أقول إنك كنت من المعجبين بالسيدة آبادى .

رسوا : اسمعى يا إمراؤ ، عليك أن تذكرى هذا الكلام الذى أقوله، إننى لو رأيت امرأة جميلة فلن أنساها ولو أن اسمى كتب بين المعجبين بها فهذا يعنى عبوديتى لها ، فى هذه اللحظة فقط أتمنى الموت وأتمنى أن يقرأ كل من يعرفنى الفاتحة علىّ .

امراؤ : حتى لو رأيت رجلاً وسيماً ؟!

رسوا : نعم لو كان هناك رجل وسيم سأكون من المعجبين به ، وسأقيد اسمى مع المعجبين بأخته بحيث لا يكون هذا العمل مخالفاً للشرع.

امراؤ : هذا حسن ، وما دخل الشرع هنا ؟

رسوا : لم لا يكون للشرع دخل ؟؟ خصوصاً وأن شرعنا لم يترك صغيرة ولا كبيرة.

امراؤ : لم لا تقول بطريقة واضحة إنك لا تعرف الشرع ؟ ولكن تعرف العرف بطريقة جيدة.

رسوا : يمكننى أن أقول فى هذا المجال يا امراؤ ، إننى أضع لحياتى بعض المبادئ التى أسير عليها وإننى حسب فهمى أعتبر المرأة

الصالحة مثل أمي وأختي حتى ولو كانت من جنسية أخرى أو ملة أخرى ، لكني أصدم بمن تقوم ببعض الحركات المخلة ويجعل منها الناس امرأة سيئة ، في رأيي أن مثل هذه المراة تستحق القتل وعلينا أن نستفيد من النساء الكريمات وهذا في رأيي لا ذنب فيه.

امراؤ : سبحان الله ؟؟

رسوا : من الأفضل لنا أن نترك هذا الفضول ، ومن فضلك أخبريني عن حال آبادي جان؟.

امراؤ : يا سيد مرزا ، إنك رأيتها في شبابها ولابد أنك قلت فيها شعرا.

يا قلبي لقد مضى الشباب ولم يبق إلا الذكرى

وفسدت ضمائرنا فأين الطهارة في حياتنا

كانت جميلة في شبابها وكانت الوحيدة من بين مئة وخمسين غانية .... رسوا : كيف أصبحت الآن ؟ بالله عليك أخبريني بسرعة ، هل ذهبت إلى مدينة – مرج – أم حلت عليها المصائب ثم ماتت ، يبدو اليأس من خلال كلماتك.

امراؤ : كلنا سنمضي إلى حيث مضت ؟

رسوا : أخيراً أين استقر بها المقام ؟ حدثيني عن نهايتها

امـراؤ : فـى المستـشفى أم فـى مكـان آخـر ؟

رسـوا : كلميـنى عن شبابهـا الجميـل .

امـراؤ : هـذه الزهرة الجمـيلة ذبلت وتبـدلت صـورتهـا تمامًا ، فـقد تسـاقط شـعـرهـا وبثـرت الحـبـوب على جلدهـا وتعـرضت لإهـانات كثـيـرة وترهل جسمها وهـى الآن فى السبعين من عمرها .

رسـوا : كيـف حـدث هـذا؟

امـراؤ : عـجـبـًا !! حـدث ذلك بسـبب مـا كـانت تفـعله من أفـعـال الغـانيـات وكـنت أرغـب فـى بعض الـرجـال ، وأفـعل بعـض الأشيـاء التى لا تعـجـبـهـا هى لا تفـعل ذلك ، ثم أخـذت أتعلم عند الأسـتـاذ فكانت هى تهتم بشئـون تعليمى ... فلمـا بلغت سن الشـبـاب أخذت غـرفة بعيدة عنـها كـان يجلس فـيـهـا بعض أفـراد أهل المدينة وكـان الغناء مـتـواصـلاً ليـلاً ونهـارًا ، ثم حلت عليـهـا المصـائب التى أذلت أنفـهـا، ولم يعد يذهب إليـهـا أحد ، وحـاولت مرارًا أن أفـهمـهـا وكـنت أحيانًا أضربها ولكنها لم تـسمـع كلامى، وكان لديها حقد شديد منذ طفولتها .

فى هذا الوقت جاء حفيد بوا حسيـنى وكان يلعب معها ، وكنت أظن أنه طفـل يلعب وكنت أتـركه يلعـب ثم رأيـت فـى عينـيه حـديـثًا، فـمنعتـه من المجىء إلىّ ، ثم حـضـر عندى رجل كـان صـوتـه جـمـيـلاً وكنت أبادله الحـديـث وكـان من أسـرة غنـيـة ، لكنـه كـان خـبـيث النفس ، فلم يلحظ

أنى فهمته ولم يفهم نظراتى وفى يوم من الأيام بالليل رأيته يتحدث مع آبادى فى الدهليز.

السيد جهتن : أنقذينى يا آبادى ؟ فماذا أفعل ؟ إنى أعشقك أنت ، وأخاف امراؤ جان

آبادى : لا عليك ولا تسمعنى مثل هذا الكلام ، فأنا لا أخاف ، فطوق جهتن بذراعيه آبادى وهل يصبح الظالم عاشقاً .

آبادى : ثم ماذا تريد؟ .

جهتن : (بعد أن أخذ قبلة) ... روحى تعشقك .

آبادى : لا تذهب أيها الأحمق ، أعطنى أربع آنات .

جهتن : لماذا ؟

آبادى : يا سيئ الحظ، ترفض أن تعطينى أربع آنات وتقول إنك تعشقنى وتموت من أجلى ، والجميع يقولون إنهم يموتون من أجلى ولكن لم أر جنازة أحدهم.

جهتن : أربع آنات فقط ؟؟ روحى لك .

آبادى : ماذا أفعل بروحك يا عديم النفع .

جهتن : خذى روحى مع أنها لا تفيد فى أى عمل.

آبادى : لا تتحدث كثيراً ، ضع يدك فى جيبك ثم أعطنى ما أريد ثم اذهب .

جهتن : والله لم يبق لى من مصروفى الذى أعطته لى والدتى شيئً ، وبعد غد سأعطيك ما تريدين.

آبادى : حسنًا ، اغرب عن وجهى.

جهتن : حسنًا ، أعطنى قبلة واحدة.

عانق جهتن آبادى ثم وضعت آبادى يدها فى جيبه ، فوجدت ثلاث بيسات فأخرجتها.

جهتن : أقسم بحياتك عندى لا تأخذى هذه البيسات يا سيدتى ، فتغير وجه الغانية ثم قالت :

آبادى : أنت تحلف بحياتى ولا تعطينى !!

جهتن : أخيراً ماذا سأفعل ؟ بعد غد سأحضر أربع آنات .

آبادى : هل ثلاث بيسات للطبيخ قليل ؟ يا عديم النفع ، أريد الطعام منذ عدة أيام والزوجة تأخذ ولا تعطى ، أما أنا فقد صارت معدتى تؤلمنى من شدة الجوع ، وكنت أدخر آنه واحدة تنفع ليوم ما ، وليست ذات قيمة.

فقلت فى نفسى لم لا ؟ وقد ابتلى بشرب الخمر وأنا أجد شدة فى الحصول على الطعام، وهو عنده عسر هضم .

رسوا : ماذا فعلت فى هذا القحط ؟

امراؤ : كنت ادخرت روبية من السيدة، وكنت جائعة منذ ثلاثة أيام ولم أطعم فيها سوى الخبز وكان معلومًا أن السيد مرزا يعطف علىّ كثيرًا ، وأنا طلبت منه أن يعيش معى ولكنه لم يقبل.

رسوا : هل كانت تأتى آبادى سيئة الحظ عندك ؟

امراؤ : نعم عدة مرات، وكنت أسر برؤيتها، وكانت تزورنى فى السنة مرة أو مرتين وكنت أساعدها قدر استطاعتى ، ومنذ عدة سنوات لم تأت والله يعلم أهى على قيد الحياة أم ماتت ؟؟

رسوا : حدثينى عن شخصيتها .

امراؤ : إمرأة ذكية .

رسوا : حسنًا اتركى الحديث عن قصة أخذها أربع آنات من جهتن أو لا .

امراؤ : بعد ذهاب جهتن حل عليها البلاء، وأصبحت أتحدث مع الغانيات وأقسم معهن النقود فى فناء المنزل، نعم استأجرت غرفة واحدة صغيرة بروبيتين فى الشهر وكانت تعيش فيها غانية اسمها حسنا ، وهى فتاة جميلة تسير على خطى آبادى فى الرقص وطوال النهار كنت أظل جالسة هناك، وجميع صفات حسنا طيبة وكانت تأخذ برأيى، فهى غانية من الوطن وكنت أعرفها ، عندما يأتى أحد كانت تأتى بالأجرة كاملة

وثانيًا كانت تحضر خمسين من ثمرة المانجو بآنتين وكانت تطلب من أحد الأشخاص آلة العزف للرقص، وكانت مسرورة بالحذاء القطيفة وتتنزه به لأربعة أميال ، وهومشدود على رجلها بطريقة جميلة وترتدى قميصاً عليه روب مشدود من عند الوسط، وترتدى إزاراً مشدوداً بطريقة جيدة وتمسك فى اليد عصا غليظة وتلبس فى العنق قلادة كبيرة.

والسيدة حسنا كانت تتبختر فى مشيتها ، وكانت صاحبة قوام ممشوق وكانت معها زجاجة خمر واحدة لتشرب منها رشفة أو رشفتين كلما ذهبت هنا وهناك ، وهى تغنى وترقص وتتمايل تمرر يدها من تحت إبطها وتمسك به عنقها ، فى هذا الوقت كان السلب والنهب والألفاظ البذيئة تسمع طوال الطريق الذى يمتد لأربعة أميال، وبلغ العطش من الجميع مبلغه، فشربوا جميعًا من الدلو الكبير وأنا كنت من بين هؤلاء ، وبينما نحن فى هذه الحالة خرج رجلٌ أخذ من حسنا العقد، وكانت تعتبره من أصدقائها فذهب إلى المنزل وانتظر أمام حجرتها ثم أصبح ينادى عليها وهو غاضب جداً وأخذ ينتظرها أمام الغرفة، وعندما فرغ الأحباب من الحفل حضر أسفل غرفة حسنا، وأخذ يصيح بصوت عال ويسب ويشتم ويلقى بالأحجار، ولم تكن حسنا فى حجرتها.

فى تلك الأثناء أخذ البرق يلمع فى السماء فاضطرب الجميع وعادوا إلى منازلهم ، هذه كانت طبيعة وأسلوب آبادى وكانت حسنا تسير على طريقتها وتفعل كما تفعل آبادى ، ولكن إلى متى ستظل خارج البيت فى هذه الليلة ؟ ومتى ستعود حسنا ؟

فى النهاية جاء عندى رجل اسمه حسين على وهو موظفٌ عند السيد النائب وخرجت معه لمنزله وجلست هناك، ولما رأتنى زوجته غضبت وتركت المنزل فلم يهتم بغضب زوجته ولم يعبأ بتركها المنزل ، وأصبحت أمامنا مشكلة من سيعد الطعام ؟!! فقامت آبادى وأشعلت الموقد ومضت عدة أيام على هذه الطريقة ، وكان بالبيت طفل صغير والله يعلم إذا كان ابن حسين على أم لا وكان عمره شهرين، وظل الطفل يعيش معه ثم أقامت زوجة حسين على دعوى نفقة للطعام والملابس ، وأصبح لها راتب شهرى روبية ونصف، فأعطاها النواب ثلاث روبيات لأنها ماذا ستفعل بالروبية والنصف ؟ وكان يسمح لها برؤية ابنها.

وكانت آبادى مقتصدة إلى حد كبير وفى النهاية غادر حسين على منزله وأخذ ابنه منى معه وترك المنطقه كلها ، وكانت والدة الطفل من البتهان المشهورين بالشجاعة، فأحضرت معها أربعة من أهلها وكان لها إحترام شديد ومكانة كبيرة ثم ذهبت إلى الزعيم الروحى واسمه منى وهو من البتهان .

وكان للزوجة شوق كبير لرؤية طفلها فوعدها الرجل بإحضار ابنها اليها ، وفى نفس المكان كانت أريكة تجلس عليها آبادى وهى ترعى الطيور وكان حسين على يذهب للعمل طوال النهار فى مصنع ميان سعادت وهى تطعم الطيور والدجاجات ، وكانت هناك علاقة بين ابن محمد بخش كلوكنجرن وآبادى ، وعندما رأت والدته هذه العلاقة نهرته قائله له :

ستضرب بالحذاء كثيراً إذا لم تمتنع عن هذا .

وكان لمحمد بخش صديق هوميان أمير، يعمل موظفًا عند أمير مرزا ، ولديه شوق كبير لفن الاستعراض، فذهب الاثنان إلى مكان الحفل، حيث الرقص والغناء ، فتجمع الأصدقاء لرؤية آبادى وهى تؤدى استعراضها، وكانت تهتم بهم جميعًا وليس معلومًا ببركة من ظهرت الحبوب على جلد ميان أمير وهو يرقد فى المستشفى ضائعًا وكان هؤلاء يزورونني واذا طلبتهم سيلبون نداءك .

أنا لا أطلب شيئًا بلسانى

فكل ما أريده يظهره قلبى على جوارحى

كانت بداية شهر رجب والجميع جالسون ، وخطر فى بالى أن أذهب لزيارة المقام فى المسجد وسأركب طوال الليل وسأصل ، وعندما وصلت وجدت حفلا كبيرا كان الرجال فى فناء المسجد يتجولون هنا وهناك، ثم ذهبت لإيقاد الشموع وقراءة الفاتحة ، وقرأ أحد الأصدقاء مرثية وكنت أسمع، ثم جاء أحد الشيوخ وقرأ الحديث الشريف، وبعد هذا بدأ المأتم وبدأ الناس يذهبون إلى منازلهم وانصرفت حيث أريد العودة فوصلت للباب ، ثم قلت فى نفسى أذهب حيث يوجد النساء فى المسجد، ولشهرة مراثىّ فقد توسل إلى نائب الحاكم مملكة كشور أن أظل ، وكانت أكثر النساء تعرفنى وفكرت بأننى سأقول قليلا ثم أذهب ،

فوصلت إلى باب زاوية النساء وسأضع الخمار عليّ وسأركب وسأمشى من نفس المكان من الداخل ولم يكن تفكيرى خطأ، حيث أصبحت أمـا أكثر النساء وهناك الكثير من شكايات الغدر ، وصرنا نتحدث من هـ وهناك حتى أصبح الوقت متأخرا ، وكنت أريد العودة، لكن ماذا أفعل ؟ والمفاجأة أن زوجة حاكم كانبور كانت فى الطرف الأيمن وجاءت فى أبهة وزينة عظيمة، تلبس ملابس فاخرة وتتزين بحلى نفيسة ومعها خمس من الجاريات تمسك فى يدها المروحة وفى اليد الأخرى أبريق خاص بها.

ثم وضعت الصينية وعليها الصدقات عند أحد الشيوخ لأخذ البركة ، وكنت أراهم من بعيد فى سباق ومنافسة على البركة، وكانت قد رأتنى من بعيد ثم وضعت يدها على كتفى قائلة :

الله امراؤ ، أنت إنسانة بدون مروءة ، منذ متى وأنت غائبة عن كانبور ونتقابل اليوم وهذا من قبيل الصدفة.

امراؤ : ماذا أقول ؟ منذ ذلك اليوم الذى ظللت فيه معك فى الحديقة حتى الليل، قبض على ناس وأخذونى إلى لكهنو ثم هربت منهم، والله يعلم أين أكون المرة القادمة ؟ وأقع فريسة لمن ؟ ولم أكن أعرف عنوان حضرتك وحالى معلوم لديك .

السيدة : خيراً ، الآن نحن معاً فى لكهنو .

امراؤ : كيف تقولين لكهنو ونحن هنا فى هذا المقام .

السيدة : أليس لك مكان تأوين إليه ؟ ستأتين معى إلى مكانى .

امراؤ : على العين والرأس ، ولكن أين تسكنين ؟ .

السيدة : فى مكان خرب، من لا يعرف السيد النائب ؟ اسألى عن النائب .

وفى تلك الأثناء نهضت جارية وتكلمت وقالت : من لا يعرف منزل الحاكم محمد تقى خان ؟

امراؤ : سأحضر ولكن ، ألا يغضب السيد الحاكم لمجيئى ؟

السيدة : لا ، هو ليس كبقية الرجال ، فقد حكيت له عن هذه الليلة، وأنه لولاك ما نجونا وحكيت له كلمة كلمة، وأنه بنفسه كان يبحث عنك فى كانبور وظل يسأل عنك مرات ومرات .

امراؤ : حسناً ، سأحضر ضروريا .

السيدة : متى ستحضرين ؟ عدينى .

امراؤ : سأحضر الخميس القادم .

السيدة : اتفقنا، ولكن ستظلين ثمانية أيام، ولماذا لا تأتين الآن ؟

امراؤ : حسناً ، سأحضر يوم الاثنين القادم .

السيدة : تعالى يوم الأحد سيكون الحاكم فى المنزل ، ويوم الاثنين ربما سيخرج لمقابلة أحد الإنجليز.

امـراؤ : يـوم الأحـد مناسـب جـداً .

السيـدة : سـتـأتى فى أى وقـت ؟

امـراؤ : الوقـت الـذى تقـولين عليه ، فإنه ليس لدى عمل فى المنزل والوقت كله سواء.

السيـدة : أيـن تسكنيـن ؟ .

امـراؤ : أسكـن فى ميـدان البـاب الكبيـر عنـد سيـد حسـن خـان .

السيـدة : حسنـًا ، سـأرسل لك الخادمـة فتعـالى معهـا .

امـراؤ : حسنـًا .

السيـدة : حسنـًا ، مـع السلامـة .

امـراؤ : مـع السلامـة ، نعم نسيت أن أقول كيف حال الابن ؟

السيـدة : نـبن ، (اسـم ابنهـا) مـا شـاء اللـه إنـه بخيـر، إلـى الآن تتذكرينه ؟

امـراؤ : مـاذا أقـول ؟ فى حـديثى مـعك نسـيت أن أسـال عن حـاله ، وعندما كنت أريد أن أسـالك لا يـأتى الكـلام علـى لسـانى .

السيـدة : الآن بـدأ يستـرد صـحتـه وعـافيته شيئـًا فشيئـًا ، ممكـن أن تريه فى ذلك اليوم .

امراؤ : أصبحت لا أنام الليل ، لا تقولى شيئًا ، مع السلامة .

السيدة : مع السلامة ، ضرورى أن أراك .

امراؤ : اتفقنا ، لا تقولى مثل هذا الكلام ؟

فى تلك الأثناء رأيت الخادمة خاضت معها فى سلسلة من الأحاديث قائلة :

يا سيدتى امش تأخرنا ، هيا بنا نركب ونادت على سائق المحفة، ولكن السائق عديم النفع ذهب ومضى إلى حال سبيله.

نحن نفكر بعمق فى كل لحظة ليلاً ونهاراً

ولكننا لن نستطيع أن نفهم أسرار الكون

كنت قد انفصلت عن الهانم إلا أننى أعلم أننى سأحفظ ودها طالما بقيت على قيد الحياة والحق أقول كما كنت أحبها كانت تحبنى ، وكانت لديها ثروة تجعلها تعد من الأغنياء ، وبتقدم عمرها تغيرت نظرتها تجاه الدنيا ، ولم تكن ترغب فى أى شىء فيما عند الناس ولكنها كنت تريد الود فقط ، ولم تكن تتخيل أن واحدة من الراقصات تنفصل عنها خصوصًا أنا لأنها تحبنى ، وكانت بسم الله تتصرف بحرية تامة جعلت الهانم تنفر منها، ولكنها بنتها وبعد الانقلاب جاءت خورشيد لتعيش مع الهانم، أما أمير جان فقد استأجرت حجرة مستقلة وظلت تأتى وتذهب هذه الحالة ، والحجرة التى كانت الهانم أعطتها لى وكنت أعيش بها

طوال حياتى، لم تستطع الهانم تأجيرها لأننى وضعت بها أمتعتى ووضعت قفلاً عليها وعندما يشتاق قلبى للمكان أذهب لأعيش فيها يومين أو ثلاثة فى العام ، وفى شهر المحرَّم كنت أشارك فى مجلس العزاء، وطالما الهانم على قيد الحياة سأظل أشاركها فى مجلس العزاء.

وكنت قد تقابلت مع السيدة يوم الخميس وفى يوم الجمعة جاء رجل عندى وقال لى إن الهانم مريضة، وأنا تذكرتها على الفور فركبت وذهبت معه.

وبعد أن رأيتها كنت أرغب فى العودة إلى المنزل، وورد على خاطرى أن أمشى وأخلع هذه الملابس الثقيلة ، وأفتح الحجرة وكنت أجول ببصرى فى جوانبها الأربعة، فرأيت على السرير ترابًا كثيرًا والفرش غير مرتب والقمامة هنا وهناك كثيرة جدًا، وبعد أن رأيت هذه الحال تذكرت حال هذه الغرفة فى الأيام الماضية ... الله ؟؟ الذى كانت تظل فيها هذه الغرفة نظيفة ومزينة طوال الوقت وكانت تنظف فى اليوم أربع مرات ولم يعد هناك ذكر للتراب ، وأعواد التبن الكثيرة التى أراها الآن لم تكن موجودة، الآن تغير الوضع تمامًا ، وأصبحت لا أريد أن أجلس فى هذا المكان لألتقط أنفاسى بسبب ما آل إليه ، نفس السرير الذى كنت أنام عليه الآن أكره أن أضع قدمى عليه والرجل الذى كان معى قلت له اذهب بعيدًا حتى لا يلتصق بك التراب والعنكبوت ، ولكنه أخذ ينظف البيت معى من العنكبوت، وبعد فترة وبمساعدته رفعنا السجاد ونظفناه وأصلحنا المصباح ، ورفعت ملاءات السرير ثم نظفته وأعدت ترتيبه

من جديد ، وكانت جميع الأشياء مبعثرة وملقاة على الأرض، مثل علبة التمبول وعلبة الماكياج والمبصقة وغير ذلك فرفعتهم من على الأرض وبدأت أرتب الأشياء وأضعها مكانها كما كانت فى الماضى عندما كنت أسكن فيها ، وجلست على وسادة السرير وكان مع الرجل علبة التمبول الخاصة به فتناولت منها التمبول وأكلته ، وكنت أنظر لوجهى فى المرآة التى أمامى وأتذكر الزمن الماضى.

ومر شبابى أمام عيونى وتذكرت كل من أعرفهم : شقاوة جوهر مرزا ، وحماقة راشد، ومحبة فيضو ، ووجه سلطان صاحب، الغرض أننى تذكرت الذين جاءوا لهذه الغرفة ومعهم هداياهم الخاصة التى يقدمونها لى ، وساعدتنى الغرفة على استعادة ذكرياتى، فكانت هذه الصور تأتى أمام عيونى. فكنت أتذكر بعض الصور أمام ناظرى فما إن تغيب هذه الصورة حتى تأتى أخرى ، وعندما وردت هذه الخيالات على خاطرى انشغل فكرى مرة أخرى ، وكنت أسترجع الصور واحدة بعد الأخرى، والتى كانت تمر على من قبل بسرعة أصبحت الآن تمر على ببطء ، ووجدت الآن فرصة للتفكير أكثر فى هذه الصور، وخصوصاً الأحداث التى تتعلق بشخصى كنت ألقى عليها نظرة فاحصة ، ومن قبل كنت أقلب رأسى فلا أستطيع أن أتخيل إلا بعض الصور القليلة ، الآن أصبحت أستعيد الصور والذكريات بصورة كبيرة ، لدرجة أننى أصبحت أرى كل ما كان يحدث معى طوال حياتى.

وفى هذه الأثناء تذكرت صورة الأمير سلطان ورؤيته لى أول مرة فى الحفل ، ثم مجىء خادمه برسالة فى اليوم الثانى تخبرنى بحضوره ، وتذكرت الجلسة الخلوية معه وعذوبة شعره وأحاديثه اللطيفة ، ثم مجىء خان صاحب وإفساده لهذه الصحبة الجميلة وبذاءة ألفاظه وسلاطة لسانه وضرب سلطان صاحب له بالطبنجة وسقوط السيد خان جريحًا، وفداء شمشير بروحه للنواب ومجىء الشرطة وإرسال السيد خان لمنزله ثم انقطاع الأمير سلطان عن المجىء إلىّ والذى آلمنى ، ولكنى رأيته فى الحفل وأرسلت له رسالة مع الولد أخبرته بحالى ، فأخبرنى أن الجلسة طبقًا للمراسم الجديدة ستكون فى حى نواز كنج ، ثم أخذت أتذكر هذه الأحداث كلها كأنها حدثت بالأمس ثم أرسل لى سلطان خادمه برسالة مفادها أن أذهب إليه كما كنت ، إلا أن طبيعتى قد تغيرت ثم علمت أنه كان ينتهز الفرصة ويكذب للمجىء إلىّ .

فى تلك الأثناء صاح الرجل قائلاً : أيتها الزوجة انظرى ، هذه العقربة تصعد على خمارك، فنهضت وبسرعة ألقيت الخمار على الأرض ووقفت بعيداً ، قام الرجل ونظف الخمار وسقطت العقربة على الأرض واختفت فى مكان ما أسفل السرير. ورفع الرجل أرجل السرير فوجد خمسة جنيهات.

الرجل متعجبا : نعم نعم ؟! ياه خذى ما هذا ؟!

امراؤ : (فى سرها) : نعم تذكرت، يوجد جنيهات هنا ، هنا توجد الجنيهات .

الرجـل : عجباً !! من أين أتيت بالجنيهات ؟

امـراؤ : ضـحكت ، أحضرتها هذه العقربة من الغابة .

الرجـل : حـسنـاً ، وطـأطأ رأسـه ، ورفـع أرجـل السـرير ثم أعطانى خمسة الجنيهات .

رسـوا : ألـم يسلـب منـزل الهـانم فى الانقـلاب ؟!

امـراؤ : كيف لا يسلب !! ولكننى أفـترض أن أحداً لم يرفـع سـريرى وبالتالى لم ير هذه الجنيهات .

رسـوا : هـذا ممكـن .

على كل حال كيف أحاول تهدئة لهفتى

وسأقابل حبيبى رغم وجود بعض الرقبـاء

فى يوم الأحد الساعة الثـامنة صبـاحـًا أرسلت السـيدة خـادمتـها فينيس والمحفة لأخذى وكنت نهضت من نومى، ولم أكن شربت النارجيلة إلا إننى بـدأت أتعجـل قضـاء حـاجتى ، وأعـددت الطعـام كـى أتنـاوله قبل ذهابى و كنت أظن بأننى سأتناول الطعام هنا ثم أذهب معها.

فـقـالت الخـادمـة : سـيـدتـى أقـسـمت بـحـيـاتـهـا أن تـنـاول الطـعـام يكـون معها .

أمراؤ : وأنـا سـألتها : هل النواب (زوجها) سيكون فى المنزل ؟

فقالت الخادمة : لا ، استيقظ فى الصباح وذهب إلى قرية سدهارى .

أمراؤ : وأنا سألتها متى سيعود ؟؟

فقالت الخادمة : الآن غادر المنزل ، وسيعود فى المساء .

وأمرتنى السيدة بإعداد الجلسة الخلوية لأن هناك أحاديث كثيرة، وعلى الفور نهضت واقفة وغسلت وجهى وصففت شعرى بالمشط وارتديت ملابسى وغادرت المنزل بسرعة مع الخادمة.

وعندما وصلنا وجدت السيدة فى انتظارنا ، ومع مجيئى أعدت المائدة وجلست مع السيدة لتناول الطعام ، وكان طعاما فاخراً وأنواعًا مختلفة من الفطائر واللحم المفروم والأرز والقشطة والطواجن والمقليات بالإضافة إلى مربة التفاح وحلوى السوهن.

وبعد تناول الطعام همست فى أذنى السيدة قائلة:

السيدة : هل تتذكرين منزل كريم الذى كان به العدس والخبز الجاف ؟

امراؤ : اصمتى ، حتى لا يسمعنا أى شخص فى مكان ما .

السيدة : وماذا فيها لو سمعنا أحد، وهل لا يعرف أحد ؟ فإن والدة النائب رحمها الله وجعل الجنة مثواها اشترتنى من كريم لابنها النائب.

امـراؤ : بالله عليك اصمـتى ، تحدثى عن هذا عندمـا نكون وحـدنا ،
وبعد تناول الطعـام غسلت فمـى ويدى وتناولت التمبـول وأعدت الخـادمـة
النارجيلة، والسيدة أعطت الدف للخدم للعزف.

امـراؤ : حسنـاً ، أنـت تعرفيـن كثيـراً عـنى .

السيـدة : أعرفك منذ أن رأيتك فى كانبور لأول مرة ، وأنا منذ فترة
طويلة أقـول فى سرى أنا رأيتـها ولكن أين ؟ ولكنى كنت أفكر أين رأيتك ؟
ولأننى مـتـأكـدة أننى رأيتك ولكنى لم أكن أتذكـرك، فـجلت ببـصـرى فى
أرجاء المكان وأخذت أقلب مخيلتى أين رأيتها ولماذا ؟

فى تلك الأثنـاء وقع بصـرى على الخـادمـة كريمن وعلى اسـم كـريمن
تذكرت اسـم كريم النخاس خـاطف الجوارى ، وقـال قلبى نعم أنا رأيتـها
فى منزل كريم نفسه .

امـراؤ : كـان الحال هكذا بالنسبـة لى، كنت أفكر فـترة طويلة ومـعى
صـديقـتى خـورشـيـد فـإن شكلـهـا قـريب جـداً من شكلك وكلمـا رأيت
خورشيد تذكرتك .

السيـدة : الآن ، سـأحكى لك حالى عندما انفصلت عنكن .

كـانت والدة النائب واسـمـها عمـدة النسـاء امـراة طاهـرة اليد وسيدة
ناضـجة، وأنت تتذكرين أن عمرى أصبح فى هذا الوقت اثنتى عشرة سنة
وكان عمر النائب ستة عشر عامـاً وكان والده يسكن فى كانبور ولم توافق
السيـدة على السكنى معه ، وقـد اتفق والد النـائب على تزويج ابنه من ابنة

أخته التى كانت تقيم فى دهلى، ولم توافق عمدة النساء على هذا الزواج لأنها كانت ترغب فى أن يتزوج النواب من ابنة أخيها ، وظل الزوج والزوجة فى هذه الخلافات وكثر الحديث بينهما وازداد العناد ، وبسبب هذه الخلافات اعتلت صحة الأم ، وأشار عليه الحكماء بسرعة إتمام هذا الزواج وإلا ستصاب بالجنون ، وأصبح الزواج بهذه الطريقة غير ممكن.

فى تلك الأثناء وصلت أنا واشترتنى السيدة ، وأصبح النائب يميل إلىّ وأنا كذلك ، وتزوجنا إلا أن زواجنا قوبل بالرفض من أبويه ، وبعد عدة أيام قدر الله وما شاء فعل ، تُوفيت عمدة النساء وبعدها بسنوات قليلة توفى النائب الكبير ، وآلت أملاك الوالدين إلى النائب الصغير وصارت الثروة كلها له، فليسلم الله النائب من كل سوء جعلنى بثروته سيدة هذا البيت وأعيش فى راحة واستقرار ، كان النائب يريد أن يجعلنى زوجة له لأنه لاحظ أن عينى لا أرفعها إلى أى ناحية، ولا آخذ شيئًا وإذا أردت أى شىء كنت آخذه من أصدقائى ومعارفى .

وأخيرا الرجل هو الرجل لا يحب أن يسيطر عليه أحد، فحقق الله لى جميع أمنياتى. وكان عندى هوس للأولاد وكانت رغبتى أن أنجب ومن رحمة الله أن وهبنى الأولاد. والآن تحققت جميع آمالى ، وأسأل الله عز وجل أن يحفظ لى ابنى نبن ويكبر حتى يتزوج وألعب مع أحفادى وأن يدفننى بيديه الكريمة فى التراب .

وعندما كانت رام دى تحكى لى هذه الأحاديث كنت أتاسف على حظى ونصيبى ، وكنت أقول فى نفسى هذا قدرى ، قدر الله لى أن أذهب إلى بيت غانية ، فحكيت لها باختصار عن حالى الذى تعرفه جيداً ، وعند الانتهاء من هذه الجلسة الخلوية نادت السيدة على الخدم وطلبت منهم آلات العزف والغناء وبدأت الغناء ، وعندما نكون على انفراد تنادينى بأميرن وأناديها برام دى وأمام الجميع هى سيدة المنزل وأنا امراؤ جان ، وظللنا نغنى ثلاث أو أربع ساعات والسيدة تعرف العزف على القيثارة بطريقة جيدة وعندما كنت أغنى كانت تساعدنى فى العزف ، ثم أعطت القيثارة لإحدى الخادمات وكانت من صاحبات الصوت الجميل وينادونها بالمغولية ، وظل الغناء حتى المساء وكانت صحبه لطيفة وممتعة .

من الأفضل أن أحافظ على نظرات الشوق

حتى أحافظ على سمعتى ولا أفضح فى هذا المجلس

وعندما حل المساء حدثت ضوضاء وجلبة فى القصر لمجىء النائب ، وبعد ذلك شاركنا بدون تكلف حبتنا ، وقد أصر أن يعطينا جميع آلات العزف الطبلتين والقيثارة والدف. وكل اللائى توارين بعيداً جئن مرة أخرى ، وتلاقى الأحبة وابتعدت عن السيدة قليلاً، التى أصرت أن أجلس لأقول بعض الأشعار وكنا جميعًا نجلس فى الرواق وكانت أمام الباب ستارة كبيرة والأنظار تتجه نحوها فى انتظار النائب وكنت أنظر إليها أيضاً .

في تلك الأثناء جاءت إحدى الخادمات وقالت : لقد حضر النائب ، وبعد عدة لحظات رفعت الخادمة الستارة وقالت : بسم الله الرحمن الرحيم ، ودخل النائب و عندما رأيته قلت في سرى أهو الأمير سلطان الذى أراه أمامى فى هذا المكان ؟! ثم تقدم نحوى ونظر ناحيتى أولاً كان ينظر لى بحياء ثم أمعن النظر فيّ، رمقنى بنظرات متتابعة وأنا بادلته نفس النظرات .

كنت أنظر إليه فى حيرة

وكلما رآنى اضطرب من نظراتى

الآن وصل النائب قريباً من الصالون وهو ينظر ناحيتى .

السيدة : انظر يا نائب ماذا ترى ؟ إنها هى نفسها امراؤ جان التى كنت رأيتها فى كانبور فاقترب من البساط ونهض الجميع واقفين لتحيته وجلس النواب متكئا بجوار زوجته التى أفسحت له المكان ليجلس .

أقبل المساء ، ووضعت أمامنا الخادمة فانوسين لإضاءة المكان ، فأعدت الخادمة التمبول وكان النائب ينظر ناحيتى فى هذه الفترة ويلحظنى بعينيه وأنا أنظر إليه نظرات متتابعة إلا أنه لا يستطيع أن يقول أى شىء ، وأنا لا أستطيع أن أتكلم ولا أجد فرصة للكلام ، وكان الحديث بلغة العيون وأصبحت الشكوى بالرمز والإشارات .

النائب متعجبًا : إلى هذا القدر تستغربين يا امراؤ جان ؟!
الحقيقة نحن ممنونون جميعا لك ، وإنه بفضلك نجا بيتى من السلب والنهب فى هذه الليلة فى كانبور .

امراؤ : لم أكسر شوكتهم ، بل حدث هذا قدراً .

النائب : خيراً ، بسببك لم يحدث شىء ؛ فجميع الأمتعة والممتلكات كانت موجودة بالقصر ولم تكن قليلة وظلت فى أمان وجميع المستندات الضرورية كانت أيضًا بالقصر ولم يصبها سوء.

امراؤ : سيدى النساء اللائى تركن فى الغابة أين ذهبن ؟

النائب : ماذا أقول؟ هل أكرهت مثلهن فقد صودرت ممتلكات ملك لكهنو بعد القبض عليه ، وكان ضروريًا أن أذهب إلى السيد لات فى كلكتا، وبسبب الاستعجال لم أخذ معى أمتعة ولم يعطنى فأخذت معى شمشير خان ورجليْن آخرين ومضينا .

امراؤ : الأحداث التى حدثت فى القصر المحاط بالغابات عجيبة .

النائب : غير هذه الحادثة لم تقع أى حوادث أو طوارئ فى الحقيقة ولكن بسبب الانقلاب تشجع اللصوص على السلب والنهب فى الدولة تحت جنح الظلام .

وبعد هذا تبادلنا الأحاديث من هنا وهناك، ثم بسطت المائدة وتناول الجميع الطعام ولما انتهينا من شرب النارجيلة أمر النائب بالغناء فأنشدت هذا الغزل .

لم أعد أذكر الموت

فقط أتذكر أفعال هذا الكافر عديم الوفاء

كلما تذكرت عدم وفائكم تذكرت جفاءكم لى

كما أتذكر ليالى الهجر

وأتذكر ظلمتها كسواد الشعر

وأصبحت أتذكر فراقكم كما أتذكر جميع الأشياء على

لا تسأل عن لذة معصية العشق

فإننى سأظل أتذكر هذا البلاء فى دار الخلد

لقد وقعت فى الحب

أصبحت عاجزة كمن تجرع سمًا

فمن عنده دوائى ؟!

ولم أتذكر أى شعر سوى هذا المقطع :

ماذا أقـول عن الغـزل ؟

فقد تذكرت اليـوم أيـام الشبـاب

جاء الخريف وهـو موسم الأمطار ورغم أن المطر ينهمر مدرارا طوال العام ، وكان موسم المانجو الحفل فى غرفتى ويوجد بها جمع كبير بسم الله جان وامير جان وبيكا جان وخورشيد جان من الغانيات ،

ونائب بن صاحب ونواب جهتن صاحب وجوهر مرزا وعاشق حسين وتفضل حسين وأمجد على وأكبر على خان من الرجال واستمر الغناء ، وفى هذه الأثناء ....

بسم الله : يا أختى ، ستظلين فى الغناء طوال اليوم وأنا فى هذا الوقت منقبضة من هطول الأمطار مثل فيضان النهر، أعدى لنا بعض الحلويات .

امراؤ : كلا ، سأشترى لك ما تريدين من السوق .

خورشيد : تطلبين من السوق ؟! قول جميل ، ولكن الطعام من يدك له مذاق خاص .

امير جان : يا أختى ، انت خبيرة بمذاق طعام أهل الهند ، وليست عندنا دراية بفن الطبخ ولا نعرف مقدار الطعام الذى يعد للطبخ .

بيكا : إذن ، انتظرى الطعام الذى سيجلب من السوق.

امراؤ : عجبا لك يا عزيزتى ، ألهذا الحد أنت جائعة ؟

بيكا : أنا لست جائعة ، اسألى بسم الله وهى تعطى لك الجواب القاطع :

بسم الله : يا أختى ، اليوم على الأقل نأكل كما نحب .

امراؤ : أنا أخبرك ، هيا بنا نذهب عند الغدير .

بسم الله : نعم يا أختى ، هل هذا صحيح .

خورشيد : حسناً ، لقد شبعت .

بيكا : نحن أيضاً سنذهب .

امراؤ : حسناً ، خذوا أمتعتكم .

ومر الحديث وذهبنا واستاجرنا ثلاث عربات عليها أدوات المطبخ، خيمتان من منزل السيد ببن وركب الجميع ثم غادرنا المكان .

وبعد وصولنا على شاطئ نهر كومتى ، بدأ الغناء وفى هذا اليوم غنت بيكا جان ألحاناً عذبة ، ما أجمل هذه النغمات لقد كان القلب منكسرا وحزينا ، وخرجنا من المدينة وأنا أجول ببصرى فى سماء الغابة ، ثم نظرت الناحية الأخرى فإذا الخضرة منتشرة فى كل مكان ما أجملها والسحاب غطى سماء المكان ، وظل المطر منهمراً وتساقط على أوراق الأشجار وامتلأت الترع والمصارف بالمياه وسال ماؤها ، وأنشدت الطيور ألحانا عذبة ، وظللنا نتحدث حتى وصلنا إلى الغدير وبجوار قصر باره درى بسط البساط وأشعل الموقد وأعد طعاماً من الدقيق والزبادى والتوابل - كر هى - وصنعوا منها أقراصا ثم حمروها فى الزيت .

وذهب النائب جهتن ليلبس ملابس الصيد ، كما أعد جوهر مرزا أطعمة آمون وهى مخلل المانجو ، وفى تلك الأثناء نصب الخدم الخيام

على أول ناصية فى الحديقة وأحضروا الكراسى من القرية ، وظهر اللطف والأنس فى هذه الجلسة والماء يقطر على أشجار المانجو فبدأنا نجمع ثمارها .

وكنا نقسم لكل أربعة من الرجال واحدة ، وكان بعض المانجو يتساقط فى الماء فيختفى ، وكلما تساقطت ثمار المانجو يجرى الأصدقاء خلفها هنا وهناك ويتدافعون حولها ، لو سقط أحدهم على الأرض لتلطخت ملابسه بالطين ثم يغسلها بالماء الصافى وينتظر حتى تجف ، والذى لا يحب اللعب يحتاط لنفسه فكان يجلس فى الخيمة مثل بيكا جان .

وبينما نحن جالسون فى الخيمة جاءت بسم الله فى الخفاء وألقت على وجهى عصير المانجو فصرخت فيها فضحك الجميع وقهقهوا على هذا المنظر المثير ، وليس معلوما من أين جاءت بسم الله بهذه الحيل ، وبدأنا الغناء وكان الطبال ينقر على الطبلة بعنف وكان الرقص والغناء معروفا للناس إلا إنه فى هذا الموسم لم يعد مناسبا .

ومن حظنا أن السماء ظلت صافية لساعتين فى هذا اليوم وأشرقت الشمس ، وكنا قد أخذنا معنا ملابس احتياطية، فغيرنا ملابسنا ثم خرجنا للتنزه فى الغابة ، وانتحيت جانبا ووقفت أمام شجرة متشابكة الأغصان اختفت أشعة الشمس تحت ظلال أغصانها ، وكان شعاع الشمس يسقط على الخضرة فيعطى منظرا عجيبا ، وتفتحت

الأزهار والورود فى الغابة والعصافير تطير هنا وهناك ، وفى الجانب المليء بالخضرة ، وفى الناحية الأخرى وكان شعاع الشمس يتساقط على ماء البحيرة بلونه الذهبى فأعطى منظرا جميلا ، وضوء الشمس يزين أوراق الأشجار وشاهدت هذا العالم حتى الشفق الأحمر فى السماء ، ثم تغير مزاجى فعدت إلى الخيمة بسرعة .

والله أعلم متى سأرى هذا المنظر الجميل مرة أخرى ومنظر الغروب ، ثم ذهبت فى طريق غير ممهد يمشى فيه فلاح يضع على كتفه الفاس ويسوق ثوراً أمامه ومعه بنت صغيرة تمسك بقرة وجاموسة وولد صغير يسوق أمامه أغناماً كثيرة ، جميع هذه المناظر جاءت أمام عيونى ثم غابت عن ناظرى وظللت وحيدة فى الطريق ولا أعرف صاحب هذه الماشية والأغنام . وبدأت أمشى فى الطريق حتى وصلت بالقرب من الغدير وأنا أغنى ثم غربت الشمس وحل الظلام فأسرعت الخطى.

وعند العودة وجدت خلوة لأحد الدراويش يجلس بها جماعة من الصوفية يشربون النارجيلة ، فسألتهم عن طريق الغدير فعرفت أننى أسير تجاه لكهنو ، وأننى ابتعدت كثيرا فتركت الطريق الرئيسى وسلكت طريقا جانبيا وعرا يبعد عن الترعة بمسافة قليلة ، وهناك ثلاث شجرات. ثم شاهدت رجلاً يرتدى صديرياً عليه إزار قذر به حزام حديدى وبيده مجراف حفر به حفرة عميقة ، وأمعنت النظر فى هذا الرجل وشبهت عليه، ثم نظرت إليه ولما اقتربت تاكدت أنه هو .

وكنت أرغب فى الانتقام منه لكنه هرب للناحية الأخرى ثم سقطت مغشيا علىّ .

ثم سمعت صوت سلار بخش خادم أكبر على خان من بعيد وقد خرج للبحث عنى ، وشاهدنى دلاور خان وفى يده المجراف وبنفس الطريقة كنت أنظر إليه وهو ينظر إلىّ ، بالتأكيد هو لا يعرفنى وأنا أعرفه جيدا ، وبعد أن سمع صوت سلار بخش هرب إلى الناحية الأخرى من الترعة وعندما وصل سلار بخش كانت فرائصى ترتعد من الخوف فلم يخرج فمى أى صوت وكنت مضطربة جداً ، وبعد أن رأى سلار بخش ما أنا عليه قال لى : ماذا حدث ؟ لماذا أنت خائفة هكذا ؟ فأشرت ناحية الشجرة وبدأ ينظر سلار بخش لهذه الناحية .

سلار بخش : نعم ماذا يوجد ؟ هذا مجراف كبير ، أتخافين من هذا ؟! أتظنين أن أحداً كان يحفر قبرا ولم أستطع الكلام فأشرت بيدى ناحيه الترعة .

سلار بخش : على الأريكة سيكون شرب النارجيلة لذيذاً ، حسناً تعالى لقد أحضر لنا النائب جهتن كثيراً من الطيور التى اصطادها ولم نكن نعرف اين أنت ، وأين طريقك ؟

وخرجت أبحث عنك هنا وهناك حتى جئت إلى هنا ، والحمد لله أننى وجدتك هنا ، فإن لم أجدك فى هذا الطريق فماذا أقول ؟ وأنا لا أتكلم ، وأخيرا صمت سلار بخش وبعد لحظات خرجت من الحقول ، ووصلت

إلى الغدير وظللت فى هذا المكان طوال الليل مضطربة ، وفى اليوم التالى بعد تناول الطعام شرحت حادثة الأمس كلها لأكبر على خان ،
أكبر على خان : أنت متاكدة أنك رأيت دلاور خان الذى يعيش فى فيض آباد ؟

هذه هى أوصافه للأسف ، أنت من الأول لا تتحدثين عن حياته السيئة ، إنه إنسان شقى سيئ السمعة وأى إنسان يقبض عليه سينال شهرة ويأخذ جائزة من الحكومة مقدارها ألف روبية .

ولكن لماذا هذا القبر؟

امراؤ : لست أعلم ، ربما يريد هذا البائس أن يحفر قبرا لى .

أكبر على خان : لا يستطيع هذا الرجل أن يمس الهواء الذى يمر أمام وجهك ، ولن يستطيع أن يفعل لك أى شىء ؟

امراؤ : (بعد أن طمأن قلبى) من الضرورى أنه فى وقت الانقلاب سلب بعض الأشياء ودفنها فى هذه الحفرة وسيأتى إليها مرة أخرى .

أكبر على خان : هيا بنا نذهب إلى هذا المكان .

امراؤ : لا ، أنا لا أذهب .

أكبر على خان : سأذهب وسآخذ معى سلار بخش .

امراؤ : أين ستذهب ؟ الآن لا يكون هناك ، إنه أخذ معه ما يريد من هذه الحفرة ولم يبق هناك أى شىء .

أكبر على خان : لابد أن أذهب قال ذلك بقوة،..... وكان هذا الحديث فى خيمة النائب جهتن ولما تحدث بصوت مرتفع واستيقظ النائب وبسم الله ....

النائب : متعجباً !!!.... أين ستذهب يا خان ؟

أكبر على خان : سيدى النائب...... لماذا لا تستريح ؟

النائب : كلا ....

أكبر على خان : سأحضر حالا .....

النائب : تعال ....

ذهبت أنا وأكبر على خان فى خيمة النائب وشرحنا له واقعة الأمس .....

فقال لى النائب : كيف تعرفين هذا المجرم الشقى ؟

امراؤ : قلت له كل شىء عن قصة حياته وأننى أعرفه بطريقة جيدة وأنه [illegible] سكان فيض آباد.

النائب : عجباً........ إنك من فيض آباد ؟

أكبر على خان : أريد أن أقضى على هذا الحقير، ولا أريد أن أتركه دون أن أقبض عليه وبعد هذا نادى على سلار بخش وطلب الدواة والقلم حيث كان مركز البوليس قريبا فكتب رسالة للضابط . وبعد فترة وجيزة

حضر ضابط الشرطة مع عشرة من جنوده وعندما رأيتهم قلت لهم أخرجوا الأشرار من القرية أولا ، ثم ذهبنا إلى نفس المكان نبحث عن آثاره على الأريكة .

وأخذنا نبحث عن هؤلاء الأشرار فى خلوة الدراويش فوجدنا أثرا لهم جنيها واحدا وجده أحد الجند فذهب به إلى الضابط ، لقد أراد الله أن نقبض عليه مع أمواله والحقيقة أن الضابط رسم خطة للقبض عليه وظل العسكر يبحثون عنه جيدا ، وفى الساعه الثالثة ليلاً قبضوا عليه فى طريق مكا كنج . وفى صباح اليوم التالى وصلوا عند الغدير فوجدوا معه أربعة وعشرون جنيهاً . ثم استدعانى الضابط للتعرف عليه كما تعرف عليه غيرى اثنان من العسكر وفى الساعة العاشرة رحل هذا المجرم إلى لكهنو .

رسوا : حسناً ، ماذا حدث فى هذه المصيبة ؟ وما نهاية هذه القصة ؟

امراؤ : الذى حدث ، أننى عرفت أنه شنق بعد شهرين وأظنه الآن فى جهنم.

الخاتمة

لا تسألني عن الأشياء الخلابة التى توجد فى قصة حياتى

فإن هذه الأعمال كلها مكتوبة فى كتاب أعمالى .

يا سيد مرزا : عندما أعطيتنى مسودة قصة حياتى لألقى عليها نظرة ثانية لمراجعتها ، تألمت وغضبت وأردت أن أمزقها إلى قطع صغيرة وأرميها ، وكنت أفكر كم سودت وجهى فى الحياة وستبقى هذه القصة بعد مماتى أيضا ، سيقرؤها الناس ويلعنوننى ولكن بسبب عدم اهتمامى وتقديرا لجهدك منعتنى طبيعتى الكسولة ، لكن رأيت أن أتسامح بعض الشيء ؛ امنع يدى عن فعل ذلك بسبب اجتهادك فى سردها وتقديرى لعملك .

وعندما جن الليل وكانت الساعة فى تمام الثانية عشرة ، وبالصدفة استيقظت من نومى وفتحت عيونى وأنا حسب العادة كنت لوحدى فى الحجرة ، والخادمة والخادم والجميع كانوا ينامون فى الدور الأرضى ، وكان المصباح مضيئًا فوق رأسى وظللت أتقلب فى الفراش لفترة طويلة وحاولت النوم فلم أستطع ، وأخيراً نهضت وأخذت أتناول التمبول وناديت على الخادمة لكى تعد لى النارجيلة ، ثم استلقيت على السرير وبدأت

أشرب النارجيلة وخطر ببالى أن اتصفح أى كتاب من الكتب الموضوعة بجوار وسادتى والتى تشتمل على بعض الحكايات والقصص والروايات وكنت أتصفح كتاباً تلوا لآخر ، ولكن هذه الكتب قد رأيتها عدة مرات ولم أستمتع بها فأغلقتها ، وأخيرا وقعت يدى على هذه المسودة وكنت فى حالة مضطربة جداً ومستاءة للغاية ، وصدقًا أنا أخذت هذه المسودة وصممت على تمزيقها فسمعت هاتفا فى أذنى يقول : نفترض أنك مزقتها وألقيتها وأحرقتها ماذا يحدث ؟ فإن أحداث عمرك كله قد سجلته الملائكة بالتفصيل وهذا هو حكم الله القادر العادل ومن يستطيع أن يمحو ذلك ؟ .

وعلى صوت هذا الهاتف ، بدأت أرتعش وترتجف يداى وسقطت المسودة من يدى ولكنى تمالكت نفسى مرة أخرى وتخليت من قلبى عن فكرة تمزيقها فأردت أن أضعها فى مكانها الذى أخذتها منه وبدون قصد منى بدأت فى قراءتها وعندما انتهيت من قراءة الصفحة الأولى قلبتها ، وقرات عدة سطور أخرى من الصفحة الثانية فوجدت متعة إلى هذه الدرجة وكلما كنت أقرأ كنت أريد أن أقرأ أكثر وأكثر وقد شعرت بمتعة لم أشعر بها عندما قرأت قصصًا أخرى ، وسيرة حياتى التى كتبتها وسطرتها بقلمك والأشياء الأخرى التى ذكرتها قد مرت بى حقيقة ، كانت كلها تتراءى أمام عيونى فى هذا الوقت كما حدثت بالفعل وأثر هذا على عقلى وقلبى ، وتوضيح هذا الأثر وبيانه صعب جدا ولورآنى أحد على هذه الحالة التى كنت عليها لا يشك فى جنونى فكنت أحيانا أضحك وأحيانا أذرف الدموع .

خلاصة القول أننى كنت فى حالة غريبة وعجيبة وقد أمرتنى بأن أصحح فى كل مكان ولكنى لم أكن فى وعيى ، وظللت ، أقرأ حتى أشرق الصباح ثم بعد فترة وجيزة نمت ، ثم فتحت عيونى فى حوالى الساعة الثامنة ، فنهضت وتوضأت وغسلت وجهى وبدأت أقرأ مرة ثانية وظللت أقرأ حتى المساء

وعندما حل المساء كنت قد انتهيت من قراءة جميع مسودات القصة ، وكان بيانك فى القصة جذاباً جدا وخاصة فى المكان الذى عقدت فيه مقارنة بين النساء صاحبات الحظ السعيد والأخريات صاحبات الحظ التعيس وأظهرت الفرق بينهما ، والحق أن السيدات صاحبات الحظ السعيد عليهن أن يفخرن بحظهن ونحن الغانيات كنا نحسدهن على ما يفخرن به ونشعر بالغيرة منهن ولكن جاءتنى الفكرة أن للصدفة دخلاً كبيراً فى هذا الصدد وكان سبب خرابى وفسادى هوشر دلاور خان لو لم يخطفنى ويبيعنى فى يد الهانم لا يكتمل كتابة مصيرى وقدرى هذا والأمور التى لا أشك الآن فى شرها قد مضت فترة طويلة على فعل هذه الأشياء ثم تبت ، لم أكن أعلم بأى طريقة ولم يعرفونى بأى قانون لكى أتجنب منها ، ولو لم أفعل مثل هذه الأمور أعاقب عليها وكنت أتصور أن الهانم هى مالكتى ولذلك كنت أخاف منها جدا ولم أفعل أى عمل خلافا لرغبتها حسب مقدرتى وإذا فعلت ذلك فيكون سرا حتى أتجنب ضربها وتوبيخها ، مع أن الهانم طوال حياتها لم تضربنى ولو بعصا الورد ولكن الخوف منها سيطر علىّ والناس الذين تربيت معهم كانت هذه طريقتهم

فى الحياة ، فكان طريقى هو نفس الطريق ولم أفكر فى أى دين ولم يرد ذلك فى خاطرى مطلقا ولم يكن هناك وقت محدد لحدوث الحوادث الأرضية والسماوية ، وعندما كانت تحدث هذه الحوادث على سبيل المثال الرعد ولمعان البرق والإعصار وخسوف الشمس وكسوف القمر سنوات المجاعة ، كان الخوف يتملك قلبى وكنت أعتبر مثل هذه الأمور من غضب الله تعالى ولقد رأيت بأنه قد رفعت هذه البليات بسبب أعمال بعض الناس الصالحين ورأيت أيضا أن كثيراً من الآفات تزول بالتعاويذ والأحجبة وكان الناس ينسبون مثل هذه الأمور لرضاء الله تعالى ولم تصلنى بعد الأحكام الدينية بالتفصيل ولم يعلمنى أحد مسألة الثواب والعقاب بطريقة جيدة ولم يكن لهذه الأحاديث أثر على قلبى ، وفى هذا الزمان لم يكن لى أى مذهب ، فقط كنت أفعل ما أرى الناس يفعلونه وكنت راضية بأقدارى والأعمال التى لم أستطع أن أعملها بسبب كسلى وأى أمر يفسد بسبب غبائى أنسبه إلى القدر ولقد وقع فى يدى موضوع عن الشكوى للسماء بسبب قراءة الكتب الفارسية ، وعندما كان يفوتنى أى مطلب لى أو لأحد كنت أتأسف وأحزن وبسبب ما كنت أشتكى للسماء بحق وبغير حق .

إننا مخيرون ولكن اختيارنا بهذا القدر

بأننا حينما نكون مقهورين فإننا نسب الدهر .

عندما كان الشيخ والأخت الكبيرة حسينى والعجائز يثنون الزمن الماضى فكنا نعرف من طريقتهم أن الزمن الماضى أحسن من هذا

الزمــان ؛ ولذا كنت أثنى على الزمن الماضـى مـثلهم وأسب وأذم الزمن الحاضر بدون سبب وبدون أى مبرر وأنا سيئة الحظ لم أفهم هذا الكلام لأن العجائز يصفون أوقاتهم الماضية وسببه الوحيد أن كل واحد منهم يستحسن أيام شبابه ، ولذلك يرون الدنيا جميلة والحياة هى الحياة والموت هو الموت ، مادام الإنسان حيًا فالعالم حى ولو الإنسان ميت فالعالم ميت وبسبب الناس الكبار ؛ الصغار أيضا ساروا على نهجهم وهذا الفهم سارٍ منذ مدة والناس كلهم الآن قد تعودوا على هذا ، وبعد أن أصبحت شابة وكنت أحيا فى راحة ورغد عيش ، وكانت حرفتى البغاء والرقص والغناء وكان نجاحى وفشلى بقدر سعادتى وآلامى.

ومقارنة بصديقاتى الأخريات لم يكن وجهى جميلا وكنت أتميز عليهن بمهارتى فى الشعر والموسيقى والغناء وبسبب زميلاتى اللاتى يشاركننى فى حرفتى ، ولكن هذا أضر بى إلى حد ما وجعلنى متكبرة وكلما كان الناس يحترموننى أكثر وأكثر ازددت فى كبريائى وكانت الغانيات يحصلن على أشياء بجرأتهن ولا أستطيع أن أحصل على شىء لأن عزة نفسى تمنعنى ، والقاعدة العامة بأن الغانيات يقدمن طلباتهن لكل واحد يرونه ، أما أنا فكنت أخجل من هذا الموضوع وكنت أفكر ربما هو يرفض وأشعر حينئذ بالخجل وكنت لا أرفع الكلفة مع أى شخص ولو جاء أحد ليجلس معى أو مع صديقاتى فكل واحدة تفكر فى هذا الأمر ، كم يستطيع أن ينفق علينا وكم نستطيع أن نأخذ منه ولكن كنت أفكر فقط فى معظم الوقت فى دراسة شخصيته وحسن أخلاقه ، واعتبرت أن

التسول (الشحاذة) عيب ، وفكرت كثيرا بأن أتزوج بأى شخص وأجلس فى بيته ولكن انتابنى التفكير ماذا يقول الناس عنى (بأننى كنت غانية لا تستحق الكفن) .

ياسيد مرزا ، ربما أنت لا تفهم معنى هذا التعبير ومعناه بأن أى غانية تترك مهنتها وتتزوج ؛ فالناس المجربون فى الغواية يقولون عنها إن هذه الغانية ستحصل على كفن وإنها وفرت ثمن الكفن وعلى سبيل المكر قد أثقلت الزوج بمصاريف التجهيز والتكفين فخدعته وتزوجته ، ويتضح من هذا المثل أن خداع وطمع وأنانية الغانيات لا حد له ولا شك فى هذا أن كثيرًا من هذا الشكل ، أما أنا فكنت أضيع وقتى كثيرا على معرفة حسن أخلاقه ومهارته وكياسته الذاتية وكنت أعتبر أن الشحاذة والتسول شىء معيب وكانت هناك أشياء كثيرة تتعلق بالغانيات ولذلك كثيرٌ من صديقاتى يعتبرننى معتزة بنفسى ومنهن من يعتبرننى مجنونة وغبية ولكننى فعلت كما أردت ولم أسمع كلام أحد ، ثم جاء زمان اعتبرت أن حرفة الغانيات عيبٌ وتركت اللقاء بأى شخص ثم تركت هذه الحرفة

وكنت أقضى الوقت فى الرقص والغناء فقط ولو استوظفنى أى رئيس كنت سأقبل الوظيفة ثم تركت هذا الموضوع وتبت عن هذه الأفعال التى اعتبرتها شرا وأنا تبت وأصبحت فى غاية الطيبة لكن لا يعرف أحد سوى الله تعالى هذا الأمر ولا يثق أحد فى صدق توبتى ولو أننى أحببت أحداً حبا صادقا وأخلصت له فإن هذا الرجل وغيره الذين يرون هذا المر

لا يثقون فىَّ أبدا ، فما الفائدة من حبى ؟ والناس يعلنون أن لدى ثروة ولذلك فإن كثيراً من الناس يحبوننى فى هذه السن ويخدعوننى بخدع كثيرة وكثير من الناس يطلبوننى ومنهم من يمدح جمالى مع أن الغانيات الأخريات كن أجمل منى بكثير والثانى يخدعنى ويغشنى بمدحه لموسيقاى العذبة وألحانى الجميلة مع أن أذنه لا تميز بين الصوت الخفيض والصوت المرتفع والثالث يمدح أشعارى وهو لا يعرف أوزان الشعر ولم يقرأ شعرا لأحد ولا مصرعا واحدا موزونا طيلة حياته والرابع يشيد بعلمى ونبوغى وهو متعلم ومثقف إلا إنه يعتبرنى عالما كبيرا ويسألنى فى مسائل الصلاة والصوم البسيطة أما الخامس فكأنه مريدى ومقلدى .

ويقول عشاقى الملتاعون بأنهم ليس لهم أى صلة بثروتى ولكن : هم يتمنون لى الصحة وفى كل حديث يقولون آمين آمين ، ولو أنا عطست يشعرون بالصداع فى رءوسهم ولو أشعر بالصداع يشعرون بالموت ويبدءون يدعون على أعدائهم .

وكان هناك رجل مسن يشفق على حالى يعلمنى تقلبات الزمان ويعتبرنى ساذجة جدا ويتحدث معى كما يتحدث الإنسان مع بنت عمرها عشر أو إحدى عشرة سنة وأنا امرأة ذكية ذات خبرة فى الحياة ولقد شربت من جميع المناهل وإننى لا أغير نفسى كما يريد أحد والحقيقة أننى أضحك عليهم .

وهناك رجل أو اثنان من الذين يلتـقـون بى بكل إخـلاص وبدون غرض وهدفهم هو تذوقهم للشعر على سبيل المثال وسماع الأغانى أو متعة الحديث فقط ، وليس لهم أى غرض آخر منى وهم لا يستريحون بغيرى وأنا لا أستريح بغيرهم ولا يريد أحد من هؤلاء الناس أن يجلسنى فى بيته (أن يتزوجنى) .

وكنت أتمنى أن يحدث هذا ، ولكن كان الإنسان يتمنى أن يعود إليه شبابه ، ومما لا شك فيه أن أفضل ما فى حياة المرأة أيام شبابها ولو انتهت حياتها فى شبابها فهذا أفضل من أن يمتد بها العمر لأن الشيخوخة أمر سيئ لأى أحد فما بالك بالمرأة !!!فالشيخوخة للغانية مثل نار جهنم ، وعجائز لكهنو الفقيرات اللائى يسكن فى أزقتها وحواريها لو دققت النظر فيهن لوجدت أكثرهن غانيات وهؤلاء الغانيات لم تطأ أقدامهن الأرض وأقمْن القيامة فى أيامهن ، وخربن البيوت العامرة وقتلن مئات الشباب بدون ذنب وكانت الأنظار متعلقة بهن فى كل مكان يتوجهن إليه ، والآن لا يريد أحد أن ينظر إليهن . وقبل هذا فالمكان الذى كن يجلسن فيه كن يسعدن الناس والناس تسعد بهن والآن لا يريد أحد أن يقف بجانبهن وقبل ذلك كن يحصلن على الجواهر واللآلئ بدون طلب ، أما الآن حتى بالاستجداء لا يحصلن على شىء وكثير منهن تسببن فى دمار أنفسهن بأيديهن ووقعن فى التهلكة .

وكانت هناك عجوز تمر علىَّ فى منزلى أحيانا وهى التى كانت فى يوم من الأيام من أشهر الغانيات . فى شبابها ، وكسبت مالاً كثيرا ،

آلاف من الروبيات ، وكانت قامتها رشيقة وعندما كبرت فى السن بدأت تنفق على أصدقائها الثروة نفسها وفى كبر سنها جاءت برجل شاب إلى منزلها وكانت زوجته صغيرة وجميلة فلماذا يعشق هذه العجوز ؟ فى البداية استاءت الزوجة ولكن الزوج أفهمها الهدف الأصلى ، فسكتت وبدأت تهتم بها وحينما كان عندها المال استولى الزوج والزوجة على المال بالمكر وبالخداع ، حتى أصبحت فقيرة لا يسأل عنها أحد ثم طردوها من المنزل والآن تلف فى الحوارى ، وإحدى الغانيات الحمقى ربت بنتا صغيرة ، اسمها آبادى وأحبتها ، وقد وقعت أنا فى هذه الحماقة أيضا وعندما أصبحت آبادى شابة سرقت أموالها وهربت مع شاب ولو ظللت معها لا ستولت على المال بالتدريج وتركتها لتقوم بأعمال البيت وتنظيفه وترتيبه وكانت آبادى تريد أن تخدعنى ولكن مكرها وخداعها قد ظهر فى البداية وإلا كانت نهبتنى .

وهذه هى طبيعة الحياة فى جماعة الغانيات والأشرار لأنهم لا يحب الواحد منهم الآخر وليس هناك إنسان عاقل يحبهم ويقدم قلبه لهم لأنهم يعرفون أن المرأة الغانية لا تحب أحداً ولا ترتبط بأحد ، والغانيات الصغيرات يفكرن فى أنفسهن بأننا نحن نكسب المال بأنفسنا ، فلماذا نعطى العجائز ؟ والرجال الذين يقدرون جمالهن فى البداية يبتعدون عنهن بعد زوال حسنهن وجمالهن وهن متعودات على هذا الأمر ، بأن الناس يتملقونهن الآن فلماذا ينافقولهم بعد ذلك ؟ خلاصة القول أن الرجال يبتعدون عنهن وهن يشتكين من الرجال ، فى البداية كنت أضيع وقتى

فى سماع قصصهن الأليمة عن عدم وفاء الرجال على لسان الغانيات وكنت أوافقهم بدون أى فهم ، وأنتم تعرفون سلوك جوهر مرزا معى ونواب صاحب والناس الذين اعترضوا على زواجى منه ومع هذا فإننى لا أستطيع أن أقول إن الرجال عديمو الوفاء ، وفى هذه المسألة السيدات اللائى يجلسن فى الأسواق لست أقل منهن وفى المحبة سامحنى الرجال كثير منهم حمقى والنساء أذكياء جداً وكثير من الرجال يظهرون العشق بقلب صادق وكثير من النساء يظهرن الحب الكاذب ؛ لأن الرجل حينما يظهر العشق يكون فى حالة اضطرارية والمرأة لا تتأثر بسرعة لأن الرجال ينخدعون بالجمال الظاهرى للمرأة ويعشقونه والنساء دائما يَكنَّ حذراتٍ ويحتطن كثيرا فى حبهن ، فلذلك حب الرجال إلى حد ما سريع الزوال وحب النساء صعب الزوال ولكن بسبب حسن المعاشرة بين الاثنين يظهر الاعتدال من نوع خاص فى تلك الأمور بشرط أن كل واحد منهم على الأقل يفهم الآخر .

حقا إن الرجل سريع الحب والمرأة شكاكة جدا وسحر المرأة على الرجل سريع الأثر ، ولكن سحر الرجل على المرأة تأثيره ضعيف ، فهذا النقص عندى بسبب الفطرة لأن المرأة ضعيفة القوى ولذلك أعطيت لهن بعض الصفات التى تكمل لهن هذا النقص ، من بين هذه الصفات هذه الصفة بل إننى أستطيع أن أقول إن هذه الصفة الواحدة موجودة فى الحيوانات فكثير من الحيوانات الضعاف يوجد لديها حيل وخداع ، وكثير من الناس يقولون إن المرأة جميلة وأنا لا أسلم بهذا وفى الحقيقة

إن الرجل بذاته ليس جميلاً ولا المرأة ولقد منى كل واحد منهما جمالا بحيث يستحسن الآخر، ولكن الرجل والمرأة ذات الملامح الطيبة الجميع يحبونهم ولكن المقدر لجمال المرأة هو الرجل والمرأة تقدر جمال الرجل ولكن بالأصل يعرف منه قدر الرجل وجمال المراة ، فليس هناك فرق بين امراة جميلة وأخرى إلا فرق واحد كالفرق بين زهرة ملونة جميلة وزهرة ملونة جميلة وذات رائحة ذكية ، وهكذا الرجل الدميم فى نظر المرأة الجميلة التى تحبه مثل الزهرة الجميلة طيبة الرائحة مع أنه لا ندرة فى بشرته وشكله .

وفى الحب لا يفهمون هذه النقطة الدقيقة ، فالفرق بين حقيقة محبة الاثنين أن المرأة لا تنظر إلى الرجل بنفس النظرة التى ينظر بها الرجل إلى المرأة فيمكن ان يقدر حب المرأة من حب ذلك الرجل إلى حدما ، فذلك الرجل الذى يكون مرتبطا بامرأة ثرية وصغيرة السن ، ولكن المرأة العجوز لماذا تحب الرجال الشباب أكثر من كبار السن ؟! والسبب فيه أن المرأة ضعيفة القوى ولذا فهى تحب من يحميها فى وقت الخطر ولذلك يمكن أن تتوفر هذه الحماية من الشباب أكثر من كبار السن .

والجمال بالإضافة إلى هذه الصفة يعطيه البهاء ، خلاصة القول أن الهدف من حب الرجل للمراة هو حصول اللذة ومن حب المرأة للرجل يشمل الاثنين حصول اللذة والألم والصون والحفظ وهذا هو المعروف بأن يجب أن يكون الحب بدون غرض ومثل هذا الحب يوجد فى حب المرأة ، فحب المرأة دائما تخفيه وربما يقول أحد بأن الأمور التى ذكرتها فى هذا الصدد لا يظهر منها شىء يمتاز به الرجل ولا المرأة ، فأنا أسلم بهذا

الأمـر وأقـول بأن هـذه الأمـور داخلة فى فطرة الرجل وكـامنة فى طينة وطبـيـعة المرأة وليس من الضرورى بأن يشعـر الرجل والمرأة بهـا ، وقد عرفت بعض هذه الأمور بعد التجارب الكثيرة التى مرت فى عمرى كله ومن يفكر مثلى فى هذا الأمر سوف يفهم هذه الأمور ، وقد رأيت كثيرا من النسـاء والرجال غير المثقفين لا يفكرون فى هذه الأمور ؛ فلذا كانوا يعانون كثيرا فى أيام حياتهم .

وفى رأيى لو يفـهم كلاهمـا الآخر فلا يتـألمون ولن يحدث الملل بينهم وهناك أمـر صـعب حينمـا يطرأ كثـير من المتـاعب لهم وننصح أحدهـمـا فكثـيـرا مـا يـرد بهـذا الجـواب (المكتـوب فـى القـدر) سـوف يحـدث وأن مـا حدث لنا ليس نتيجة لأعمالنا السيئة فكل مـا سوف يحدث سيحدث فالقدر هـو القدر وكـل مـا يحدث مـن هـذه الأعمال هـو مـن اللـه تعالى .
– مـعـاذ اللـه – هذا الحـديث اللغـو كـان مـن أحـاديث الـزمن المـاضـى وكان له معنى إلى حد مـا لأن فى ذلك الزمان تتـغير الأمور بالصـدفة فى ثانيـة واحـدة وإننـى أتذكـر فى هذا الصـدد حكاية فى أيام الملكيـة حـيث كثـيرا مـا كـانت تحـدث الثـورات والانقلابات وتتـغيـر أحـوال النـاس فـجـأة وحدث ذات مرة أن كـان أحد الجنود نائمـا على مصطبة أمام بوابة موتى محل (قـصـر اللؤلؤ) وبعد صـلاة الصـبح خرج الملك يتمشـى ولم يكن معـه أحد من الجنود وفكر الملك مـاذا حدث ؟ فـأيقظ الملك الجندى وقـام الجندى وهو يفرك عينيه من النوم وعندما رأى الملك أمامه خـاف فى أول الأمر ولكنه تمالك نفسه وقدم التحية للملك وقبل الملك تحيته وكان السيف

يعلوه الصدأ وأخرجه من غمده بصعوبة ورأى الملك ذلك السيف وأثنى عليه ووضعه فى غمده وربطه فى وسطه والسيف الذى كان بحوزة الملك كان مقبضه من الذهب مع الحزام المرصع بالجواهر وأعطى الملك الجندى سيفه المذهب وحزامه المرصع وعلى هذا الوقع حضر العالم الجليل (خطاب على نقى خان) وزير أوده ومدح الملك الجندى وسيفه وقال الملك للوزير : انظر يا أخى هذا الجندى الشاب ما أحسن سيفه وأخرج السيف من غمده وقال انظر

الوزير : سبحان الله ! لا يعرف قيمة هذه الأشياء إلا سيادتك ولا يعرف قيمة الجواهر أحد كما تعرفها جلالتك .

الملك : لكن انظر يا أخى فسيفى ليس قبيحا إلى هذه الدرجة .

الوزير : يا ظل الله تعالى وهل يكون سيفك غير جميل وغير مناسب ؟!

الملك : ولكن ملابس الجندى غير مناسبة .

الوزير : كلام جلالتك صحيح .

الملك : حسنا سيرتدى ملابسنا وسنرى .

وفى هذه الأثناء جاء الأصحاب والخدم الملكى والحراس فاجتمع عدد من الناس عندما أشار إلى هذا الأمر وأحضروا الملابس واللباس الخاص بالملك المرصعة بعقد من اللآلئ والحلى وأعطوه للملك وبدل الجندى ملابسه وقال الملك انظروا إليه الآن .

الوزير : حقا لقد تغير شكله تماما .

وبدأ الحاضرون يثنون على الجندى وملابسه ووقف الملك لفترة قصيرة ثم جاءت مركبة الملك فركب فيها وذهب للتنزه ورجع الجندى إلى بيته مسرورا وكان الجواهرجى والتجار والدلال يتبعونه وقد قدروا قيمة هذه الملابس التى كان يرتديها بحوالى خمسين أو ستين ألف روبية ، أما الآن فاسمع حال الجندى الذى كان فى جيش النجباء وكان يأخذ ثلاث روبيات وتشاجر مع امرأته فى أمر الطعام وغضب عليها وخرج من البيت والله يعلم إلى أين مضى وهام على وجهه حتى وصل فى وقت الصباح إلى (موتى محل) ونام بسبب التعب وفى الصباح أيقظه حظه السعيد فرأى هذه المعجزة فأصبح غنيا بعد ما كان فقيرا وهذه الأحداث تحدث فى أيام الملكية ولا يحدث مثل هذه الأمور فى مثل هذا الزمان وتحدث هذه الأمور زمان لأن عنان الحكومة فى يد ملك واحد وهو لا يتبع أى قاعدة ويعتبر خزانة البلاد من أملاكه ويمكن حدوث مثل هذه الأمور .

أما فى أيام حكم الإنجليز فلا مكان لمثل هذا الإسراف ويعتبر هذا الأمر بعيدا عن العدل بأن تعطى الدولة لرجل واحد شيئًا بدون أن يستحقه ففى مثل هذه الدولة التى يتبع الملك والفقير فيها قانونًا واحدًا فلو لم يفكروا فى الاستحقاق فلا يضير العمل ولا تصير الأمور وفى هذا الزمن كانت القوة للقدر أما الآن فكل ما يحدث بالتدبير ولا دخل للقدر .

اسمع يا سيد ميرزا عن حال النواب جهين (الذى سقط ذكره فى أثناء كتابة سيرتى) ذهب للانتحار فى النهر فألقى بنفسه فيه ثم غطس بإرادته وهو لا يريد أن يخرج منه ولكن الحياة جميلة جدًا وعندما بقى

لفترة طويلة تحت الماء بدأ يشعر بضيق النفس، فأراد أن يخرج من الماء ليتنفس وخرج إلى سطح الماء وبدأ يحرك يديه ورجليه بدون إرادته ثم أراد أن يموت فغطس مرة أخرى وحدثت له نفس الحالة وهكذا غطس عدة مرات ولكنه لم يغرق وبهذه الصورة أخيراً وصل إلى شاطئ (جهترمندل) وهوسابح على سطح الماء ، وبالصدفة فى هذا الوقت فإن المرحوم مرزا ولى العهد بهادر مع بعض أصحابه كانوا قد خرجوا فى قارب للتنزه وعندما رأوه ظنوا أن هناك شخصًا يغرق فأمر مرزا ولى العهد بهادر الملاحين أن يخرجوا هذا الغريق بسرعة وبحثوا عنه كثيراً فحاول أن يفلت منهم وفهم الملاحون أنه مضطرب بعض الشيء وفى النهاية أخذوه رغمًا عنه وأخرجوه إلى الشاطئ ثم طلب ولى العهد أن يحضروه إليه وبعد أن عرف أحواله وأنه ابن رجل من كبار القوم أحضر له ملابس وأخذه معه فى طريقه إلى القصر.

والسيد جهتن كان شابًا جميلاً يعرف آداب الملوك ويعرف أصول علم المجالس وكان متعلمًا إلى حد ما وذا ذوق خاص ولذا كان جديراً بصحبة الأمير وعلى الفور انضم إلى زمرة أصحابه وأعطى له الأمير مالاً مقدمًا ومركبة وعين له خدمًا وحشمًا من الحكومة وبدأ يعيش فى أحسن حال عن ذى قبل ، والآن عندما خرج فى الميدان كان موكبه موكب عظيم راكبًا على فيل ومعه خمسون رجلاً من خدمه الخاص ، لقد رأيته أنا وبسم الله بعيوننا ولم نصدق الأمر ثم رأينا مخدوم بخش يأتى خلفه ، استدعيناه وعرفنا منه الحال بالتفصيل بعد ذلك وأحواله أصبحت معروفة

للجميع ، لأنه بعد هذا وافق عمه على الزواج من ابنته ، لقد دعى أناس كثير فى حفل زواجه وقد طلبونا وكنت أنا والهانم ، وفى هذا الحقل أعطى للهانم شالاً ومنديلاً جميلاً ولم يأت منزلنا بعد ذلك ولم يهتم ببسم الله ومكرت الهانم مكيدة انقلبت ضدها خلاصة القول أنه فى أيام الملكية نرى هذه المعجزات أما أيام الحكومة الانجليزية لا نرى مثل هذه الأمور وقد مضت الأيام عندما كان خليل خان يحيا فى رغد من العيش ولقد سمعنا أن الثروة عمياء ولكن عرفنا الآن بأن قد فتحت عيون الثروة بطريقة ما ، وبدأت الثروة تفكر فى الناس الذين يستحقون الثروة من غيرهم ، وفى أيام الملكية كان الجهلاء الذين لا يعرفون الألف من كوز الذرة يعينون فى وظائف عظيمة ، وإننى أقول كيف كانوا يقومون بالعمل حتى الجيوش كانت تحت قيادة المخنثين أليس من العدل أن نضحك على مثل هذه الأمور ؟ لقد انتهى عهد حكم القدر وجاء عهد حكم التدبير والآن يسألون عن ذات الشخص وجوهره ، القيمة الآن لجوهر الإنسان وذاته ولو أنت متعلم مثقف ، يعرف هذا بالشهرة بين الناس ولكن لو لم يعرفك أحد فمن يقدرك ؟ لقد ظلت مسألة التدبير والتقدير تشغلنى لفترة طويلة وأخيرا علمت بأن الناس الذين يستعملون معنى التقدير والتدبير ليس إلا خديعة منهم وأن الله تعالى عنده علم بهذه الأمور منذ الأزل فلا شك فى هذا الأمر ، فلو لم يعتقد بأن الله تعالى يعلم كل شىء فإنه كافر – معاذ الله – هذا كفر وللأسف إننى فهمت هذا الكلام الآن ولو كنت فهمته من قبل لكان أفضل ولم يكن هناك أحد يرشدنى ولم يكن لدى تجربة لكى أدبر الأمور بنفسى ؛ فكل ما تعلمته من الشيخ كلمتان

استفدت منهما كثيرا (فليمنحه الله الدرجات العالية) لم أقدر هذه الأمور فى ذلك الزمان ولم يكن لدى عمل سوى الكسل والراحة وأكثر من هذا كان هناك الناس الذين يقدروننى ويكرموننى وكان عددهم كثيراً ولم أجد فرصة منهم ، ولما جاءت الأيام بأن الناس الذين كانوا يحبوننى بدأوا يتفرقون ويتركوننى واحدا تلو الآخر وجدت فرصة فزاد عندى رغبة فى مطالعة الكتب ولم يبق لدى شغل آخر غير هذا وأنا أقول حقا : لو لم يكن لدى هذا الشوق للقراءة لكنت مت منذ زمن طويل حزنا على شبابى وعلى الناس الذين يقدروننى والمعجبين ايضا الذين تركونى ، فى بعض الأيام كنت أدخل السرور على نفسى بقراءة كتب القصص والحكايات وفى أحد الأيام كنت قد أخرجت الكتب القديمة لأضعها فى الشمس ومن بينها وجدت كتاب الكلستان لسعدى الشيرازى ، وهذا الكتاب تعلمت منه على يد الشيخ وبدأت أقلب أوراقه وفى البداية كنت أنفر من هذا الكتاب لأنه كان فى بداية مرحلة تعليمى وكنت أجد عباراته صعبة ولم يكن لى تجْربة ثانية فى قراءته فلذلك لم أكن أفهمه والآن عندما قرأته زالت تلك الصعوبات وقرأته بقلبى بطريقة جيدة وانطبعت كلماته فى قلبى وبعد ذلك عندما سمعت من بعض الأصحاب مدحا عن كتاب أخلاق ناصرى فطلبت منه مسودة هذا الكتاب ، والحقيقة أن موضوعات هذا الكتاب كانت صعبة وملأى بالألفاظ العربية وبعد قراءة لفترة طويلة أنهيت هذا الكتاب ثم قرأت كتاب دانش نامه لغياث منصور وهذا الكتاب الذى طبع فى مطبعة نولكشور واطلعت على كل كيرة وصغيرة فى هذا الكتاب بنفسى

والذى لم أفهمه فيه كنت أسال عنه وفهمت كل شىء ، وبعد هذا قرات كثيراً من الكتب الفارسية والأردية بنفسى فاستنارت بصيرتى وقرأت مختارات من قصائد النورى وخافانى ، ولكن قلبى لم يتعلق بعبارات المدح الكاذب فأغلقته ووضعته فى خزانة الكتب .

وفى هذه الأيام كانت تأتى لى جرائد كثيرة كنت أقرؤها وأعرف من خلالها أحوال الدنيا كلها وبسبب عدم إسرافى عندى حتى الآن وافر من المال يكفينى حتى الموت أما الدار الآخرة فالمالك هو الله ، ومنذ فترة طويلة تبت إلى الله توبة صادقة وأداوم على الصلاة والصوم حسب مقدرتى وإن كنت غانية ، فالأمر بيد الله سواء يعذبنى بالنار أو يرحمنى ، إننى لا أستطيع أن أجلس فى الحجاب ولكننى أدعو الله تعالى للنساء المتزوجات اللاتى يجلسن فى الحجاب أن يدوم زواجهن ويبقين مستورات للأبد فى هذه الدنيا وبهذه المناسبة فإننى أنصح أمثالى من الغانيات نصيحة خالصة بأن ينقشنها فى قلوبهن أو يجعلنها حلقة فى آذانهن : أيتها الغانية الحمقاء لا تنخدعى أبدا أن أحداً يحبك بقلب صادق ، لا تقعى فى هذه الخديعة ، لا تقعى فى هذه الخديعة وصديقك الذى يحبك بكل قلبه سيذهب ويتركك بعد أيام قليلة ، لا يستطيع أن يعيش معك وأنت لا تستحقين إلا هذه المعاملة والحب الصادق هذا من حق تلك المرأة سعيدة الحظ التى تنظر إلى وجه إنسان واحد ولا تنظر إلى وجه إنسان آخر ، فالله لا يمنح هذه النعمة لإنسانة سيئة مثلك .

على كل حال لقد انقضت حياتى كما مضت والآن إننى أتم آخر أيام حياتى وإننى أعيش فى هذه الدنيا وأتنفس كما هو مكتوب لى ،

على كل حال أنا راضية بأقدارى وقد تحققت جميع آمالى ولم يبق لى أى أمل ، مع أن الأمل هو ذلك البلاء الذى لا يخرج من القلب أبدا ، وأتمنى أن تكون قصة حياتى مفيدة إلى حد ما وأنا أطلب من الجميع أن يدعوا لى وأختم حديثى بهذا البيت من الشعر .

أيتها الحياة لقد قرب يوم وفاتى

ولقد شبعت منك كثيرا

تمت بالخير.

المؤلف فى سطور :

ميرزا محمد هادى رسوا

- ولد فى يناير عام ١٨٥٧ م بمدينة لكناو بالهند .
- تخرج فى كلية الهندسة بمدينة روكى بالهند .
- حصل على بكالوريوس فى الفنون والآداب من جامعة البنجاب عام ١٨٨٥م .
- منحته الكلية الأمريكية للدراسات الشرقية دبلوما فى الفلسفة تقديراً لنبوغه وتفوقه .
- كان يتقن العديد من اللغات كالفارسية والعبرية والعربية والإنجليزية واليونانية والهندية بالإضافة إلى اللغة السنسكريتية مما مكنه من الاطلاع على علوم الشرق والغرب .
- كانت أديباً وشاعراً وله منهج خاص فى علوم المنطق والفلسفة .
- كانت له آراء وأفكار نيرة فى علوم الفلك والكيمياء .
- كانت لميرزا محمد هادى رسوا مقالاته السياسية والإصلاحية فى المجتمع وفى علم المنطق والفلسفة والأخلاق لم يستطع أحد أن يشق له غباراً فى هذه العلوم بنفس طريقته المحكمة وأسلوبه الفريد .
- كانت له آراء دينية صائبة ذكر فيها أن الفلسفة الصحيحة لا تعارض بينها وبين العقيدة الإسلامية ، وقد عرض آراءه بأسلوب بسيط .
- كانت له مناظراته الفقهية العديدة ومشهود له بالعلم والفضل .

– كما حاز قصب السبق فى مجال الرواية الأردية ؛ حيث ألف روايات عديدة كانت جميعها علامة بارزة فى الأدب الأردى ، وقد بلغت روايته أمراؤ جان ادا شأواً بعيداً فى الأدب الأردى لم تبلغها إلا قلة نادرة من الروايات الأردية ، وتعتبر درة فى تاج الأدب الأردى ، وسيظل لميرزا محمد هادى رسوا مكانته العالية بين معاصريه بأعماله الأدبية التى قدمها فى أجمل صورة وأوضح بيان وأكثر جاذبية للقارئ من خلال موضوعاتها الاجتماعية والأخلاقية ومن رواياته :

– (امراؤ جان ادا – ذات شريف – شريف زاده – افشائى راز (كشف السر) – بهرام كى رهائى (إطلاق سراح بهرام) – خونى بهيد (السر الدامى) – خونى جورو (الزوجة السفاكة) .

– توفى فى أكتوبر عام ١٩٣١م وعمره يناهز ٧٤ عاماً ودفن بحيدر آباد بالهند .

المترجمة فى سطور :

هناء عبد الفتاح عبد الجواد

من مواليد القاهرة

- ليسانس كلية الآداب - قسم اللغات الشرقية وآدابها - جامعة القاهرة .

- ماجستير فى اللغة الأردية وآدابها - كلية الآداب - جامعة القاهرة تقدير جيد جداً ، دكتوراه فى اللغة الأردية وآدابها (بعثة إشراف مشترك بين جامعة الأزهر وجامعة العلامة إقبال المفتوحة - إسلام آباد - باكستان) - تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى .

الوظيفة الحالية :

مدرس بقسم اللغة الأردية بكلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر - القاهرة .

المراجع فى سطور :

د. إيهاب حفظى عز العرب عبد الرحمن :

- ولد بتاريخ ١٥/٤/١٩٦٠ فى قرية الوعاظلة بمحافظة أسيوط – جمهورية مصر العربية .

المؤهلات الدراسية :

* ليسانس كلية اللغات والترجمة – قسم اللغة الأردية – جامعة الأزهر عام ١٩٨٣م بتقدير عام جيد جداً مع مرتبة الشرف .

* ماجستير فى الدراسات العربية والإسلامية (وفاق المدارس السلفية) من جامعة فيصل آباد بباكستان بتقدير ممتاز عام ١٩٨٧م .

* ماجستير إسلاميات من جامعة البنجاب (الكلية الشرقية) بباكستان ١٩٨٩م .

- ماجستير فى اللغة الأردية من كلية الأداب جامعة كراتشى بباكستان يناير عام ١٩٩٠م .

- دكتوراه فى اللغة الأردية من كلية الآداب جامعة كراتشى بباكستان نوفمبر عام ١٩٩٢م

الخبرات العملية :

* مدرس مساعد بقسم اللغة الأردية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر فى أغسطس ١٩٩١م .

* مدرس بقسم اللغة الأردية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر فى يناير ١٩٩٤م

– يقوم بتدريس اللغة الأردية بكلية اللغات والترجمة وكلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر وكلية الآداب جامعة عين شمس .

– عين رئيساً لقسم اللغة الأردية بكليات اللغات والترجمة جامعة الأزهر منذ ١٩٩٧ حتى تاريخه .

المؤلفات العلمية :

* قصة باغ وبهار لمير أمن الدهلوى دراسة تحليلية مع ترجمة القصة للعربية .

* رواية فردوس برين لعبد الحليم شرر دراسة تحليلية مع ترجمة الرواية للعربية .

* تاريخ الدولة المغولية فى شبه القارة الهندية .

* غياث الدين بلبن قاهر التتار .

* شاه ولى الله الدهلوى "حياته وآثاره" .

* تفسير سورة الفاتحة بين الأردية والعربية" من خلال تفسير المنار لرشيد رضا وترجمة أبى الكلام أزاد" .

* مصر فى أدب الرحلات الأردية فى أوائل القرن العشرين .
* العلامة المودودى ومنهجه فى التفسير .
* الجملة الاسمية فى اللغة الأردية .
* الحروف فى اللغة الأردية .
* باكستان الإسلامية بين الحلم والحقيقة .
* د/ عبد القدير خان رائد البرنامج النووى الباكستانى .
* إقبال والجيل الجديد .
* المحاورات العربية فى رواية نذير أحمد الدهلوى .
* أثر القرآن والسنة واللغة العربية فى قصص اللغة الأردية .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
	اند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
	الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
	سرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٣)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة . النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى. تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه اياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى لشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى بلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيفال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر — خوسيه ماريا ديث بوركي — السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن — جانيت وولف — ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد — نورمان كيجان — أمير إبراهيم العمري
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر — فرانسواز جاكوب — مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) — خايمي سالوم بيدال — جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات — توم ستونير — مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي — أرثر هيرمان — طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام في السودان — ج. سبنسر تريمنجهام — فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزي (جـ١) — مولانا جلال الدين الرومي — إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦- الولاية — ميشيل شودكيفيتش — أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادي — روبين فيدين — عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير — تقرير لمنظمة الأنكتاد — ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩- العربي في الأدب الإسرائيلي — جيلا رامراز – رايوخ — نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار — كاي حافظ — صلاح محجوب إدريس
٢٤١- في انتظار البرابرة (رواية) — ج . م. كوتزي — ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض — وليام إمبسون — صبري محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) — ليفي بروفنسال — بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية) — لاورا إسكيبيل — نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات — إليزابيتا آديس وآخرون — توفيق علي منصور
٢٤٦- مختارات قصصية — جابرييل جارثيا ماركيث — علي إبراهيم منوفي
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر — والتر أرمبرست — محمد طارق الشرقاوي
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) — أنطونيو جالا — عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر) — دراجو شتامبوك — رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم — دومنيك فينك — ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢) — جوردون مارشال — بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية — مارجو بدران — علي بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية — ل. أ. سيمينوڤا — حسن بيومي
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة — ديڤ روبنسون وجودي جروفز — إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون — ديڤ روبنسون وجودي جروفز — إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت — ديف روبنسون وكريس جارات — إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة — وليم كلي رايت — محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر — سير أنجوس فريزر — عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور — نخبة — فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣) — جوردون مارشال — بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود — زكي نجيب محمود — إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) — إدواردو مندوثا — محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن — چون جريبن — علي يوسف علي
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة — هوراس وشلي — لويس عوض

٢٦٥- روايات مترجمة — أوسكار وايلد وصمويل جونسون — لويس عوض

٢٦٦- مدير المدرسة (رواية) — جلال آل أحمد — عادل عبدالمنعم على

٢٦٧- فن الرواية — ميلان كونديرا — بدر الدين عرودكى

٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (جـ٢) — مولانا جلال الدين الرومى — إبراهيم الدسوقى شتا

٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١) — وليم چيفور بالجريف — صبرى محمد حسن

٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢) — وليم چيفور بالجريف — صبرى محمد حسن

٢٧١- الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ — توماس سى. باترسون — شوقى جلال

٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر — سى. سى. والترز — إبراهيم سلامة إبراهيم

٢٧٣- الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر — جوان كول — عنان الشهاوى

٢٧٤- السيدة باربارا (رواية) — رومولو جاييجوس — محمود على مكى

٢٧٥- ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً — مجموعة من النقاد — ماهر شفيق فريد

٢٧٦- فنون السينما — مجموعة من المؤلفين — عبدالقادر التلمسانى

٢٧٧- الچينات والصراع من أجل الحياة — براين فورد — أحمد فوزى

٢٧٨- البدايات — إسحاق عظيموف — ظريف عبدالله

٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية — ف.س. سوندرز — طلعت الشايب

٢٨٠- الأم والنصيب وقصص أخرى — بريم شند وآخرون — سمير عبدالحميد إبراهيم

٢٨١- الفردوس الأعلى (رواية) — عبد الحليم شرر — جلال الحفناوى

٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية — لويس وولبرت — سمير حنا صادق

٢٨٣- السهل يحترق وقصص أخرى — خوان رولفو — على عبد الرءوف البمبى

٢٨٤- هرقل مجنوناً (مسرحية) — يوريبيديس — أحمد عتمان

٢٨٥- رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى — حسن نظامى الدهلوى — سمير عبد الحميد إبراهيم

٢٨٦- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢) — زين العابدين المراغى — محمود علاوى

٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى — أنتونى كنج — محمد يحيى وآخرون

٢٨٨- الفن الروائى — ديفيد لودج — ماهر البطوطى

٢٨٩- ديوان منوچهرى الدامغانى — أبو نجم أحمد بن قوص — محمد نور الدين عبدالمنعم

٢٩٠- علم اللغة والترجمة — جورج مونان — أحمد زكريا إبراهيم

٢٩١- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١) — فرانشسكو رويس رامون — السيد عبد الظاهر

٢٩٢- تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢) — فرانشسكو رويس رامون — السيد عبد الظاهر

٢٩٣- مقدمة للأدب العربى — روجر آلن — مجدى توفيق وآخرون

٢٩٤- فن الشعر — بوالو — رجاء ياقوت

٢٩٥- سلطان الأسطورة — جوزيف كامبل وبيل مويرز — بدر الديب

٢٩٦- مكبث (مسرحية) — وليم شكسبير — محمد مصطفى بدوى

٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية — ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى — ماجدة محمد أنور

٢٩٨- مأساة العبيد وقصص أخرى — نخبة — مصطفى حجازى السيد

٢٩٩- ثورة فى التكنولوجيا الحيوية — جين ماركس — هاشم أحمد محمد

٣٠٠- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١) — لويس عوض — جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال

٣٠١- أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢) — لويس عوض — جمال الجزيرى و محمد الجندى

٣٠٢- أقدم لك: فنجنشتين — جون هيتون وجودى جروفز — إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كليمباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرئ	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى واخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وألن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا ورييبكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	چونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	آرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى «حَدَثِ» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧- الحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومی بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسی	سير روبرت های	يوسف الشارونی
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانی المعاصر	إيميليا دی ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فی زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيری
٥٧٤-	مصر القديمة فی عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسی للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشری محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودی	محمد قدری عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومی ميزوكوشی	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكی	جون ماهر وجودی جروتز	محيی الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحی عبدالهادی
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيری	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت أبادی	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيری	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروی أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينی	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدی
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	آنييس كابرول	ماهر جويجاتی
٥٨٩-	تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدی عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبری السوربونی	مجدی عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليری	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانی فوزی
٥٩٥-	الحكم والسياسة فی أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولی	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فی العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومی على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوی
٦٠٠-	الإسلام فی التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافی	آرثر آيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسی
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكی (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمی
٦٠٦-	قصة البردی اليونانی فی مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنی

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لويث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوچية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال ألبنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية	سپهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧- رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موپاسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوى
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٣)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠- سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢- أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حائيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤- أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠- الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١- الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢- الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤- فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧- أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨- فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩- معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١- درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٦٣٦ / ٢٠٠٤

المجلس الأعلى للثقافة

كان الجو حارا، وكانت ليلة مقمرة من ليالى الصيف، وكان الخادم قد رش الماء على المصطبة وقت العصر وبسط الكليم على الأرض، وفرش ملاءة بيضاء، ووضع القلل والأباريق الخزفية الجديدة وملأها بالماء ورش عليها ماء الورد (ماء زهرة الكيورا)، ورص القلل على حافة المصطبة وغطاها بوضع أكواب خزفية عليها، كما أحضر الثلج أيضًا، ويفعل الخادم وحده كل ذلك بنظام دقيق، وقد لف سبع لفات من التمبول فى وعاء ورقى ممزوج بماء زهرة الكيورا، ووضع فوقها مضغة من التمباكو ذات الرائحة الطيبة. أما الشيشة فقد ملأها بالماء وغسل خراطيمها ولفها حول ساق الشيشة بقلائد من الزهور، وكانت ليلة مقمرة، ولم تكن فى حاجة لضوء، إلا أنهم قد أضاءوا فانوسا فقط ووضعوه لكى يدور أمام الشعراء...

لوحة/ نسرين شابا
غلاف/ نسرين كشك